تراث الشيخ الأوحد

شيخ المتألهين الأوحد
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي
١١٦٦هـ - ١٢٤١هـ
أعلى الله مقامه

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

تحقيق ومراجعة
مجموعة من الفضلاء

جوامع الكلم

الجزء الثالث

مؤسسة الإحقاق

© جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

تراث الشيخ الأوحد ٢٦

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

- اسم الكتاب .... جوامع الكلم - الجزء الثالث
- المؤلف .... الشيخ أحمد الأحسائي
- الناشر .... مؤسسة الإحقاقي للتحقيق والطباعة والنشر
- تحقيق ومراجعة .... مجموعة من الفضلاء
- الإشراف الطباعي .... الأميرة للطباعة والنشر

مؤسسة الإحقاقي
للتحقيق والطباعة
والنشر

الأميرة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:info@dar-alamira.com

تراث الشيخ الأوحد

شيخ المتألهين الأوحد
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي
١١٦٦هـ - ١٢٤١هـ
أعلى الله مقامه

تقديم
توفيق ناصر البوعلي

الأوحد
موقع الأوحد
Awhad.com

تحقيق ومراجعة
مجموعة من الفضلاء

جوامع الكلم

الجزء الثالث

مؤسسة الإحقاقي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد

١ ــ رسالة في شرح الرسالة العلمية
للملّا محسن الفيض

١ ـ رسالة في شرح الرسالة العلمية للملّا محسن الفيض

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الميامين العالِمين العاقلين للآيات المضروبة للناس أجمعين في الآفاق وفي أنفسهم ليتبيّن لهم الحقّ المبين .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي :

إنَّ علم الله تعالى قد تكلّم فيه العلماء والحكماء والمتكلّمون ، وقالوا فيه بآرائهم وأكثرهم قد أخطأ سمتَ الحق لأنّهم طلبوا معرفة ذلك من غير أهل العصمة الذين جعلهم الله أدلّاء عليه ، ولم يبق أحد من خلقه إلّا وقد عرّفه مقامهم منه ، وأنّهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . ولمّا نظرتُ في بعض كلماتهم وجدتهم يطلقون العلم على ما هو أعم من العلم الذي هو ذاته ، والعلم الذي هو فعله ومفعوله ، ويتكلمون عليه بنحو واحد وبيان واحد . ولا ريب أن ذلك البيان إن طابق في القديم خالف في الحادث وبالعكس ، وكثيراً ما أميّز بينهما في بعض الأجوبة والمباحثات حتّى وردنا المحروسة من حوادث

الزمان بلد أصفهان واجتمعتُ ببعض العلماء الأعيان حرسهم الله من نوائب الحدثان وجرى بيننا بحث في ذلك وبيان ، وكان ما كان ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومئتين وألف من الهجرة النبوية حين مررنا بهم ونحن متوجهون لزيارة العتبات العاليات على مشرِّفيها أفضل الصلوات وأكمل التسليمات ، ووقفتُ فيها على رسالة موضوعة في هذه المسألة وضعها العارف المتقن الملّا محسن(١) لابنه المسمّى بمحمد أو بأحمد الملقّب بعَلَم الهدى رحمه الله ، فوجدتها قد توغّلَ فيها وتمحّلَ وسلك مسلكَ أصحاب الحدود المتلقّبين بأهل الشهود القائلين بوحدة الوجود ، فأحببتُ أن أشرح كلماتِها وأبيّن الغَثّ من السّمين على ما يوافق مذهب الأئمة الطاهرين عليهم السلام أجمعين .

---

(١) هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ـ كذا قيل ـ ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

فإن قلتَ :

إنَّ كُلاًّ يَدَّعِي وَصلاً بِلَيلَى وَلَيلَى لا تُقِرّ لَهُم بِذَا[(١)]

كما قلتُ :

إِذَا انبَجَسَتْ دُمُوعٌ مِن عُيون تَبَيَّنَ مَن بَكَى مِمَّن تَباكَى

وأقول :

فَهَبْ أَنِّي أَقُولُ الصُّبحُ لَيلٌ أَيَعمَى النَّاظِرونَ عَن الضِّيَاءِ

فإذا أردتَ أن تعرف الحقَ فانظر فيما أقول لك غير ملتَفِت إلى قواعدِك ولا إلى ما أنِسْتَ به من علوم القوم ، وإنّما تنظر في كلامي بنظر أهل الحق أئمّتك عليهم السلام وحجج الله عليك وعلى سائر الخلق . وأمّا القوم من المتصوّفة والحكماء والمتكلمين فليسوا بحجج الله عليك ولا على خلقه ، وليسوا أئمّتك ﴿ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾[(٢)] ، ولا أريد منك أنّ تقلّدهم مع أنّي لو قلتُ ذلك لكان حقّاً ، لأنّك كما تقلِّد غيرهم ممّن يجهل وينسى ويخطىء ويغشّ ، وأنت تدّعي أنّك أخذته بالدليل العقلي ينبغي أن تقلِّد من لا يجهل ولا ينسى ولا يخطىء ولا يغشّ .

---

(١) ذكره المصنف سابقاً بلفظ :

وَكلٌّ يَدَّعِي وَصلاً بِلَيلَى وَلَيلَى لا تُقِرُّ لَهُم بِذَاكا

(٢) سورة يونس ، الآية : ٣٥ .

فإن قلتَ : إنَّ العقل لا يطابق كلامهم .

قلتُ لك : إنَّ كلامهم حق وعقلك إن لم تغيّره وتبدّله بالعلوم المغيّرة المكدّرة والقواعد المعوجّة حقٌّ لأنّه فطرة الله التي فطر الناس عليها .

والحاصل أني لا أريد منك محض تقليدهم كما يتوهّمه المتوهمون ، بل تأخذ كلامهم بالدليل العقلي بشرط قطع النظر عن الأقوال ، بل تنظر بفهمِك لا غير ، فإن فهمتَ كلامي وعمِلتَ بوصيّتي وجدتَ ما أقول لك كلّه أموراً قطعيّة ضرورية فافهم ، والله خليفتي عليك وهذا أوان الشروع في المقصود ، فأقول :

بيان العلم الذاتي

قال عفا الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله العليم الحكيم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض ، والصلاة على محمد وأهل بيته الذين هم ذريّة بعضها من بعض .

أقول : الظاهر من قوله : العليم ، أنَّ المراد به وصفه بالعلم الذاتي الذي هو عين ذاته .

وقوله : لا يعزب عن علمه مثقال ذرة الخ ، أنَّ المراد بهذا العلم العلم الذاتي ، ولا يريد به ما في الآية الشريفة ، لأنَّ العلم الذي في الآية الشريفة إن أريد به العلم الأزلي الذي هو ذاته ،

وكانت معلوماته في السماوات والأرض لا تخلو من أن تكونَ في الأزل أو في الحدوث . فإن كانت في الأزل كان معه في ذاته غيره ، لأنَّ الأزل ليس شيئاً غير ذاته . ثم نقول : هي عينه بلا مغايرة أو عينه مع المغايرة أو غيره ، فإن كانت هي عينه بلا مغايرة بوجه ما فلا معنى لقولك : إنّه عالم بجميع ما في السماوات والأرض ، وأنت تريدُ أنه عالم بذاته وإن كانت هي عينه مع المغايرة ، فقد أثبتّ المغايرة في ذاته . والاختلاف وهو باطل سواء كان بالذات أم بالحيثيّة والاعتبار ، وإن كانت غيره فقد أثبتَّ غيره في ذاته وهذا باطل سواء جعلت الغير عارضاً أو حالاً فيه لاستحالة كون ذاته المقدّسة معروضةً أو ظرفاً وهذا لا إشكال فيه ، وإن فرضتَ أن الأزل غير ذاته لتحلّ فيه تلك المعلومات في محلّ غير ذاته فهو باطل ، لأنه يلزم من ذلك أن يكون تعالى حالاً في غيره وهو الأزل وذلك الوقت يجمعه مع غيره أيضاً ، فلم يجز أن تكون تلك المعلومات في الأزل فيجب أن تكون في الحدوث والإمكان ، إذ لا واسطة بين الواجب والحادث وقد دلّت عليه الأخبار وصحيح الاعتبار .

فإذا كانت المعلومات غير ذاته في الإمكان فنقول : العلم بالشيء لا يخلو : إمّا أن يكون مطابقاً للمعلوم أو غير مطابق له ومقترناً بالمعلوم أو غير مقترن به ، واقعاً على المعلوم أو غير واقع عليه وهو المعلوم أو غير المعلوم .

فإن كان مطابقاً للمعلوم وأنت تريد به العلم الذي هو ذاته لزمك أن تقول : إنَّ ذاته مطابقة لك ، لأنّك من جملة المعلومات فيجري عليها ولها كلّ ما يجري عليك ولك ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وإن قلتَ : إنّه غير مطابق ، لزمك أنّه ليس علماً به ، لأن العلم لا يجوز أن يكون غير مطابق للمعلوم ، مثل أن يكون المعلوم طويلاً والعلم قصيراً ، أو المعلوم أسود والعلم أبيض ، أو المعلوم قليلاً والعلم كثيراً ، أو المعلوم مجتمعاً والعلم متفرقاً ، أو المعلوم مقترناً والعلم غير مقترن ، أو المعلوم موقوعاً عليه والعلم غير واقع ، أو المعلوم مكيّفاً والعلم غير مكيّف ، وما أشبه ذلك من عدم المطابقة وبالعكس بين العلم والمعلوم في هذه الصفات ، لأنّه إذا كان غير مطابق كان جهلاً لا عِلماً فافهم .

وإن قلتَ : إنه مقترن بالمعلوم وأنت تريد به العلم الذي هو ذاته ، لزمك أن تكون ذاته مقترنةً بك ، وقد دلّ الدليل العقلي والنقلي على أن الاقتران شاهد بالحدوث في المقترنَيْنِ . فإن الاقتران بالاجتماع أو الافتراق لا يكون إلّا بَيْنَ الحادِثَيْنِ .

وإن قلتَ : إنّه غير مقترن بالمعلوم ، لزمك أنه ليس علماً بذلك الشيء ، إذ لا يعقل العلم بالشيء إلّا مقترناً بالمعلوم وإلّا لم يكن علماً به .

وإن قلتَ : إنّه واقع على المعلوم وأنت تريد به العلم الذي

هو ذاته لزمك أن تقول : إنَّ ذاته تعالى واقعة عليك وهذا ظاهر البطلان .

فإن قلت : قد دلّت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام على أنّه سبحانه (**كان ربّنا عزّ وجلّ عالماً والعلم ذاته ولا معلوم ، فلمّا وُجد المعلوم وقع العلم منه على المعلوم**)(١) ، وهذا صريح بأنّه لا منافاة بين كون الذات بمعنى العلم واقعة على المعلوم .

قلتُ : إنَّ قوله عليه السلام : (**والعلم ذاته**) ، صريح بأن هذا العلم الذي هو ذاته كان ولا معلوم ، فلو حصل في حال والمعلوم معه لاختلفت حالتاهُ وكلّ شيء يختلف حالتاه فهو حادث وهذا هو الذات جلّ وعلا ، فلا يكون هو الواقع على المعلوم .

وقوله عليه السلام : (**فلمّا وجد المعلوم وقع العلم منه على المعلوم**) ، المراد بهذا العلم الواقع ليس هو الأوّل الذي هو

---

(١) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ . ولفظه في التوحيد : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور**) قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟ قال : (**إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم**) .

الذات ، لأنَّ الذات لا تقع على شيء ولا يقع عليها شيء ، وإنّما المراد بهذا الواقع هو ظهور الأول وفعله ، ومثاله الشمس مثلاً فإنّها في ذاتها مشرقة وإن لم يوجد شيء كثيف ، فهي حينئذ منيرة ولا مستنيرة لعدم وجود كثيف يستنير بإشراقها ، فإذا وجد الكثيف استنار بإشراقها لأنه لمّا وجد الذي من شأنه أن يستنير بالنور وقعت الشمس عليه فاستنار يعني أشرقت عليه لا أنّها وقعت من السماء الرابعة على الأرض التي هي المستنيرة بها ، وإنّما المراد بوقوعها ظهور أثرها الذي هو إشراقها على الأرض وأثرها غيرها وإنما هو فعلها . وكذلك معنى (**فلمّا وُجد المعلوم وقع العلم**) يعني أثر العلم الذاتي على المعلوم وأثره حادث ، ويأتي تمام هذا الكلام .

وإن قلتَ : إنّه غير واقع لزم أنه لم يكن المعلوم وإلّا لوقع عليه إذ لا يكون المعلوم غير معلوم ولا يكون معلوماً إلّا بوقوع العلم عليه .

وإن قلتَ : إنّه هو أي أنَّ العلم هو المعلوم لزمك أن يكون العلم القديم هو المعلوم الحادث .

وإن قلتَ : إنَّه غيره لزم أحد ما تقدم من التفصيل من المطابقة وعدمها والاقتران وعدمه والوقوع وعدمه .

بيان العلم الحادث الفعلي

هذا كلّه إذا أريد بالعلم في قوله : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[١] ، العلم الذي هو ذاته فإنّه كما سمعتَ لا يجوز أن يكون المراد به ذلك وإن أُريدَ به العلم الحادث الفعلي ، صح ذلك على نحو ما سَمِعْتَ من صحةِ المطابقة والاقتران والوقوع وغيرها وهو قسمان : علم إمكانيّ وهو الرّاجح الوجود وهو الذي لا أوّل له غير موجده تعالى وهو المشار إليه في قوله عليه السلام : (**علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها**)[٢] ، ومعنى هذا أن المراد بهذا العلم نفس إمكاناتِها

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٣ .

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**.. الله الواحد الأحد الصمد الذي لم تغيره صروف الأزمان ولم يتكأده صنع شيء كان ، إنما قال لما شاء أن يكون كن فكان ، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب ، وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق ، وكل عالم فمن بعد جهل تعلم والله لم يجهل ولم يتعلم ، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها فلم يزدد بكونها علماً ، علمه بها قبل أن يكونها كعلمه بعد تكوينها ، لم يكوّنها لشدة سلطان ولا خوف من زوال ولا نقصان ولا استعانة على ضد مثاور ولا ندّ مكاثر ولا شريك مكايد ، لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون ..**) .

توحيد الصدوق : ٤٣ ، باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٣ ، والكافي للكليني : ١ / ١٣٥ ح ١ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٧٠ ح ١٥ .

وإمكاناتُها على ما هي عليه عنده في ملكه حاضرة لديه لا في ذاته تعالى ، وهو سبحانه لم يكن خِلواً من ملكه[١] ، بل كلّ شيء حاصل له في وقتِ وجوده ومكان حدوده .

والقسم الثاني : علم أكواني وهو نفس أكوانها ، كلّ في وقته ومكانه ، فإذا ظهرَت بأكوانها لم تخرج به عن إمكانها ، فهي في إمكانها قبل كونها وحين كونها وبعد كونها وهذا معنى قوله عليه السلام : (**كان عالماً بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها**) ، والمراد بهذا العلم الذي هو قبل كونها العلم الإمكاني ، فإنّها ممكنةٌ قبل أن يكوّنها وممكنة حال وجودِها وممكنة بعد فناء وجودها .

والمعنى في قوله عليه السلام : (**بعد كونها**) أنَّ إمكانها قبل وجودها وحال وجودها على حدّ سواء لم تخرج بالوجود عن الإمكان الذي هي عليه قبل الوجود ، ولم يختلف ذلك الإمكان الذي هو علمه بها باختلاف حالتَيْها في نفسه بقوّة أو ضعف ولا بخفاء أو ظهور ولا بالنسبة إلى خالقه وربّه في كونه حاضراً عنده في ملكه وحاصلاً له في ملكوته وتصرّفه .

---

(١) قال عليه السلام : (**كان خلواً من خلقه وخلقه خلوٌّ منه**) التوحيد : ١٤٢ ـ ١٤٣ ح ٧ .

وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**إنَّ الله خلوٌّ من خلقه وخلقه خلوٌّ منه وكلُّ ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوقٌ ما خلا الله**) . الكافي : ١ / ٨٣ ح ٣ ـ ٥ ، والتوحيد : ١٠٥ ح ٣ ـ ٥ .

ويحتمل بعيداً أن يراد به أنَّ ذلك الإمكان الذي هو علمه بها وملكوتُها لا يختلف قبل كونها وبعد كونها ، أي بعد فناء كونها لا في نفسه ولا بالنسبة إلى خالقه وربّه وإن اختلف بالنسبة إلى الأشياء أنفسها عند أنفسها من حيث هي هي . فإنّها تشاهد ضعفه حال الوجود نظراً إلى وجوب وجود الموجود بالغير .

فإذا عرفتَ ما ذكرنا ظهر لك أنّ العلم قد يكون ولا معلوم كما مثّلنا لك بالشمس فإنّها قد تكون منيرة ولا مستنير ، كما تشاهد في الليل فإنها تقابل الهواء والأفلاك ، فحيثُ لم يكن كثيف لم يكن مستنير وكذلك أنت سميع وإن لم يتكلم بقربك أحد ، ويقال لك سميع ولا مسموع . فكما أن السمع ذاتك ولهذا قلنا : أنت سميع لأنك حينئذ ليس إلّا أنت ولم نقل : أنت تسمع إذا لم يكن كلام ليكون السمع فعلك وهو غيرك ، كذلك الشمس إذا لم يكن كثيفٌ هي منيرة ولا مستنير لأنَّ النور حينئذ ذاتها ولا يقال : إنها تضيء إذا لم يوجد المستضيء . ويلزم أن يكون السمع واقعاً لا على شيء ومقترناً لا بشيء ولا يجوز وصف الشيء بالوقوع والاقتران إلّا عند وجود الموقوع عليه والمقترن به كما هو شأن الإضافيات .

وكذلك الشمس لا تكون مضيئةً إلّا على القابل والمستضيء ، كذلك العلم الذاتي كان ولا معلوم لأنّه تعالى عالم وليس ثمَّ معلوم ليقع العلم عليه ويقترن به ، وما يحصل للشيء لذاته لا باعتبار

شيء غير الذات يجب أن يكون هو الذات بخلاف ما يحصل لها بواسطة الصفة ، كالطول أو بواسطة الفعل كالإرادة والميل فإنّه غير الذات ، وكذلك السمع الذي هو أنت لا بواسطة الفعل الذي هو إدراكك المسموع والنور الذي هو الشمس لا بواسطة الفعل الذي هو الإضاءة ، وما تدلّك عليه مفاهيم الألفاظ فإنّه هو الذي يكون بالواسطة ، لأن قولك هو عالم بكذا تريد به العلم المقترن بالمعلوم الواقع عليه ، لأنَّ أعلى ما وضعت له الألفاظ ما كان بواسطة الفعل أو الصفة . وأمّا ما وراء ذلك فليس إلّا الذات البحت جلّ وعلا والألفاظ لا تقع عليها لأنّها لتمييز جهات التعريف والتعرّف وهي مظاهر الأفعال وآثارها وما ليس بمقترن ولا واقع لا يوضع له ما يدلّ على الوقوع والاقتران كما تقول عالم بها ، فإن هذا العلم واقع عليها ومقترن بها وهو العلم الإمكاني أي عالم بإمكانها والعلم التكويني أي عالم بأكوانها وهذان وأمثالهما مصداق المفاهيم الموضوعة للبيان . وأما ما ليس بمقترن بشيء ولا واقع على شيء فالعبارة الموضوعة لتعريفه عالم ولا معلوم قادر ولا مقدور سميع ولا مسموع ، وما أشبه ذلك ومدلولها آياته سبحانه التي أراها عِباده في الآفاق وفي أنفسهم والآيات تدلّ باللزوم عليه سبحانه دلالة استدلال عليه بما دلّ على نفسه جلّ وعزّ لا دلالة تكشِف عن كنهه ، ويظهر لك أيضاً أن العلم قد يكون مع المعلوم أي مقترن به وواقع عليه بَلْ متحدٌ به .

هل العلم هو المعلوم أو أثره أو غيره ؟

وأمّا إنّه هو المعلوم أو غير المعلوم ، فالمراد أنَّ العلم هل هو المعلوم أو غير المعلوم ؟ .

فقيل : إنَّ العلم غير المعلوم فإنّك تعلم زيداً وأنت في المسجد بصورتهِ التي في ذهنِك وزيدٌ في السوق وتعلمه بالحالةِ التي رأيتَهُ فيها وهو في السُّوق قد يقعد ولا يكون في ذهنِك أنّه قعد ، وقد يقوم وقد يمشي وقد يموت وفي كلّ ذلك لا تعلمه إلّا في الحالة التي رأيتَهُ فيها ، ولو كان ما في ذهنك هو نفس زيد للزم أن يكون زيد في ذهنك لا في السوق أو حيث كان في السوق وغاب عنك لا تعلمه ولو كان ما في ذهنِك نفسَ صفة زيد الذي في السوق ، لكان كلّما انتقل من حالة إلى أخرى وهو في السوق ترى ذلك وأنت في المسجد ، أو أنّك لا تعلم له صفة حين غاب عنك ، وكلّ ذلك باطل مخالفٌ للوجدانِ فلم يبق إلّا أن العلم غير المعلوم .

وقيل : العلم بعضه نفس المعلوم وبعضه أثر المعلوم وصفته المأخوذة منه :

أمّا الأول : فلأنَّ صورة زيد التي في ذهن العالم به معلومة لذلك العالم البتّة ، فإن كان يعلمها بنفسها كان العلم هنا نفس المعلوم ، وإن كان يعلمها بصورة أخرى فالصورة الأخرى أيضاً

معلومة له ويلزم التسلسل أو الدّور ، فثبت أن العلم هنا نفس المعلوم .

وأمّا الثاني : فلأنَّ العالم لم يكن عنده حين غيبوبة زيد إلّا ما انتزعه ذهنه من صورته التي رآه فيها ، ومعلوم أن زيداً الذي هو معلومه في السوق وهو إنسان يتقلّب في حوائجه يذهب ويجيء ويقوم ويقعد ، وأمّا علمه به فهو ظلّه المنتزع منه حين رآه والظل غير الذات ، ولهذا لا يطابقه في جميع حالاته وإنّما يطابقه في الحالة التي رآها فيه ، لأنَّ الذهن كالمِرآة ينتقش فيها صورة المقابل . ولا شكّ في المغايرة فثبت أن العلم بعضه نفس المعلوم وبعضه غير المعلوم ، ثبتَ الأول بالبرهان القطعي والثاني بالوجدان الضروري .

والقول الأول : للمتكلمين .

والقول الثاني : للمشّائين .

بيان أنّ العلم نفس المعلوم مطلقاً

وقيل : العلم نفس المعلوم مطلقاً وهو الحق . أمّا في الصورة الذهنيّة فظاهر للدليل المذكور ، وقول الأوّلين : ولو كان ما في ذهنك هو نفس زيد للزم أن يكون زيد في ذهنك : الخ ، مردود بأن ما في ذهنك إنّما هو صفته التي انتزعها الذهن بواسطة البصر والحس المشترك منه حين

حضوره وهي العلم وهي المعلوم ، لأنَّ المعلوم من زيد إنّما هو تلك الصفة بخصوصها وأنت لا تكون عالماً حين غيبوبته إلّا بتلك الصفة التي عندك منه خاصةً .

ألا ترى أنّي لو قلتُ لك حين غيبوبته عنك بعد رؤيتك له : هل زيد الآن قائم أو قاعد ؟ متحرك الآن أم ساكن ؟ متكلم الآن أم ساكت ؟ حيّ الآن أم ميت ؟ لقلتَ لي : ما أعلم شيئاً من أحواله إلّا ما فارقني عليه . ولو كان ما عندك من الصورة نفسَ زيد لكنتَ تعلمه في جميع أحواله ولما قلتَ لي ما أعلم . وكذا لو كان ما عندك من الصورة نفس جميع أحواله لما جهلتَ شيئاً منها .

ولو قلتَ : إنَّ ما عندي من صورته هو العلم به حقيقة وتريد العلم بأحواله أو العلم بذاته لزمك أن العلم يكون غير مطابق للمعلوم لأنّك لم تعلم جميع أحواله ولا ذاته ، وإنّما تعلم حالةً واحدة منه وهي حالة رؤيتك له قبل أن تفارقه وما عندك غير مطابق له ولا لأحواله بعد ذلك ، وهذا باطل بالضرورة ، فإنَّ العلم لا يكون علماً إلّا مع مطابقته للمعلوم والذي عندك مطابق لمعلومك وهو حالته التي فارقك عليها .

والذي عندك من صورته التي في ذهنك ليس نفس صورته التي هي مثاله ، لأن مثاله هذا مكتوب في اللوح المحفوظ وأنت إذا قابلته بمرآةِ ذهنِك انطبع في مرآة ذهنك ظهوره لكَ وظلّه ومثاله لا نفسُ المثال القائم بزيد ، ألا ترى أنّك إذا قابلتَ المرآةَ بوجهك

انطبع فيها ظهورُ وجهِك وظلّه ومثاله ، لا نفس وجهك وإنّما المنطبع هو الشبح الذي هو ظل المقابل .

والدليل على ذلك النصُّ والوجدان :

أمّا النصُّ : فكثير منه ما روي في الغرر والدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن العالم العلوي يعني عن المجردات فقال عليه السلام : (**صور عالية عن الموادّ عاريةٌ عن القوّة والاستعداد تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هُويّتها مِثاله فأظهر عنها أفعاله**)[١] الحديث .

وروى المفيد[٢] في الاختصاص في حديث طويل بإسناده إلى موسى بن محمد الجواد عليه السلام أنّه سأل أخاه أبا الحسن

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ١ / ٣٢٧ ، ومصباح البلاغة : ٢ / ٢٤٤ ح ١٧٧ ، والصراط المستقيم للعاملي : ١ / ٢٢٢ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٤٠ / ١٦٥ ، وعيون الحكم والمواعظ : ٣٠٤ .
وتمام الحديث : (**صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله ، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها ، فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد**) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي .
ولد في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦ هـ بسويقة ابن البصري من عكبراء .
توفي رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربع مئة (٤١٣) ببغداد ، وصلى عليه تلميذه السيد المرتضى .

العسكري عليهما السلام عن مسائل سألها عنه يحيى بن أكثم فكان من جوابه عليه السلام أن قال : (**وأمّا قول عليّ عليه السلام في الخنثى أنه يورّث من المبال ، فهو كما قال وتنظر إليه ويُنظر إليه قوم عدول فيأخذ كلّ واحد منهم المِرآة فيقوم الخنثى خلفهم عرياناً وينظرون في المرآة فيرون الشبح ويحكمون عليه**)[١] .

فقوله عليه السلام : (**فيرون الشبح ويحكمون عليه**) ظاهر في أنَّ المرئي هو المنطبع في المرآة وهو الشبح ، والشّبح ظل النور أي الشاخص ، والمراد بالنور الوجود والذات ، كما رواه في الكافي[٢] في باب خلق طينة الأئمة عليهم السلام عن جابر بن يزيد قال : قال أبو جعفر عليه السلام : (**يا جابر إنَّ الله أوّل ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين فكانوا أشباحَ نور بَينَ يدي الله**) .

قلتُ : وما الأشباح ؟

---

(١) الاختصاص للمفيد : ٩٥ ذكر علي بن عبيد الله بن علي بن الحسين عليه السلام ، والكافي : ٧/ ١٥٩ح ١ ، وتهذيب الأحكام : ٩/ ٣٥٦ح ١٢٧٢ .

(٢) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور .
كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .
توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

قال : (**ظلّ النور أبدان نورانية بلا أرواح**)(١) الحديث .

وهذا ظاهر من آثارهم عليهم السلام لمن فهم مرادهم .

وأمّا الوجدان : إنَّ الوجه المقابل للمرآة ينطبع فيها ظلّه ومثاله على هيئة المرآة من صغر وكبر واعوجاج واستقامة وبياض وسواد ، لا على هيئة الوجه وهذا ظاهر فلا ينطبع في المرآة إلّا الظهور والظلّ المنفصل من المقابل ، لا نفس المتصل بالمقابل ، فإنَّ ذلك لازم له وحكم ذهنك فيما ينطبع فيه من الصور حكم المرآة بلا فرق ، ولهذا لا تذكر شيئاً إلّا إذا التفتَ ذهنُك إلى مكانه وزمانه ، مثلاً إذا اجتمعتَ بزيد في السوق بالأمس وكلّمته بشيء لا تذكر زيداً بما كلّمته بالأمس في هذا اليوم ولا ما بعده من الأيام إلا إذا التفتَ قلبُكَ إلى ذلك المكان من السوق في ذلك الوقتِ ، فإنّك إذا التفتَّ إلى هناك في ذلك الوقت رأى ذهنُك مثالَ زيد ومثالك واقفين هناك في الوقت الذي كنتما اجتمعتُمَا فيه ، ومثال كلامك وكلامه صادرين كلّ مثالِ كلام من مثالِ المتكلّم به ، وهذه الأمثلة هي التي قلتُ لك إنها مكتوبة في اللوح المحفوظ . لأنّك أبداً كلّما أردت أن تذكر ذلك لا يمكنك حتى يقابل ذهنُك بمرآته ذلك المكان وذلك الوقت فينطبع مثال زيد

(١) الكافي : ١ / ٤٤٢ ح ١٠ ، وحلية الأبرار : ١ / ١٩ ح ٤ ، وبحار الأنوار : ١٥ / ٢٥ ح ٤٧ .

ومثال كلامه حين صدوره من ذلك المثال ، ومثالك ومثال كلامك حين صدوره من مثالك ، كلّ ذلك ينطبع في ذهنك فلا يمكنك أن تذكر بدون ذلك أبداً . وهو الدليل على أن حكم ذهنك في الانطباع حكم المرآة ، بل هو حقيقة مرآة لا ينطبع فيها إلّا ظلّ المقابل حين المقابلة بلا فرق ، إلّا أنَّ ذهنك مرآة من الغيب ينطبع فيها ظل المقابل لها في الغيب ، والمرآة الزجاجيّة والمائية والأشياء الظاهرة الصقيلة من الشهادة ينطبع فيها ظل المقابل لها في الشهادة .

فثبت بالوجدان والبرهان الضروريِّين أن ما في ذهنك من زيد هو العلم بهيئته وحالته المنطبعة في ذهنك لا اللازمة له ، وليس عندك علم غير ما انطبع في ذهنك ، فما في ذهنك هو عين علمك وعين معلومك لأنك لا تعلم غير ما في ذهنك ، ولو كان معلومك غير ما في ذهنك لكان إذا تغيّر ذلك المعلوم تغيّر ما في ذهنك . لأنّه هو علمك كما مثّلنا لك وَإلّا كان العلم غير مطابق للمعلوم ولا واقع عليه ، هذا خلف .

وأمّا قول الشيخ جواد رحمه الله في شرحه على زبدة الأصول : وليعلم أنَّ الحق بعد القول بالوجود الذهني ، وأنَّ العلم من مقولة الكيف أن الأشياء بأنفسها موجودة في الذهن كما هو مذهبُ المحقّقين لا بأشباحها وأمثالها كما هو مذهب شرذمة قليلة لا يعبأ بهم ، انتهى .

فهو هذيان والأصل فيه أنَّ أكثر الناس يأخذون العبارات من الكتب وهي بعينها هي علمهم ، والعبارات ليست علماً ولا تفيد العلم ، وهذا أصله مأخوذ من كلام الصوفية ، لأنهم يزعمون أن العالم الخيالي علة العالم الخارجي وأصله ، وأنَّ الخارجي ظلّ للخيالي ، كما صرّح به عبد الكريم الجيلاني(١) في كتابه الإنسان الكامل . وهذا الكلام مبني على طريقتهم الباطلة ، حتّى أنَّ أحدهم ليقول ما تتحرّك نملةٌ في المشرق أو المغرب إلّا بقوّتي وقدرتي وهو بناء على هذا وعلى القول بوحدة الوجود ، حتى أنّه يقول إنا الله بِلا أنا . أو على القول بالحلول . وأمثال ذلك وكلُّ ذلكَ باطِلٌ لا يُغني منَ الحقِّ شيئاً .

ولعلّ المحققين الذين عناهم الشيخ جواد رحمه الله هؤلاء المُلحدُون أَوْ مَنْ أخذ كلامهم ، إذ لا معنى لوجود الشيء بنفسه في ذهن العالم به لا بشَبَحِه ومثاله ، مع أنّا نمنع وجودَهُ في الذهن بشبَحه ومثاله . كما سمعت ما ذكرنا لك سابقاً ، وإلّا لتغيّر ما في

---

(١) هو الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الجيلي أو الجيلاني (الكيلاني) . والجيلاني أو الجيلي نسبة لجيلان من أعمال فارس .
ولد سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) وقيل سنة ٧٧٧ هـ .
مات سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) وقيل ٨٢٠ هـ وقيل ٨٣٢ هـ .
انظر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٣١٣ ، وكشف الظنون : ١٥٢٥ .

الذهن بتغيّر الشبح . والمثال في نفسه أو في هيئته مع غيبوبة ذي الشبح ، وإنما الموجود في ذهن العالم الشبَح المنفصل المنتزع من الشبَح المتّصل وهو ظلّه ، فالموجود في الحقيقة شبحُ الشّبَحِ لأنّ الموجود مركب من مادّة وصورة ، فمادّته ظهور الشبح المتّصل وظلّه وشعاعه المنفصلُ عن المتصل ، وإنّما هو في الحقيقة قائم به قيام صدور وتحقّق لا قيام عروض ، وصورته هيئة الذهن مِن استقامة أو اعوجاج وكبر أو صغر وبياض أو سواد وصفاء أو كدورة كما ذكرنا في صورة المرآة بلا فرق .

والحاصل هذا في الصورة الذهنية وقد ظهر لمن نظر في كلامِنا هذا واعتبر بأنّ العلم فيها نَفسُ المعلُوم ، لا يشكُّ إلّا مَن علّمه التقليد أو جاهل أخطأهُ التوفيق والتسديد ويطلقون على هذا العلم أنّه من مقولة الكيف وهو الأصح فيه لا أنّه من مقولة الإضافة أو الانفعال ، وهذا الذي ذكرنا قسمٌ من العلم ولا يتحقق هذا في حق الواجب جلّ وعلا ، لأنّه لا يتصوّر ولا يفكّر ولا يروّي ولا يهمّ ، وإنّما العلم في حقه تعالى وما ينسب إليه سبحانه قسمان :

أقسام العلم المنسوب الى الله تعالى

١ ـ العلم الذاتي

أحدهما : العلم الذاتي ، وهو نفس الذات بلا تعدّد ولا مغايرة ولا اختلاف لا في نفس الأمر ولا في الاعتبار ، والفرض أو حيثيّة بل هو الله تعالى بحكم الأحديّة البَحت والاتّحاد الصرف ، وقد ثبت بالدليل العقلي والنقلي أنّه بذاته عالمٌ ولا معلوم(١) ، يعني معه في الأزل ، وهذا حكم أزليٌّ أبديٌّ ديمومي ، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان ، وبهذا العلم الذي هو ذاته عالم بذاته بلا مغايرة ولا تعدّد حيثيّة ولا كيف لذلك ، لأنّه ذاته ولا كيف لذاته ، وقولنا هو علم ومعلوم تعبير للتفهيم ، وهذا باب قد سدّه الغني المطلق عن كلّ من سواه ،

---

(١) قال عليه السلام : (. . . أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل ، فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزله ومن قال : كيف ؟ فقد استوصفه ومن قال : فِيمَ ؟ فقد ضمنه ، ومن قال على مَ ؟ فقد جهله ، ومن قال : أين ؟ فقد أخلا منه ، ومن قال : ما هو ؟ فقد نعته ، ومن قال : إلى مَ ؟ فقد غاياه ، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق ، وربّ إذ لا مربوب ، وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون) . الكافي : ١ / ١٤٠ ح ٦ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ١٦٦ ح ١٠٦ ، وتوحيد الصدوق : ٣٦ ح ٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٦ ح ٥١ .

فمن تكلّم في بيان هذا فهو يتكلم في الخلق ويصف به الخالق وهو مشرك حكمه ووصفه كما قال تعالى : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[١] ، ولقد أجاد عبد الله بن القاسم السهروردي[٢] في قصيدته في وصف السالكين في نحو هذا المقام حيث يقول :

ثُمَّ غَابُوا مِن بَعدِ مَا اقتَحَمُوهَا   بَينَ أَمواجِهَا وَجاءَتْ سُيُولُ
قَذَفَتهُم إِلى الرُّسُومِ فَكلٌّ   دَمعُهُ فِي طُلولِهَا مَطْلُولُ

وقد تقدمت الإشارة إلى بيان : كان عالماً ولا معلوم .

٢ ـ العلمُ الحادث

وثانيهما : ولا ثاني ، وإنّما هذا لأجل التعبير والبيان : العلمُ الحادث وله مراتب متعددة وكلّه خارجي إذ لا ذهن له ، ومن قال بأنّه في نفسه كتصورّنا في أنفسنا وهو دليل ذلك وآيته ، أو بأنّه في ذاته بالقول قبل الإيجاد ، ثم كان بعد الإيجاد بالفعل إذ لا يعقل

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٣١ .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن علي الميابخي ، السهروردي ، الهمداني ، ويعرف بعين القضاة (أبو المعالي) حكيم ، فقيه ، شاعر ، صوفي أخذ عن عمر الخيام وأحمد الغزالي ، وصلب بهمذان (٥٢٥ هـ ـ ١١٣١ م) . من تصانيفه : زبدة الحقائق ، مدار العيوب في التصوف ، والرسالة اليمينية . انظر طبقات الشافعية للسبكي : ٤ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧ وكشف الظنون لحاجي خليفة : ٩٠١ .

علم بالفعل ومعلوم بالقوة ، أو بأنّه هو ذاته باعتبار وغيرها باعتبار ، أو بأنّه هو المعلوم والمعلوم المخلوقات وهي الآن أي قبل وجودها في ذاته ، كما هي الآن بعد وجودها في تفصيلها على وجه أكمل لا ينافي الوجوب والبساطة ، أو بأنّه ظِلّ لعلمِه بذاته معلّق به كالشعاع من المنير أو بأنّه هو ماهيّات الأشياء لأنها صور علمية غير مجعولة مستندة إلى ذاته أو غير ذلك ، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً .

مراتب العلم الحادث

واعلم أنَّ مراتب هذا العلم متعددة بتعدّد مراتب المعلومات لما بينّا ونبيّن مِن أن العلم نفس المعلوم ، أعلاها العلم الإمكاني وهو العلم الممكن الراجح الإمكان ، وبعده العلم الكوني ، وبعده العلم العيني ، وبعده العلم الجوهري ، وبعده العلم الهوائي ، وبعده العلم المائي ، وبعده العلم الناري ، وبعده العلم الهبائي ، وبعده العلم الظلّي . وهكذا ، وهذا الذي ذكرناه من التقسيم تقريبي لأنَّ الحقيقي لا نحصيه وما أحصيناه منه لم يمكن ذكره وإنّما ذكرنا هنا تقريباً للتعريف .

وهذا العلم بجميع مراتبه علم حصولي يعني أنّه حاصل للعالم به ، كلّ قسم منه في مرتبتِه بنفسه يعني أنَّ هذا العلم كلّ قسم حاصل في رتبته له تعالى بغير حصول أو نسبة إليه تعالى غير نفسه .

وإن شئت قلتَ : إنه بجميع مراتبه علم حضوري كلّ حاضر في رتبته عنده عزّ وجلّ حضوراً هو نفس ذلك العلم ، يعني أن وجوده في رتبته عنده تعالى هو حصوله له وحضوره عنده فافهم .

فعلى ما قررناهُ ، يكون علمه الذي هو هو ليس بحضوري ولا حصولي ولا يعلم ذلك إلّا هو ولا نعرف له اسماً ولا علّمنا هو تعالى باسمه إلّا أنه هو الله تعالى .

وأمّا علمه الحادث فلك أن تقول إنّه حصولي ، أي حضوري هو ذات الحاصل الحاضر أو إنّه حضوري : أي حصولي هو ذات الحاضر الحاصل ، فإنَّ الأشياء حاضرة عنده حاصلة له كلٌّ في مكانه وزمانه وهو أقرب إليها من أنفسها بلا انتقال ولا تحوّل مِنْ حال إلى حال ، لأنّه في الأزل لم يزل لا يخرج عنه لأنه هو ذاته وهي في الإمكان لا تخرج عنه إلى الأزل ، لأنَّ الأزل هو الله تعالى ولا يدخل فيه غيره .

وأنت ، إذا نظرتَ بعين البصيرة الصائبة وجدتَ علمنا كذلك ، فإنَّه في الحقيقة حضوري حصولي لا فرق بين التصوري وغيره ، لأنّا قد قلنا : إن مراتب العلم الحادثِ سواء كان علماً لله سبحانه أم عِلماً لخلْقه إنّما يحصل كلّ فرد من أفراده للعالِم به في مكان ذلك الفردِ ووقتِه وذلك رتبتُه بالنِّسبة إلى ذي العلم . فكما قلنا : إنَّ علمه الحادِث عزّ وجلّ كلّ فرد منه حاصلٌ له وحاضِرٌ عنده في رتبته من مكانِه ووقتِه ، فكذا علمنا فإنَّ عِلمَنا الخيالي

إنّما هو حاصل لنا وحاضر عندنا في خيالنا الذي هو رتبة التّصور وفي أسفلِ الدَّهر ، وكذلك ما عِندنا من الرَّقائِق فإنّه حاصل لنا وحاضر عندنا في رتبته من أرواحِنَا ، وكذلك ما عندنا من المعاني فإنّه حاصل لنا وحاضر عندنا في رتبته من عُقُولِنا . وكذلك زيد إذا حضر معنا فإنَّ حضوره ووجوده حاصل لنا وحاضر معنا في رتبته من مكاننا ووقتِنا ، فنسبة وجود زيد وحضوره عندنا وحصوله لنا إلينا كنسبة وجود صورته إذا غاب عنّا وحصولها لنا إلينا ، فكلّ منهما في محلٍّ وجودِه ووقتِه حاصل لنا وحاضر عندنا في رتبته مِنْ مشاعِرنا ومداركنا الظاهرة والباطنة .

وقولي بأنَّ الأشياء حاضرة عنده حاصلة له كلّ في مكانه وزمانه وهو أقرب إليها من أنفسها بلا انتقال إلى آخره ، مرادي بهذا تقرير أنَّ علمه تعالى بها لم يكن خلواً منه في الأزل .

وبيانه : أنّه تعالى أقرب إلى كلّ شيء من خلقه من نفسه إليه قرباً لا يتناهى فلا يفقد شيئاً من خلقه في مكانه ووقته أزلاً وأبداً ، وذلك الشيء لم يقرب منه تعالى حين قرب هو تعالى منه ، وفي حال قربه تعالى من ذلك الشيء في مكانه ووقته لم يتحوّل من أزليّته بل هذا القربُ الذي لا يتناهَى هو بعينه بعدهُ عنهُ بُعداً لا يتناهَى بجهة واحدة ، فهو تعالى في الأزل إذ هو الأزل وقرب من عبده الذي هو معلومه وهو علمهُ به قُرباً لا يتناهَى من غير انتقال عن حاله الذي هو عليه قبل كلِّ شيء .

وذلك لأنَّ الإمكان خلقه الله تعالى بمشيئته لأنه مكان مشيئته ومتعلّقها وهي طبق الإمكان لا تزيد عليه ، فيقع الزائد منها على الواجب تعالى أو الممتنع المفروض في العبارة ، ولا تنقص عنه فيكون الزائد من الإمكان عليها خارجاً عنها ، وأين يخرج إلى الذات الواجب تعالى وهو محال ، لأن الطريق مسدود كما قال أمير المؤمنين عليه السلام على أنَّ الخارج عن المشيئة ليس ممكناً ، بل هو القديم والقديم ليس من الممكن ليدخل فيه أو يخرج منه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، أو يخرج الزائد إلى المحال المفروض وليس شيئاً وإنّما هو لفظٌ لا معنى له ، ولو كان له معنىً لكان معلوماً له تعالى ، وكلّ معلوم له غير ذاته فهو خلقه وأحدثه ، مع أنه تعالى لا يعلم المحال الذي يظنّه الجاهلون معلوماً ومتصوّراً وإنّما هو لفظٌ لا معنى له إلّا المخلوق .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ﴾(١) فأخبر بأنه لا يعلم له شريكاً في الأرض ، وفي الآية الثانية : ﴿ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾(٢) ثم قال تعالى : ﴿ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ﴾(٣) أي لفظ لا

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٣ .
(٢) سورة يونس ، الآية : ١٨ .
(٣) سورة الرعد ، الآية : ٣٣ .

معنى له إلّا المخلوق كهُبل فإنه تعالى قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ ﴾(١) .

ولا مفهوم له إلّا ما يراد به من المصداق كهبل واللات والعزّى وأمثالها ، فقد خلق الله تعالى الإمكان وما فيه من الممكنات ، وهو طبق المشيئة والإمكان وما فيه لا غاية له ولا نهاية ، فكلّ معلوم أو مكون أو مفروض أو متوهّم أو مقدّر فهو شيء محدث خَلَقه الله تعالى ، وكلّ الإمكان وما فيه عند الله سبحانه نقطة أحاط به علماً وأحصاه عدداً .

وإن كانت غير متناهية في أنفسها وعند الخلق فهي عنده تعالى متناهية محصورة بالأزل الذي هو الأبد أوّلاً بلا أول وآخراً بلا آخر ، يا من هو قبل كلّ شيء ، يا من هو بعد كلّ شيء ، وأزله ذاته وأبده ذاته ، فالأزل عين الأبد والإمكان ، الذي هو عندنا وفي نفسه لا يتناهى أوّلاً وآخراً مع ما فيه من الممكنات التي لا تتناهى محبوس محصور عنده تعالى في خزانة قدرته لم يفقده في حال ، لا فيما لم يزل ولا فيما لا يزال ، فإذا فهمت هذا وفهمت أنه تعالى استوى إليها فليس أقرب إلى شيء منه إلى شيء آخر وإن اختلفت نسبتها إليه .

وفهمت ما ذكرنا قبل هذا من أنه تعالى لم يفقد شيئاً منها من

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٢٠ .

مكانه ووقته فيما لم يزل ولا فيما لا يزال ، بل كلّ شيء حاضر عنده تعالى في مكان ذلك الشيء ووقته ليس فيها بالنسبة إليه تقدّم ولا تأخر ، وإن كانت كذلك في أنفسها ليس عند ربّك زمان فليس شيء حاضر عنده في مكانه ووقته قبل شيء ، وإن كانت متفاوتةً في أزمنتها وأمكنتها في التقدم والتأخر ، فقول الصادق عليه السلام : (**لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور**)(١) .

يريد عليه السلام أنّه تعالى إذا كان العلم ذاته لم يكن المعلوم في ذاته لأنَّ الأزل هو ذاته وليس في الأزل شيء من المعلومات سواه تعالى ، فلمّا أحدث المعلوم وجد المعلوم والعلم الذي وقع

---

(١) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .
ولفظه في التوحيد : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور**) قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟
قال : (**إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم**) .

عليه ليس هو الذاتي ، لأن العلم الذاتي هو الله ولا يصح أن تعتقد أو تقول أو تتصوّر بأن الله تعالى لما أحدثك وقع عليك ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فإنّه يلزمك أن يكون الله واقعاً عليك ومقترناً بك ومتحوِّلاً من حال إلى حال ، فإنّه كان قبل أن يحدثك غير واقع على شيء ولا مقترناً بشيء ولا متحوِّلاً من حاله الذي كان عليه ، إنه كان ولا شيء معه فلمّا أحدثكَ تحوّل عن حاله الأول وكل متحوّل من حال إلى حال محدث مصنوع ، فإذا يكون الواقع على المحدث شيء آخر غير الله تعالى .

وكلّ ما سوى الله فهو خلقه ، وكوّنه بعد أن لم يكن فهو معنىً فعليٌّ لا ذاتيٌّ ، والفعل بجميع أقسامه وأحواله محدث ، مثال هذا أنّك تكون وحدك في مكان ليس فيه غيرك فأنتَ سميع ولا مسموع وبصير ولا مبصر ، فلمّا حضر عندك زيد وقع البصر منك عليه وتكلّم فوقع السمع منك على المسموع ، وليس الواقع منك من البصر والسمع ما كان عندك قبل ذلك وإنّما هو إدراكك للمبصر والمسموع ، وهو معنىً فعلي فإن لم تفهم مثالي هذا وبياني فلا كلام لي معك ، وإن فهمتَ ذلك قلتُ لك هذا هو آيةُ ما ذكرتُ لك في حقه تعالى فإنّه يقول : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(١) .

---

(١) سورة فصّلت ، الآية : ٥٣ .

وقال الصادق عليه السلام : (**العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فُقِد في العبودية وجد في الربوبيّة وما خفي في الربوبيّة أُصيبَ في العبودية**)[١] .

واستشهد بالآية .

فما دام زيدٌ عندك فأنت عالم بوجوده وعلمُك بوجوده كونه حاضراً عندك حاصلاً لك ، لأن علمك بوجوده وحضوره إدراكك لوجوده وحضوره فأنت تدرك وجوده بذاتِك أو بفعل منك أو بنفسِ وجوده لا سبيل إلى الأول ، لأنك كنتَ وذاتك موجودة ولم تدرك وجود زيد قبل أن يأتي إليك وبصرك موجود ولم تبصره قبل أن يأتي إليك .

وإن فرضتَ ذلك وجعلتَ لذاتِك حالتين حالة الفقدان وحالة الوجدان .

قلتُ لك : أنت لا تعرف الله بشيء له حالتان متغايران ، وهذا معلوم ، وإنّما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**مَن عرف نفسَهُ فقد عرف ربّه**)[٢] ، لأنّه يريد أن تعرف نفسك بأنَّ لها حالاً

---

(١) مصباح الشريعة : ٧ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧ ، والأصول الأصيلة للفيض الكاشاني : ١٩٣ ، وتفسير الصافي : ٢ / ١١٢١ تفسير سورة السجدة .

(٢) انظر شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢/ ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١/ ١٥٦ ، =

واحدة لتعرف الله بذلك لأنَّ الله تعالى ليس بمختلف الأحوال ليُعرفَ بمختلفِ الأحوالِ .

ولا سبيل ، إلى الثاني لأنّه يلزم منه أن كونه مدركاً لك صدر عن فعل منك ولو كان كذلك للزم أنّك يمكنك ألا تدركه إذا حضر عندك بغير حجاب منه ولا منك ، مثلاً إذا حضر عندك غير محتجب ولا مستتر هو وأنت لم تغمض عينيك عنه وأنت صحيح الإبصار ، وأردتَ ألا تراه أنّك لا تراه لأنَّ الفعل اختياري من الفاعل لأنَّ الفاعل إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ، مع أنّك لا تقدر على ذلك وإنّما إذا أردتَ ألا تراه حجبته عن بصرك بإغماض العينين أو بإلقاء ساتر عليه أو بصرفه عن حضورك وما أشبهه ، والعلّة في ذلك هو الوجه الثالث ، وهو أنّك تُدرك وجوده بنفس وجوده ، فإنَّ نفس حُضوره عندك هو علمك بحضوره وليس عندك شيء من العلم بحضوره حين حضر إلّا نفس حضوره لكنّك حين حضوره لم تكن جاهلاً بحُضُوره ، ولو لم يكن حضوره لم تكن عالماً به ، وإذا لم تكن عالماً بما لم يكن شيئاً لم تكن جاهلاً ، إذ الجهل إنّما يقال للشيء إذا لم يحصل له ما كان موجوداً ، ولهذا قال تعالى : ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١) فحيث لم

= وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ ـ ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة ـ البحث الروائي .

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٣ .

يوجد له شريك وقال إنّه لا يعلم له شريكاً لا يقال له جاهل ، ووجود شيء من كلّ ما سواه في الأزل محال كوجود شريك له في أزليَّتهِ وإلهيّته وربوبيّتِه وخلقه وعبادته .

فكما جاز أنَّه لا يعلم له شريكاً ، جاز أنّه لا يعلم في الأزل غيره وهذا معنى قوله عليه السلام : (**كان الله عزّ وجلّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم**) ، يعني عنده في الأزل لاستلزامه الاقتران والمطابقة وحضوره في غير وقته ومكانه وتغايُرَ الأزلِ وتعدُّدهُ ، لأنَّ العلم تلزمه المطابقة للمعلوم أو الاتحاد به والاقتران وحضور المعلوم عند العالم في مكان حدوده وزمان وجوده ، فلو وجد هناك معلوم غيره كان العِلمُ الذي هو ذاته تعالى مقترناً به ومُطابقاً له أو مُتَّحِداً به وإلّا لم يكن علماً به . والله تعالى هو ذلك العلم ، ولا يجوزُ أن يكُونَ تعالى مقترناً بغيره أو مُتَّحِداً به ومطابقاً له ، لأنَّ ذلك صفةُ المصنوع ولا يجوزُ ذلك على القديم .

فتدبّر ما ذكرت لك مُكرّراً مُردداً لمن يتشبَّه في هذا المعنى لعلّه يتذكر أو يخشى .

كيفيّة علم الله سبحانه بالأشياء

قال : أمّا بعد : فيقول الفقير إلى ربّه المهيمن محمد بن مرتضى المدعو بمحسن ، طهّر الله سريرته ونوّر بصيرته : هذا لُباب القول في الإشارة إلى كيفيّة علم الله سبحانه بالأشياء كليّاتها وجزئيّاتها ،

معقولاتها ومحسوساتها ، بحيث لا يثْلم في وحدته وبساطته ولا يقصر عن حيزته وإحاطته على الوجه الذي يوافق الأصول الحكميّة ويطابق القواعد الدينيّة ، ولا تناله أيدي المناقشات ولا تطول عليه ألسنةُ المؤاخذات كتبتُه بالتماس ، ولدى الموفّق للهدى محمّد الملقّب بعلم الهدى زاده الله في الفهم وصفّى عقله عن شوائب الوهم ، فإنّها أغمض المسائل الحكميّة مدلولاً وأدقّها دليلاً وأعزّها منالاً وأوعرها سبيلاً ، حتى أنَّ قوماً من البارعين في الحكمة زلّت فيها أقدامهم وقصّرت عن بلوغ ذروتِها أفهامهم ، وإنّما التأييد من الله في الوصول ونبين ذلك في أصول .

أقول : قد تقدّم أنَّ المراد بالعلم الذي يتكلّم فيه هو العلم الذّاتي وهو المستفاد من كلماته فيما بعد ، وعلى هذا فقوله في الإشارة إلى كيفيّة علم الله سبحانه بالأشياء ليس بصحيح ، لأنَّ الكيفيّة إنّما هي لما يُجَاب به السُّؤال عن كيف هو وهي الصّفة التحديديّة ، وضبط الشيء بمميّزاته وكلّ ما له كيفيّة معلومة مدركة لمخلوق فهو حادِث فكيف يصح وصف القديم بصفة الحادث فقد ذكر القديم ووصفه بالحادث .

فإن قلتَ : لا يريد بالكيفيّة الكيفيّة التّحديديّة وإنّما يُريدُ بيانَ العِبَارة عن كونه عالماً بها .

قلتُ : إذا كان بيّن وجه تعلّقه بالمحدثات فقد كيّفه ولا نعني بالكيفيّة الممنوع منها إلّا هذا .

فإن قلت : إنّه قال بحيث لا يثلم في وحدته وبساطته ولا يقصّر عن حيزته وإحاطته وهو دليل على أنه لا يريد كيفيّة الحادثات .

قلتُ : إنَّ قوله بحيث لا يثلم في وحدته إلى آخر كلامه لا يصحح ما كان باطلاً ، فلو أنَّ شخصاً وصف الله بالجسمية والتركيب وقال على وجه لا يثلم في وحدته الخ ، فقد أبطل ووصف الله بصفات خلقه وكيف يكون كلامه هنا دليلاً على صحة ما قال وهو يصف ذلك ويميّزه ، ولو كان هذا حال القدم لما أمكنه هو ولا أحد من الخلق أن يصف حال القديم ، لأنّه يصف ما أدركهُ وليس أحدٌ من الخلق يدرك شيئاً من وصف القديم ، ووصفه لذلك دليل على التكييف والتحديد ، اللذين لا يجريان على القديم .

وقوله : كليّاتها وجزئيّاتها معقولاتها ومحسوساتها ، يريد به جميع الأشياء مما في الغيب والشهادة ، مما في الخارج والأذهان ، وفي هذا إشارة إلى أنّه تعالى ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ ، وفيه إشارة إلى الرد على من قال : بأن ما في الذهن ليس بوجود ولا من الموجود ، وعلى من قال : بأنّ النفس تخترع الصور ، كما ذهب أستاذه صدر الدين الشيرازي(١) ، وظاهر لمن

(١) هو محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) حكيم ، من أهل شيراز . توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م . =

تتبّع كلماته ، أنّه يقول بقوله ولا يخرج عن مذهبه . ولعلّ قوله هنا مبني على العبارة التي تجري على الطبيعة من أن كلّ شيء خلقَهُ الله كما قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾(١) ، فإنّه يقول بها هو وغيره ويقولون بأنّ كثيراً من الأشياء يوجدها الخلق ، وكلامه من هذا القبيل .

وقولي : إنَّ في قوله كليّاتها وجزئيّاتها ، الخ . إشارة إلى الردّ على من قال . . الخ . ليس مرادي به أنّه أراد الردّ عليهم كيف وهو قائل بقولهم : وإنّما مرادي أن كلامه يلزم منه الردّ عليهم بل وعليه .

وقوله : على الوجه الذي يوافق الأصول الحكمية ، صحيح أنَّ أكثر ما يقول به يوافق كلام الحكماء ولكن الحكمة اختلفت وتناقضت بين الحكماء والناقلين عنهم والمترجمين لكلماتهم ، فلذا كثر غلط من أخذ عنهم ، وذلك لأن الحكمة كانت مأخوذة من الوحي ، وكان شيث على محمد وآله وعليه السلام نشرها

= رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية .
انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ ـ ٣٨١ ، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩ .

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٦ .

وأخذ في تقريرها على ما يأتيه الوحي فيها إلى زمن إدريس على محمد وآله وعليه السلام ، فدوّنها وبحثَ فيها على طريقة الوحي من الله تعالى وتلقّاها الحكماء عن الأنبياء عليهم السلام وعن مشايخهم إلى أن وصلت إلى أفلاطون[1] وانقسمت الحكماء الآخذين عنه إلى إشراقيين الذين أشرقت نفسه على نفوسهم ، بمعنى أنهم فهموا مراده في رُموزاته وإشاراته ، وإلى مشّائين شُبِّهوا بأنهم يمشون تحت ركاب أفلاطون إذا ركب كناية عن أنّهم إنما فهموا ظواهر كلامه وأولهم أرسطوطاليس[2] وتبعه أبو نصر الفارابي[3] وتلميذه

---

(١) هو أحد حكماء اليونان واسمه أرسطو قليس بن أرسطون ، ولقب بأفلاطون لعموم نفعه ، ولد سنة ٤٢٧ وتوفي سنة ٣٤٧ قبل الميلاد ، له عدة تآليف منها : العقل ، والربوبية .

(٢) هو المفكر والفيلسوف اليوناني المشهور صاحب الفكر الكبير ، له جملة من الآراء والمؤلفات تمّ ترجمتها إلى العربية وتأثر البعض بها .

(٣) هو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي ، ويلقب بالمعلم الثاني (أبو نصر) حكيم ، رياضي ، طبيب ، موسيقي عارف باللغات التركية والفارسية واليونانية والسريانية .
ولد في فاراب سنة (٢٦٠ هـ ـ ٨٧٤ م) ، وأحكم العربية ولقي متى بن يونس فأخذ عنه وسافر إلى حران ، فلزم بها يوحنا بن جيلان ، وسافر إلى مصر ، ثم رجع إلى دمشق فسكنها وتوفي بها في رجب سنة (٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م) .
من تصانيفه الكثيرة (٣) : آراء أهل المدينة الفاضلة ، المدخل إلى صناعة الموسيقى ، إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها ، المدخل إلى علم المنطق ، وتحصيل السعادة .
انظر البداية والنهاية لابن كثير : ١١ ـ ٢٢٤ .

أبو علي بن سينا[(١)] ، وكان الحكماء يتكلمون ويكتبون باللغة السريانيّة وعُربت كتبهم فحصل الغلط في الحكمة من وجهين :

اختلاف الحكمة بين الحكماء والناقلين عنهم

١ ـ خطأ الاستنباط

الأول : أنَّ الحكماء وإن قرؤوا على الأنبياء عليهم السلام المؤيّدون[(٢)] بروح القدس والعصمة[(٣)] لكنهم يأخذون عنهم ويفرّعون عليها بعقولهم ويستنبطون معان لم يسمعوها بخصوصها

---

(١) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، ثم البخاري ، ويلقب بالشيخ الرئيس (أبو علي) فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، مشارك في أنواع من العلوم .
ولد بخرميشن من قرى بخارى في صفر (٣٧٠ هـ ـ ٩٨٠ م) ، وتوفي بهمذان في رمضان سنة ٤٢٨ هـ ـ ١٠٣٧ م) .
وفي الكامل لابن الأثير : مات بأصبهان في شعبان .
من تصانيفه الكثيرة : القانون في الطب ، تقاسيم الحكمة ، لسان العرب في اللغة ، الموجز الكبير في المنطق ، وديوان شعر .
انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : ٤ / ١٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٩ / ١٥٧ .

(٢) في نسخة : المؤيدين .

(٣) في الكافي روى أبو بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] قال : (**خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله=**

من أهل العصمة عليهم السلام ، فيقع الغلط في استنباطاتهم ومقايساتهم لأنهم ليسوا بمعصومين . كما يقع الغلط في استنباط علماء الشريعة ، فإنهم يأخذون أحاديث أهل العصمة من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله ويستنبطون منها الأحكام ، ويقع في بعض استنباطاتهم الغلط والخطأ ، وإن كان أصل دليلهم من كلام أهل العصمة عليهم السلام وكذلك الحكماء .

= **وهو مع الأئمة عليهم السلام يسدّدهم وليس كلّ ما طلب وجد)** أصول الكافي : ١ / ٢٧٣ ح ٤ ، وبصائر الدرجات : ٤٥١ ـ ٤٤٥ ، ونور الثقلين : ٤ / ٥١٣ ح ٢٣ مورد آية المؤمن ١٥ .

وعن الإمام العسكري عليه السلام في قصة ولادة الإمام المهدي عليه السلام وحكيمة : (فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال : **(يا عمة تناوليه وهاتيه فتناولته وأتيت به نحوه ، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني والطير ترفرف على رأسه وناوله لسانه فشرب منه ، ثم قال : امضي به إلى أمه لترضعه ورديه إلي)** قالت : فتناولته أمه فأرضعته فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له : **(احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً)** فتناوله الطير وطار به في جوّ السماء واتبعه سائر الطير فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول : **(أستودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى)** فبكت نرجس فقال لها : **(اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما ردّ موسى إلى أمه ، وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص : ١٣])** قالت حكيمة : فقلت : وما هذا الطير ؟ قال : **(هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم)** .

روضة الواعظين : ٢٥٩ ، وكمال الدين وتمام النعمة : ٤٢٩ باب ٤٢ ح ٢ ، والأنوار النعمانية للجزائري : ٢ / ١٨ ، وبحار الأنوار : ٥١ / ١٤ ح ١٤ .

٢ ـ خطأ المترجمين ووجوهه

والثاني : أنَّ كتبهم كلها باللغة السريانيّة فترجموها العلماء وجاء الغلط من جهة الترجمة من وجوه :

الوجه الأول : أنَّ من المترجمين من ليس له قوّة في لغة السريانية أو تكون له قوّة ، وليس له قوة في اللغة . كما لو ترجم شخص لغة الفارسيّة فوجد فيها شير ففسّره بالسبع ، وربّما كان مراد الكاتب الحليب أو بالعكس ، وربما لم ينقط الشين أو انمحت نقطها ، فقال : سير بالمهملة ففسرها بالفوم وهو يريد الشّبع ضد الجوع أو بالعكس فيبطل المعنى بهذا التغيير .

الوجه الثاني : ربّما يكون المترجم جاهلاً بالعلم فيرى في علم الصناعة ، مثلاً أنَّ لبن الكلبة يعقد الزيبق إذا نضج وفسّره بلبن الكلبة المعروف ، وهم يريدون الماء الخالد بعد التشبيب ، كما هو موجود في الكتب الخُذْخُذِيّات ، فإنَّها من هذا القبيل والغلط من عدم العلم باصطلاح أهل الفن فيقع الغلط من سوء فهمه وعدم معرفته بالفنّ .

الوجه الثالث : أنَّ بعض المترجمين يفسرون الكلام بتمامه بمثله وهذا قليل الخطأ ، كما لو ترجم قسم بُخُور في اللغة الفارسيّة فقال معناه أحلف ، وبعض المترجمين يفسّر كلّ كلمة برأسها فيكثر غلطه كما لو فسر قسم بخور بأن قسم بمعنى اليمين

وبُخور بمعنى كُلّ ، فإنَّ المعنى يبطل لأنَّه يكون معنى قسم بُخور كُلِ اليمينَ وأمثال ذلك .

فلما حصل التغيير في الحكمة من استنباط الحكماء ومن المترجمين كثر غلط الحكمة ، فإن أخذتَ الحكمة وصحّحتها بحكمة أهل العصمة عليهم السلام صحّت .

ومعنى تصحيحها أن تجعل كلامهم عليهم السلام دليلك وتكون أنت تابعاً متعلِّماً لا أنّك تصرف كلامهم ، وتوجّه بكلام الحكماء والمتكلمين وأهل التصوّف وتجعل مرادهم عليهم السلام هو ما أراد الصوفيّة والحكماء ، كما فعل هذا الملّا في سائر كتبه يعتقد كلام مميت الدين ابن عربي(١) ورابعة العدوية(٢) وأبي يزيد البسطامي(٣)

---

(١) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي .
ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .
مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .
انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

(٢) هي الصالحة أم الخير رابعة ابنة إسماعيل العدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان عصرها ، وكنيتها أم عمرو ، انظر تاريخ الإسلام للذهبي : ١١ / ١١٧ ، ووفيات الأعيان : ٢ / ٢٨٥ .

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأنطاكي ، الحنفي البسطامي ، نزيل بروسه .
عالم مشارك في أنواع من العلوم في الحديث والتفسير والفقه والتاريخ وخواص الحروف والتصوف . =

وابن عطاء الله[1] وغيرهم ، ويأتي إلى كلام جعفر بن محمد وآبائه وأبنائه عليهم السلام ، ويصرفه إلى كلام أعدائهم ، ويقولون : نحن معاشر الإخباريّين لا نقول إلّا بكلام أئمتنا عليهم السلام ، هذا وقد قال في أنوار الحكمة هكذا قال : نور تَكَلُّمُه سبحانه عبارة عن كون ذاته ، بحيث تقتضي إلقاء الكلام الدالّ على المعنى المراد لإفاضة ما في قضائه السّابق من مكنونات علمه على من يشاء من عباده ،

= ولد بأنطاكية ، وأقام بالقاهرة وببروسة إلى أن توفي سنة (٨٥٨ هـ ـ ١٤٥٤ م) .
من مؤلفاته الكثيرة : نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك ، الفوايح المسكية في الفواتح المكية ، لوامع أنوار القلوب وجوامع أسرار الغيوب في علم الحرف ، وكيمياء السعادة الربانية وسيمياء السيادة الروحانية ، وتلخيص تهذيب الأسماء واللغات للنووي سماه بالفوائد السنية .
انظر كشف الظنون لحاجي خليفة : ٥٠ / ٦٢ ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة : ٥ / ١٨٣ .

(١) أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري ، الجذامي ، الشاذلي ، الشهير بابن عطاء الله (تاج الدين ، أبو العباس ، وأبو الفضل) صوفي مشارك في أنواع من العلوم كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو والأصول .
توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة (٧٠٩ هـ ـ ١٣٠٩ م) .
من مصنفاته : التنوير في إسقاط التدبير في التصوف ، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح ، لطائف المتن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن أصول مقدمات الوصول ، والمرقى إلى القدير الأبقى .
انظر طبقات الشافعية للسبكي : ٥ / ١٧٦ ـ ١٧٧ ، وإيضاح المكنون للبغدادي : ١ / ٩٣ .

فإنَّ المتكلم عبارة عن موجد الكلام والتكلم فينا ملكةٌ قائمة بذواتِنا نمكّن بها من إفاضة مخزوناتنا العلميّة على غيرنا وفيه سبحانه عين ذاته إلّا أنّه باعتبار كونه من صفات الأفعال متأخّر عن ذاته .

قال مولانا الصادق عليه السلام : (**إنَّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم**)[١] .

ثم قال : وتمام الكلام في كلامه عزّ وجلّ يأتي في مباحث الكتب والرسل إن شاء الله ، انتهى كلامه .

فانظر في كلامه حيث جعل تكلّم الله سبحانه عين ذاته واستدلّ على أنّه وإن كان قديماً ، إلّا أنّه لمّا كان من صفات الأفعال كان متأخراً عن ذاته تعالى بقول الصادق عليه السلام .

وصرف كلامه عليه السلام إلى كلام الأشاعرة القائلين بالكلام النفسي ، وإلى مذاهب الصوفيّة الفجرة القائلين بوحدة الوجود ، بأنَّ صفات الأفعال عين ذاته لإجماع العقلاء من

---

(١) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .

ولفظه في التوحيد : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : **(لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور)** قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟

قال : (**إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم**) .

المسلمين وغيرهم على أنَّ الفعل محدثٌ وصفات الفعل صادرة عنه ، فكيف يكون الصادر عن الحادث عين القديم فيا لهم الويلات إذا كان هُوَ أحدث الفعل ، والكلام من صفات الأفعال والتكلّم كذلك يعني أحدثه يكون عين ذاته فيكون أحدث ذاته وقد صرّح بهذه اللفظة الخبيثة المجتثّة من فوق الأرض ما لها من قرار .

فقال في الكلمات المكنونة(١) بعد ما صرّح بأن الكون كان كامناً فيه معدوم العين ، ولكنّه مستعدٌ لذلك الكون بالأمر : ولمّا أمر تعلّقت إرادة الموجد بذلك واتّصل في رأي العين أمرهُ به ظهر الكون الكامن فيه بالقوة إلى الفعل ، فالمظهر لكونه الحقُّ والكائن ذاته القابل للكون ، فلولا قبوله واستعداده للكون لما كان فما كوّنه إلّا عينه الثابتَةُ في العلم ، لاستعداده الذاتي غير المجعول

---

(١) هو للمولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ـ كذا قيل ـ ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العملِ ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

وقابليّته للكون وصلاحيّته لسماع قول كن وأهليّته لقبول الامتثال فما أوجده إلّا هو ولكن بالحق وفيه .

أو نقول : ذات الاسم الباطن هو بعينه ذات الاسم الظاهر والقابل بعينه هو الفاعل ، فالعين غير المجعولة عينه تعالى ، فالفعل والقبول له يدان وهو الفاعل بإحدى يديه والقابل بالأخرى والذات واحدةٌ والكثرة نقوشٌ فصحّ أنه ما أوجد شيئاً إلّا نفسه وليس إلّا ظهوره ، انتهى كلامه في كتابه المسمّى بالكلمات المكنونة[1] .

تفهّم ما قال مما هو صريح في القول بوحدة الوجود التي أجمع العلماء على تكفير القائل بها ، وهو يعلم ذلك ، ولكن لأجل متابعته للصوفية الذين هم أعداء أئمّتنا عليهم السلام قال : فصحّ أنّه ما أوجد شيئاً إلّا نفسه وقد قال قبل إنّ الكون كامن فيه .

والحاصل : إن كان مبنى علمه على الأصول الحكميّة مع أنّك سمعتَ ما فيها والقواعد الدينيّة ، وهو يشير بها إلى مثل ما سمعتَ مما أخذه عن الصوفية ، ومثل ما ذكره في الوافي في باب الشقاوة والسعادة وغيره فكيف يدّعي هو أو مَنْ يقول بقوله من أكثر من شاهدتَ أنّه يأخذ من أهل البيت عليهم السلام ، وأنَّ هذا معنى كلامهم فيا سبحان الله معنى كلام محمد وأهل بيته صلى الله

(١) الكلمات المكنونة : ٨٣ كلمة فيها إشارة إلى معنى كن فيكون .

عليه وآله بأنّ الله تعالى ما أوجدَ شيئاً إلّا نفسه ، وأنَّ الله ليس له إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وإنّما له وجه واحد كما قال في الوافي لأنّ علمه مستفاد من حقائق الخلق .

قال : فمشيئته أحديّة التعلق وهي نسبة تابعة للعلم ، والعلم نسبة تابعة للمعلوم والمعلوم أنت وأحوالك ، انتهى[(١)] .

هذا كلامه أخذه من عبارة عبد الرزاق الكاشي في شرحه لفصوص مميت الدين[(٢)] ، فما أدري ما أقول في هذه الأصول الحكمية التي يدّعيها والقواعد الدينيّة التي يشير إليها ويحتذيها ، ولا تتوهّم أنّي وَاجدٌ عليه لا والله إلّا دِفاعاً عن دينِ أئمّتنا عليهم السلام ، فإنَّ كثيراً ممّن يدّعي العلم يعتقد حقيّة كلامه والله سبحانه يقول : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾[(٣)] وهو يقول في الوافي في باب الشقاوة والسعادة : (لو) حرف امتناع لامتناع فما شاء إلّا ما هو الأمر عليه ولكن عين الممكن قابل للشيء ونقيضه في حكم دليل العقل وأيّ الحكمين المعقولين وقع فهو الذي عليه الممكن في العلم ، فمشيئته أحديّة التعلّق وهي نسبة تابعة للعلم والعلم نسبة تابعة للمعلوم والمعلوم أنتَ وأحوالك ، إلى أن قال : فإنّ الممكن قابل للهداية والضّلال من

(١) انظر الفتوحات المكية : ٢ / ٣٣٤ باب ١٧٨ .
(٢) انظر شرح فصوص الحكم : ٥٩٠ .
(٣) سورة السجدة ، الآية : ١٣ .

حيث ما هو قابل فهو موضع الانقسام وفي نفس الأمر ليس للحق فيه إلّا أمرٌ واحِدٌ ، انتهى كلامه في الوافي[(١)] .

والله سبحانه يقول : ﴿ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[(٢)] .

وبالجملة فأنا نصحتُك وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب .

وقوله : ولا تناله أيدي المناقشات .

أقول : إنَّ كان كلامه من نحو ما سمعت نالته أيدي المناقشات وجعلته هباءً منثوراً .

وقوله : فإنّها أغمض المسائل الحكميّة الخ ، صحيح ، ولكن ليس كما يقول لأنّه يقول : إنّا نبحث فيها بالحق ونفهمها ، فإن كان عنى بهذا العلم العلم الذاتي فقد أخطأ ، لأن العلم الذاتي هو ذات الله تعالى ، فكيف يبحث عنه فإنَّ المتكلم فيه لا تزيده كثرة السير إلّا بُعداً . وإن عنى به العلم الحادث فهو حقّ وهو أغمض المسائل الحكميّة لو كانوا يعلمون ، لكنهم لا يعنون إلّا العلم الأزلي الذي هو الله ومع هذا يبحثون عن كيفيّته ، وهو تعالى سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم .

---

(١) ذكره نفسه في الفتوحات المكية : ١ / ١٦٣ باب ١٦ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٥ .

وقوله : زلّت فيها أقدامهم ، كيف لا تزلّ أقدامهم إذا تكلّموا بجهلهم في القِدم .

وقوله : وإنّما التأييد من الله في الوصول .

أقول : الله سبحانه حكيم ما يؤيد الحادث في إدراك القديم بل هذا محال لا تتعلّق القدرة به لأنه ليس بممكن .

بيان العالمية والمعلوميّة والفاعلية والمفعوليّة

قال : أصل ـ اعلم أن العالمية والمعلوميّة هما عين الفاعلية والمفعوليّة ، أو لازمتان لهما ، لأنَّ العلم عبارة عن حصول المعلوم للعالم وليست الفاعلية أيضاً إلّا حصول المفعول للفاعل أو تحصيل الفاعل للمفعول ، فإنّك إذا تصوّرت صورة في نفسك فعينُ تصوّرك إياها عين حصولها لك وعين علمك بها ، وتصوُّرك إياها ليس إلّا إنشاؤك لها في ذاتِك وإبداؤك إيّاها ، مع أنّك لستَ مستقلاً في هذا الإنشاء والإبداء بل أنت محلّ لها وإنّما يفيض عليك ممّا فوقك حين حصول شرائطها فيك واستعدادك لها ، فلو كان الإنشاء منك بالاستقلال لكان أولى بأن يكون علماً لك بها فذاتُك من حيثُ هي مع قطع النظر عن تصوّرك لتلك الصورة متقدّمة على التصوّر والصورة ومن حيث تصوّرها لا تنفكّ عنها .

أقول : العالمية صفة العالِم وهي حالة نسبة العلم إلَيْهِ ،

والمَعْلُوميّة صفة المعلوم وهي حالة نسبة معلوم إليه ، وهذه الصفة حالة العالِم في كونه عالماً بالمعلوم والمعلومية حالة المعلوم في كونه معلوماً للعلم به .

وقوله : هما عين الفاعليّة والمفعوليّة إنّما يصحّ في العلم الفعلي أي عِلم بكذا بمعنى أدْركهُ ، أو أدرك صورته كما مر والعلم الحصولي ليس فعلياً ، ولا الحضوري ، ولا لازماً له ، وأُريدُ بالعلم الحُصولي أو الحضوري هو علمه الحادث المقارن للمعلوم ، أَو الذي هو نفسُ المعلُوم على الاحتِمَالَين ، وهذا العلم الحصولي أو الحُضوري إضافيٌّ مُستَلْزِمٌ لوجود المعلوم . فإذا وجد المعلوم وجد العلم للعالم به وهو حصولُه لهُ أو حضوره عنده ما دام حاضراً عنده في مكانه ووقته ، فإذا فقد المعلوم فُقِدَ العلم ، لأن الحضور أو الحصول لا يتحقّق بدون حاضر أو حاصل ، فلا يكون للعالِم بدون المعلوم لأنَّ العلم هو الحضور أو الحصول ، وهذا العلم حاصل للعالِم في رتبة المعلوم على الأصح سواء قلنا إنّه عين المعلوم أم غيره .

وأما العلم الذّاتي الذي هو الله سبحانه فليس بحضوري ولا حصولي ولا إضافي فلا يستلزم وجوده وجود المعلوم لأنّه غير متعلق به ولا مطابق له وليس معه في مشهد ، فليس بينهما نسبةٌ كما ذكرنا سابقاً ونذكر بعد .

وقوله : لأنَّ العِلم عبارة عن حصول المعلوم للعالم ، صحيح كما قلنا لكن في العلم النسبي الحصولي أو الحضوري لا

الذّاتي ، فإنْ أراد خصوص الذاتي أو مطلق العلم الصادق على الذاتي وغيره ، فقد أخطأ الحق وبعد عن الصواب .

وقوله : وليست الفاعلية أيضاً إلّا حصول المفعول للفاعل أو تحصيل الفاعل المفعول ، هذا ليس بصحيح لأنَّ الفاعليّة هي نسبة أحداث المفعول ، أو التّأثير فيه إلى الفاعل ، أي إلى الذّات الفاعلة بفعلِها للمفعول أو المؤثّرة فيه لا حصول المفعول للفاعل . وإذا لحظنا العلم الفعلي يعني يعلم كذا جاز أن تقولَ هنا : إنَّ العالمية فاعليّة كما ذكرنا لكن لا يجوز أنَّ العلم هنا هو التأثير الملحوظ مِنْ معنى العالِميّة التي هي فاعليّة ، بل العلم حينئذ حصول المفعول أو حُضوره عند الفاعل من حيث وجوده أو حصوله ، لا مِنْ حيث إنّه مؤثر فيه فلا تكون العالميّة هي الفاعليّة بحال .

فقوله : إنَّ العالمية عين الفاعلية ، لأن العلم حصول المعلوم للعالِم والفاعلية حصول المفعول للفاعل ، ليس بصحيح من وجهين :

الأول : أعظمهما وهو جعل هذا بياناً لكيفيّة العلم القديم كما قال ، وذلك العلم لا كيف له ولا يُعرف بهذه الكلمات التي هي صفات الحادث لو صحت .

الثاني : يلزم أن يكون العلم هو حصول المعلوم للفاعل من حيث هو فاعل ، أو حصول المفعول للعالم من حيث هو مفعول وكلّ ذلك باطل .

وقوله : فإنّك إذا تصوّرتَ صورةً في نفسك فعين تصوُّرِكَ إياهَا عين حصولها لك وعين علمك بها ، وهذا ليس بصحيح ، لأن التصوّر معنى فعليّ إنشائي ليس هو عين حصول الصورة لأنَّ التصوّر فعل المتصوّر والحصول من الصورة بعد تمام التصوّر واستقلال الصورة .

وقوله : وعين علمك بها ، يعني تصوّرك عينُ علمِكَ بها وهذا إذا جعل العلم نفس التصور وتحصيل الصورة يكون العلم غير نفس الصورة الحاصلة الذي هو من مقولة الكيف ، وغير حصول الصورة الذي هو من مقولة الإضافة وغير قبول ذي الصورة للصورة الذي هو من مقولة الانفعال ، فهذا هو الفعلي الذي يحدث عنه المعلوم كما ذكرناه سابقاً وهو غير الحصول وغير نفس الصورة الحاصلة ، ولا بأس ، لأن هذا نوع من العلم ، إلّا أنّه لا يكون هذا العلم إلّا مع المعلوم وهو غيره لأنَّه الفعل ، والمعلوم هنا مفعول والفعل غير المفعول ، فإذا كان لا يوجد إلّا مع المفعول لأنه فعل ، والفعل لا يوجد قبل المفعول ، فكيف يجعله أصلاً وصفةً يكشف عن حقيقة القديم .

وقوله : وتصوّرك إيّاها ليس إلّا إنشاؤك لها في ذاتك وإبداؤك إيّاها فيه ، أنَّ قوله في ذاتِك ليس بمتّجه لأنّ التصوّر يقع في محلّه منك ، والمحل المعدّ للصورة هو الخيال والنفس وأنت قبل التصور ليس عندك شيء ، وبعد التصور حصل عندك الصورة

في الخيال أو النفس ، فقد كان لك حالتانِ وإذا جعل هذا بياناً لعلم القديم لزم أن يكون القديم فاقداً في ذاته قبل الخلق ، واجداً في ذاته بعد الخلق ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، وليس لك أن تقول إنّما عنى علم الحادثين والمخلوقين فإنه ليس بصدد ذلك .

وقوله : وإبداؤك إيّاها ، يشير إلى أنّها كانت كامنة فيك كما تقدم فيما نقلنا عنه من كتابه الكلمات المكنونة وهذا كما ترى ما فيه من الفساد .

فإن قلتَ : إنّما ذكر علم المخلوقين .

قلتُ : ليس هو يبحث عن علم الخلق ، بل يبحث عن خصوص علم الحق تعالى ، أو عن مطلق العلم الذي يصدق على علمه ، ولو أراد علم الحق كان قوله وإبداؤها غير صحيح ، لأنَّ الصورة التي في نفسك لم تكن كامنةً عندك ثم أظهرتها وإنّما هي ظل منتزع من مخلوق في الخارج .

وقوله : مع أنّك لستَ مستقِلاً في الإنشاء والإبداء ، هذا صحيح في نفسه ، وإن كان بخلاف ما قرّره أستاذه الملّا صدرا في أنَّ النفس لها قدرة على إبداع الصور وإنشائها .

وقوله : بل أنت محلّ لها وإنّما يفيض عليك مما فوقك حين حصول شرائطها فيك واستعدادك لها ، هذا صحيح وكلّ هذا حقّ في نفسه لا مع ما يرتّب عليه من مطلبه .

وقوله : فلو كان الإنشاء منك بالاستقلال لكان أولى بأن يكون علماً لك بها ، هذا على جعل العلم فعليّاً كما ذكرنا قبل هذا إلّا أنّه غير الحصول أو الحضور .

وقوله : فذاتك ، من حيث هي مع قطع النظر عن تصورك لتلك الصورة متقدّمة على التصوّر ، والصورة ومن حيث تصوّرها تلك الصُّورة لا تنفكُّ عنها ، أمّا تقدم الذات على التصوّر والصورة الحادثة بذلك التصور فهو حق لا إشكال فيه .

وجوه بطلان كون الذات لا تنفك عن الصورة

وأمّا إنَّ الذات من حيث التصور لا تنفك عن تلك الصورة ، فغلطٌ من جهات متعدّدة :

منها : أنّها تكون الذات مقترنةً وملزومة لغيرها وهذا إن صح في بعض أحوال الخلق لا يصح على الخالق تعالى في حال ، لأنّ الاقتران والتلازم صفات المخلوقين على أي حال فرضتَ .

ومنها : أنَّ ثبوت هذا العلم ومصاحبته للذات بحيث لا تخلو منه ، إنّما هو من حيثيّة خاصّة وكلّ من يجري عليه جهة وجهة أو حيث وحيث ، فهو محدث ومتعدّد الجهات والحيثيّات وهذا ظاهرٌ .

ومنها : أنَّ التصوّر معنى فعلي والمعنى الفعلي حادث لأنّه لا يتحقّق إلّا مع المتصوّر وهو الصورة ، فهو جهة الفعل وهو وما

صدر عنه لا ينتهي إلّا إلى حركة الفاعل والفعل ، وجميع ما يصدر عنه وينتهي إليه محدث . فإنَّ قولك زيدٌ قائم لو كان القيام مستنداً إلى ذات زيد بدون واسطة الفعل لكان ذاتياً فيلزمك أن زيداً أبداً قائم لأنَّ قائماً على هذا ثبت لذات زيد بغير واسطة ، فهو ذاتي له لكنه لم يثبت القيام له إلّا بواسطة الفعل ، والفعل حادث أحدثه زيدٌ بنفسه ، أي بنفس الفعل ، وكلّ ما يصدر عن الحادث فهو حادث ولا يكون أسبق منه ولا يساويه في رتبته ، بل متأخر عنه فافهم إن كنت تفهم .

وهذه الأشياء والقواعد التي يدّعي أنها أصول حكمية يريد أن يعرف بها القديم . فهي كما قلتُ فيها سابقاً وقد قال الصادق عليه السلام في الدعاء بعد ركعتي الوتيرة بعد العشاء على ما رواه الشيخ رحمه الله[1] في المصباح قال عليه السلام : (**بدَتْ قدرتُكَ يا إلهي ولم تبدُ هيئةٌ يا سيّدي فشبّهوك واتّخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثمَّ لم يعرفوك**)[2] .

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، من تلاميذ الشيخ المفيد . ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ توفي في سنة ٤٦٠ هـ وقيل سنة ٤٥٨ .

(٢) مصباح المتهجد : ١١٥ ، وتوحيد الصدوق : ١٢٤ ، وأمالي الصدوق : ٧٠٧ ح ٩٧٠ ، وبشارة المصطفى : ٣١٩ ، وأمالي الصدوق : ٧٠٧ ح ٩٧٠ ، والإرشاد للمفيد : ٢ / ١٥٣ ، وبحار الأنوار : ٨٤ / ١١٠ ح ٦ ، ولفظه في المصباح : (**اللهم يا رب الأرباب ويا معتق الرقاب أنت الله الذي لا تزول ولا تبيد ولا تغيرك الدهور والأزمان بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة فشبهوك** =

في بيان قِدَم الله تعالى

قال : أصل ـ قد ثبت أنَّ الله سبحانه قديم بذاتِه متفرّد بالأزليّة كان الله ولم يكن معه شيء .

أقول : هذا حقّ وكلّه محكم ، نعم هنا شيء يحتاج إلى التنبيه عليه وهو أنَّ الأزليّة ذاته بلا مغايرة ، فلا تتوهم أن الأزل شيء أو وقت حلّ فيه ، تعالى الله عن ذلك ، بل الأزل ذاته بلا مغايرة لا في الواقع ولا في الفرض ولا في الاعتبار ولا في حيثيّة إذ كلّ ما سواه أحدثه بفعله ، فافهم إن كنتَ تفهم .

قال : ثم أوجد الأشياء جميعاً بذاته بحيث لا خرج منها شيء عن إبداعه وتكوّنه .

أقول : قوله بذاته غلطٌ ، وإنّما أوجدها بفعله وهو إبداعُه ومشيئته وإرادته .

= يا سيدي واتخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك يا إلهي ، وأنا يا إلهي بريء إليك في هذه الليلة من الذين بالشبهات طلبوك وبريء إليك من الذين شبهوك وجهلوك ، يا إلهي أنا بريء من الذين بصفات عبادك وصفوك بل أنا بريء من الذين جحدوك ولم يعبدوك وأنا بريء من الذين في أفعالهم جوروك ، إلهي أنا بريء من الذين بقبائح أفعالهم نحلوك وأنا بريء من الذين عما نزهوا عنه آباءهم وأمهاتهم ما نزهوك ، وأبرأ إليك من الذين في مخالفة نبيك وآله عليه وعليهم السلام خالفوك ، وأنا بريء إليك من الذين في محاربة أوليائك حاربوك وأنا بريء إليك من الذين في معاندة آل الرسول عليهم السلام عاندوك ، اللهم صلّ على محمد وآله واجعلني من الذين عرفوك فوحدوك . .) .

قال الرضا عليه السلام لعمران الصابىء : (**والمشيئة والإرادة والإبداع أسماؤها ثلاثة ومعناها واحد**)[١] ، والمراد أنَّ كلًّا منها فعل ، وكلّ واحد يطلق على الآخر مع عدم اجتماعها فإذا اجتمعت اختلفت ، فإذا قال شاء وأراد كانت المشيئة فعل الله للأكوان وهو مثل خلق ، والإرادة فعل الله للأعيان وهو مثل برأ .

وقال الرضا عليه السلام ليونس : (**تعلم ما المشيئة ؟**) .

قال : لا .

قال : (**هي الذكر الأول ، تعلم ما الإرادة ؟**) .

قال : لا .

قال : (**هي العزيمة على ما يشاء**) الحديث[٢] .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ١٥٤ ، وتحف العقول : ٤٢٤ ، وتوحيد الصدوق : ٤٣٦ وفيه : (**اعلم أن الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة**) .

(٢) عن يونس بن عبد الرحمن قال : قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام : (**يا يونس ، لا تقل بقول القدريّة ، فإنّ القدريّة لم يقولوا بقول أهل الجنّة ، ولا بقول أهل النّار ، ولا بقول إبليس ، فإنّ أهل الجنّة قالوا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾** [الأعراف : ٤٣] ، **وقال أهل النار : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾** [المؤمنون : ١٠٦] ، **وقال إبليس : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾** [الحجر : ٣٩] ، **فقلت : والله ما أقول بقولهم ولكنّي أقول : لا يكون إلّا بما شاء الله ، وأراد ، وقدّر ، وقضى .**

وقال : فقال : يا يونس ، ليس هكذا ، لا يكون إلّا ما شاء الله تعالى وأراد ، وقدّر ، وقضى .

=

وأمّا قوله : وتكوّنه ، فلا يصح ، فالواجب أن يقال : وتكوينه لأنّه هو صفة فعل الفاعل ، وأمّا التكوّن فهو صفة فعل القابل أي المفعول .

قال : وإن كان بعضها عقيب بعض بترتب سببيّ ومسبّبي .

أقول : هذا حقّ ، لأن الله سبحانه تكلّم بكلمة وهي فعله الواحد البسيط فانزجر لها العمق الأكبر ، فكان بها الإمكان الراجح الوجود ، وهو محلّ تلك الكلمة التي هي فعل الله ومشيئته وإرادته وإبداعه واختراعه ، وهذا هو الوجود المطلق خلقه الله بنفسه أي بنفس هذا الوجود ، فملأت الإمكان الذي لا يتناهى فهي على قدره لا يزيد أحدهما على الآخر ، لا تزيد المشيئة فتتعلق المشيئة بما ليس من الإمكان وما فيه ولا يزيد الإمكان فيكون شيء منه أو مما فيه ، لا تتعلق به المشيئة والمكونات هي الوجود المقيد الذي أوّله العقل الكلي وآخره ما تحت الثرى .

= **يا يونس تعلم ما المشيئة ؟ قلت : لا ، قال : هي الذكر الأوّل ، فتعلم ما الإرادة ؟ قلت : لا ، قال : هي العزيمة على ما يشاء ، فتعلم ما القدر ؟ قلت : لا . قال : هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء ، قال : ثُمَّ ؟ قال : والقضاء هو الإبرام وإقامة العين ، قال : فاستأذنته أن أُقبِّل رأسه وقلت : فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة) .**

مختصر البصائر : ١٤٩ واللفظ منه ، والكافي : ١ / ١٥٧ ح ٤ ، والوافي : ١ / ٥٤٢ ح ٤٤٤ ، ومرآة العقول : ٢ / ١٨٤ ح ٤ . وبحار الأنوار : ٥ / ١١٦ ح ٤٩ ، وتفسير القمّي : ١ / ٢٤ باختلاف يسير .

وقولي أوّله العقل أريد به أوّل المزدوجات ، سواء كانت من التركيبات المعنويّة النورانية كالعقل والروح والنفس والطبيعة الكلية المسماة بالملائكة العالين الذين لم يؤمروا بالسّجود لآدمَ ، بل إنّما سجد الملائكة لآدم لكون صلبه مظهراً لمواقعها .

كما قال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾[(١)] .

والعقل أوّلها أي أوّل الوجودات المقيدة وقبل العقل ، صدر عن المشيئة الوجود المخترع لا من شيء وهو الماء الذي به حياة كلّ شيء ، فساقه تعالى بكلمته أي بمشيئته ، وهي السحاب المتراكم إلى الأرض الميتة وهي أرض القابليات ، فأُنبت به شجرة الخلد وأول غصن نبت فيها القلم ، وهو العقل الكلّي . فقال الله له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر[(٢)] ، فدفعته

---

(١) سورة الواقعة ، الآيتان : ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) في الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : (**إنّ الله خلق العقل وهو أوّل خلق (خلقه) من الروحانيين ، عن يمين العرش من نوره ، فقال له : أدبر فأدبر ، ثمّ قال له : أقبل فأقبل ، فقال الله تعالى : خلقتك (خلقاً) عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي**) . ثم قال : (**خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانيّاً ، فقال له : أدبر فأدبر ، ثمّ قال له : أقبل ، فلم يقبل ، فقال له : استكبرت ، فلعنه**) محاسن البرقي : ١ / ١٩٦ ، أصول الكافي : ١ / ٢١ ح ١٤ ، وعوالم العلوم والمعارف للبحراني : ٤٩ ـ ٥٠ قسم العقل ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ٣٠٩ .

الكلمة التامّة التي هي فعل الله نازلاً فكلّ شيء تمّت له شرائط القبول من الوقت والمكان والكم والكيف والجهة والرتبة والوضع والإذن والأجل والكتاب ، أعطَاه ما جعله الله له من حصّة الوجود ، فقام يسبّح الله ويعلن بحمده والثناء عليه ، فمن تمت شرائطه أوجده بإذن الله ومن لم تتم شرائطه بقي منتظراً وهذا هو العلة في تقدّم بعض الأشياء وتأخر بعضها وهو قوله بترتب سببي ومسبّبي .

قال : على نحو لا يقدح كثراتها وتركّباتها الفاصلة بعد الذات الأحديّة في وحدة الحقّة وبساطة الحقيقيّة .

أقول : هذا كلام ليس بصحيح ، لأنها إن كانت معه أو في ذاته أو كامنة فيه كما توهّم لا يفيده قوله على نحو لا يقدح . . الخ ، وقول الصوفية الذي أخذ هذه العبارة منه باطل ، فإنّهم يقولون بالجمع والفرق وبالحق والخلق وبالكثرة والوحدة ، وهذا كلام باطل يلزم منه أنّه تعالى من جهة هو خلقه ومن جهة هو غيرهم ، ومن جهة هو حق ، ومن جهة هو خلق ، ومن جهة هو واحد ، ومن جهة هو كثير ، وربّنا ليس هكذا ولا نعبد ربّاً هكذا حاله ، فإنّه مختلف الذات باختلاف الاعتبارات والحيثيّات ، وربّنا عزّ وجلّ لا يختلف في حال ولا يتغير بتغيّر الحالات واختلاف الحيثيات والاعتبارات ، فهذا الكلام كلام مَن هم كالأنعام ، بل هم أضل وهو موضوع تحت الأقدام .

علم الله لذاته بذاته

قال : **وإنّه سبحانه يعلم ذاته بذاته[١] في مرتبة ذاته لحصول ذاته بذاته لذاته في مرتبة ذاته .**

أقول : هذا كلام صحيح لا شك فيه ، وهو المعبّر عنه بوجوب الوجود .

قال : وثبت أنَّ العلم التام بالفاعل بما هو فاعل لا ينفك عن العلم بالمفعول ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾[٢] .

أقول : إن أراد بالعلم التام العلم الفعلي الذي هو فعل الفاعل للمفعول أو هو المفعول ، فلا شك عندنا أنَّ ذلك علم بالمفعول ، والمفعول نفسه علمٌ للفاعل بالمفعول ، وأن المفعول أبداً قائم بذلك الفعل الذي هو علمٌ أوّل بالمفعول للفاعل ، والمفعول علم ثان وإليه الإشارة بقول عليّ عليه السلام : (**لا تحيط به الأوهام ، بل تجلَّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمَها**)[٣] انتهى ، ولا ينفك عنه لأنّه قائم به قيام صدور .

---

(١) في دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام : (**يا من دل على ذاته بذاته**) ، انظر بحار الأنوار : ٨٤/ ٣٣٩ح ١٩ وج ٩١ / ٢٤٣ ح ١١ ، ونهج السعادة : ٦ / ١٢٨ .

(٢) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

(٣) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ الخطبة : ١٨٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٩٤ =

وإن أراد به العلم القديم الذاتي فهو باطل ، لأنَّ الأزلي لا يوصف بعدم الانفكاك عن شيء ولا بعدم انفكاك شيء عنه لذاته ، إذ لا يجوز عليه الاقتران لأنه صفة الحدوث وهو ممتنع من الأزل الممتنع من الحدث ، والفرض الأوّل وإن كان صحيحاً لا يصحّ وصف الذاتي به ولا بشيء من صفاته وأحواله واستدلالِه بقوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾(١) لا يدلّ على أنّ هذا العلم هو الذاتي فإنّ الذاتي علم ولا معلوم لأني أقول راجع ما ذكرنا أوّلاً لتعرف أنّ الذاتي لا يرتبط بالحوادث وأنّ المحال الوجود لا يكون معلوماً كما قال تعالى : ﴿ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾(٢) ، ووجود الحادث في الأزل ووجود الأزل في الحدوث محال ، والحادث إذا وجد كان معلوماً بما هو موجود لا بما هو لا شيء ، نعم الحادث معلوم في الإمكان بما هو ممكن ، وفي الأكوان بما هو مكوّن ، وفي الأعيان بما هو

= ح ٢٦١٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦١ ، وأعلام الدين للديلمي : ٦٧ .

قال عليه السلام : **(واحد لا بعدد ، ودائم لا بأمد ، وقائم لا بعمد ، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره وتشهد له المرائي لا بمحاضره ، لم تحط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها ، ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، بل كبر شأناً وعظم سلطاناً)** .

(١) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ١٨ .

عين ، وفي القدر بما هو مقدّر ، وفي القضاء بما هو مقضى ، وهكذا . وهو سبحانه يعلم الأشياء بما هي عليه في أمكنة حدودها وأوقات وجودها كلّاً في رتبته من غير انتقال ولا تحوّل حال ، ومعنى قولي : بما هو ممكن ، أريد أنه إنّما علم الشيء بما هو عليه لا بما ليس هو عليه ، فلا يقال : إنه يعلم الممكن بما هو مكوّن ، ولا المكوّن بما هو ممكن ، لأنَّ علمه تعالى لا يكون على خلاف معلومه ، ففي الأزل هي ليست شيئاً ، ومحال أن توجد هناك فيعلم أنّها ليست شيئاً وأن وجودها محال ، بمعنى أن الله سبحانه لا يعلم هناك شيئاً إلّا ذاته خاصة ولا يعلم غيره ، ويعلم الأشياء في أماكنها بما هي عليه لم يفقد في الأزل علمه بها في الحدث أبداً ، فافهم إن كنت تفهم .

بل الآية تدلّ من يفهم أنّه إنما يعلم من خلقَ بما هو عليه في رتبته من مخلوقيّته .

بيان أنّ صفات الله عين ذاته

قال : وقد ثبت أيضاً أنَّ صفاته عين ذاته بحسب الوجود وإنْ كانت غيرَها بحسب المفهوم ، بمعنى أنّ ذاته بذاته وجودٌ وعلم وقدرة وإرادة وحياة ، كما أنّه موجود وعليم وقدير ومريد وحيّ ، يترتب على الذات ما يترتّب على الصفات من الآثار من دون معنى زائد قائم بذاته .

أقول : قد ثبَت أنَّ صفاته الذاتيّة عين ذاته مطلقاً ، وأمّا اختلافها بحسب المفهوم ، فإنّما هو باعتبار ملاحظة متعلّقاتها كالعِلْمِ ، إنّما يخالف البصر لأنَّ ملاحظة معلوم يقتضي تسمية العلم ، وملاحظة مبصر يقتضي تسمية البَصر ، وأمّا في أنفسها فمفهومُهَا واحِدٌ ومصداقُها واحِدٌ ، وفي التوحيد(١) عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : **(من صفة القديم أنه واحد أحد صمد أحديّ المعنى ليس بمعان كثيرة مختلفة)** .

قال : قلتُ : جُعلتُ فداك يزعم قوم من أهل العراق أنّه يَسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع .

قال : فقال : **(كذبوا وألحدُوا وشبَّهُوا تعالى الله عن ذلك إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع)** .

قال : قلتُ يزعمون أنّه بصير على ما يعقلونه .

قال : فقال : **(تعالى الله إنما يُعقَل ما كان بصفة المخلوقين وليس الله كذلك)**(٢) .

فإذا تعلّق السمع بالمبصر فهو البصر ، وإنّما يسمى بالسمع إذا

---

(١) هو للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) توحيد الصدوق : ١٤٤ ح ٩ ، ونور البراهين للجزائري : ١ / ٣٦٤ ح ٩ .

تعلّق بالمسموع . والمراد أنّه تعالى واحِدٌ فيُسمَّى باعتبار الأثر ، فمفهوم الصفات واحد من حيث نظر الوَاصِف إلى نفس الذات الحق ومتعدّد من حيث نظره إلى الآثار ، وفي التوحيد عن هشام بن حكم[(١)] في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام أنّه قال له : أتقول إنه سميع بصير ؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام : (**هو سميع بصير سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة ، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه ، وليس قولي إنه يسمع بنفسه إنه شيء والنفس شيء آخر ، ولكني أردتُ عبارة عن نفسي إذ كنتُ مسؤولاً وإفهاماً لك إذ كنتَ سائلاً ، فأقول يسمع بكلّه لا أنّ كلّه له بعض ولكني أردتُ إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلّا إلى أنّه السميع البصير العالِم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى**)[(٢)] انتهى .

فأبان عليه السلام أنَّ الصفات تتعدّد لفظاً وتتّحد معنًى ،

---

(١) هو أبو محمد مولى كندة ، سكن البصرة ، وكان مشهوراً بالكلام ، كلم الناس ، وحُكيت عنه مجالس كثيرة ، ذكر بعض أصحابنا رحمهم الله أنه رأى له كتابا في الإمامة .
ومولده الكوفة ، ومنشؤه واسط ، وتجارته بغداد . ثم انتقل إليها في آخر عمره ونزل قصر وضاح . وروى هشام عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام ، وكان ثقة في الروايات ، حسن التحقيق بهذا الأمر .
انظر رجال النجاشي : ٤٣٤ رقم ١١٦٤ .

(٢) الكافي : ١ / ٨٣ ح ٦ ، وتوحيد الصدوق : ١٤٤ ح ١٠ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧٠ ح ١٥ .

فيعلم ببصرِه ويسمع بعلمه . ثم قال : يسمع بكله فهي ذاته والألفاظ أسماء باعتبار الآثار .

وقوله : بمعنى أنَّ ذاته بذاته الخ ، تصحيحُه أن الاختلاف في الألفاظ بلحاظ الآثار لا يوجب اختلاف معانيها ، فلا فرق بين قولك : إنه علم وإنّه عليم إلّا إذَا أُريدَ بأنَّ عليم ذو علم لتتحقّق المغايرة ، وأمّا إذا لم يرد بعليم إلّا مجرّد وصفه بالعلم لذاته فلا فرق بين معنى اللفظين ، لأن معنى وصفه بالعلم تسميته بالعلم وإلّا لزم التغاير .

وقوله : يترتب على الذات ما يترتّب على الصفات من الآثار من دون معنى زائد قائم بذاته ، هذا صحيح إذا أُريدَ باختلاف المفهوم في التسمية بلحاظ المتعلق خاصّة ، وإذا أريد هذا صحّ اختلاف التسمية في الذات من غير اعتبار الصفات على العبارات المتعارفة ، لأنّه تعالى يسمّى علماً باعتبار أثر العلم الصادر عن فعله من صنع الأشياء المحكمة والإحاطة بما خلق وبخلق العلم في العلماء كما يسمّى عالماً بهذا الاعتبار بلا فرق فافهم .

بيان أنّ عِلمَ الله بفعله عين ذاته

قال : فكما أنَّ علمه بذاته عين ذاته بمعنى أنه لا يحتاج في علمه بذاته إلى شيء غير ذاته ، فعلمه بما يفعل ذاته أيضاً عينُ ذاتِه بهذا المعنى ، وإن كان بعد ذاته وبعد علمه بذاته باعتبار المرتبة .

أقول : علمه بذاته عين ذاته . . . الخ ، حقّ وأمّا علمه بما تفعل ذاته عينُ ذاته فليس كعلمه بذاته ، لأنَّ علمه بذاته لا يحتاج إلى شيء آخر غير ذاته ، بخلافِ علمه بمفعوله ، فإن المعلوم إنّما وجد بالفعل .

وقوله : يفعل بذاته ، إن أراد بدون توسط الفعل فهو خطأ فاحش ، وإن أراد بقوله علمه بما يفعل بذاته ما يفعل بفعله ، فهو بخلاف الأوّل ، لأن المعلوم لم يكن معلوماً إلّا إذا وُجِدَ ، كما تقدّم في حديث الصادق عليه السلام : (**لم يزل الله عزّ وجلّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم**) إلى أن قال : (**فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم**)(١) انتهى ، وقبل أن يكون المعلوم كان تعالى عالِماً ولا معلوم ، فيكون العلم به إنّما يحصل له بتوسّط الفعل فلا يكون هذا العلم عين ذاته .

وقوله : وإن كان بعد ذاته وبعد علمه بذاته ، ينقض قوله

---

(١) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .

ولفظه في التوحيد : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور**) قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟

قال : (**إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم**) .

الأول ، لأنَّ ما يكون بعد الذات لا يكون عين الذات إلّا على وساوس الصوفية ، أنّه تعالى كلّ الخلق فيجعلون أعلى الحديث أسفله ، وأسفله أعلاه في قوله كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما كان أنه لو كانت الأشياء غيره لكان بعد ما أوجدها ، كان معه غيره لكنّها هي عينه فما أوجد شيئاً إلّا نفسه ، فليس معه غيره قبل ما يوجدها وبعدما أوجدَها .

وقوله : باعتبار المرتبة ، يعني به أن علمه بمفعوله أيضاً عين ذاته ، وإن كان مفعوله باعتبار مرتبته بعد الذات لأنّه إنما وجد بفعله تعالى ، وهذا إنما هو على القول بوحدة الوجود وإلّا فكيف يجوز أن الإمام عليه السلام يقول : **(كان عالماً ولا معلوم)**(١) ، وهذا حكم الأزل فإذا أوجد المعلوم كان عالماً مع معلوم ، وهذا إثبات حالين مختلفين له تعالى :

---

(١) قال عليه السلام : **(. . . أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل ، فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزله ومن قال : كيف ؟ فقد استوصفه ومن قال : فِيمَ ؟ فقد ضمنه ، ومن قال : على مَ ؟ فقد جهله ، ومن قال : أين ؟ فقد أخلا منه ، ومن قال : ما هو ؟ فقد نعته ، ومن قال : إلى مَ ؟ فقد غاياه ، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق ، وربّ إذ لا مربوب ، وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون)** . الكافي : ١ / ١٤٠ ح ٦ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ١٦٦ ح ١٠٦ ، وتوحيد الصدوق : ٣٦ ح ٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٦ ح ٥١ .

أحدهما : ثبوت العلم من غير معلوم .

والثانية : بعد ذلك ثبوت العلم مع معلوم ، لأن يفعل كما ذكره في قوله بما يفعل ذاته معنى فعلي ، والعلم الفعلي متأخّر عن الذات لتوقفه على الفعل المحدث والمتوقّف على المحدث لا يكون عين القديم إلّا على القول بوحدة الوجود ، وهو قائل بها كما نقلنا عنه من الكلمات المكنونة ، فكلامه هذا مطابق لمذهبه وإن كان عند أهل العصمة عليهم السلام نفي ذلك . ففي التوحيد عن حماد بن عيسى قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلتُ : لم يزل الله يعلم ، قال عليه السلام : **(أنّى يكون يعلم ولا معلوم ؟)** .

قال : قلتُ : فلم يزل الله يسمع .

قال : **(أنّى يكون ذلك ولا مسموع ؟)** .

قال : قلتُ : فلم يزل يبصر .

قال : **(أنّى يكون ذلك ولا مبصَر ؟)** .

قال : ثم قال : **(لم يزل الله عليماً سميعاً بصيراً ذاتٌ علامةٌ سميعةٌ بصيرةٌ)**[1] انتهى .

فانظر في صراحة هذا الحديث الشريف فيما ذكرته لك ، فإنه

---

(١) توحيد الصدوق : ١٣٩ ح ٢ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧٤ ح ١٩ ، وتفسير نور الثقلين : ٣ / ١٣٥ ح ٦١ ، ونور البراهين للجزائري : ١ / ٣٥٣ ح ٢ .

عليه السلام أنكر أن يكون يعلم لأنه إنّما يكون إذا وجد المعلوم والمعلوم لا يوجد إلّا بفعله ، وكلّ ذلك متأخّر عن الذات تعالى ، وأثبتت كونه عليماً سميعاً بصيراً بمعنى أن ذاته علّامة لا بمعنى أنّه يعلم شيئاً ولا شيء غيره قبل الخلق .

قال : وفي مرتبة الاعتبار حيث إنه لا بدّ في ذلك من اعتبار المفعول المتأخر عن رتبة الذات .

أقول : يا سبحان الله إذا كان المفعول المتأخر وجوده شرطاً في كون العلم به عين الذات الأزليّة ، وجب تأخر هذا العلم عن الأزل حتى يحصل شرطه ، وإذا جاز تأخره ما جاز كونه عين الأزل ، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .

وأيضاً ، قد ثبت عقلاً ونقلاً مع إجماع العقلاء من المسلمين وغيرهم أنَّ المفعول لا يوجد من الذاتِ بدون فعل فلا يوجد إلّا بفعل فهو متوقّف على الفعل وهو قد علّل كون علمه بذاته عين ذاته ، بأنّه لا يحتاج في علمه بذاته إلى شيء غير ذاته ، ومعلوم من مفهومه أن ما كان من العلم محتاجاً إلى شيء غير ذاته لا يكون عين ذاته ، وأجمع العقلاء من بني آدم على أن الفعل محدث والمفعول متوقّف على المحدث .

وقال : إنَّ علمه بهذا المحدث لا بد من اعتبار وجوده ، فقال : وفي الاعتبار حيث إنّه لا بدّ في ذلك من اعتبار المفعول المتأخر عن رتبة الذات فتدبّر في هذه الأمور المتناقضة المتهافتة .

قال : وذلك لأنَّ فاعليّته ليست إلّا بذاته .

أقول : هذا شيء عجيب ما سمعنا بأنَّ فاعلاً يفعل بذاته بغير فعل منه إلّا إذا كانت ذاته فعلاً لمن هو فوقه ، فإنَّ الأعلى يكون فاعلاً وتلك الذات السفلى تكون فعلاً للأعلى فيحدث عنها المفعول بأمر الأعلى وقدرته سبحان ربّي الأعلى وبحمده وتعالى عما يقولون علوّاً كبيراً .

قال : فلا تغاير بين ذاته وعلمه بذاته لا بالذات ولا بالاعتبار .

أقول : هذا حق لا شكّ فيه ولا شبهة تعتريه .

قال : ولا بين علمه بذاته وعلمه بما يفعل ذاته بالذات وإن تغاير الاعتبار .

أقول : لا بدّ من التّغاير بينهما إلّا أن يقول : إنّه لا يحتاج إلى اعتبار المفعول المتأخر في هذا العلم ولا إلى اعتبار الفعل فيقول : هو عالم بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها(١) .

وأمّا إذا اعتبر اختلاف الاعتبار في العلم الثاني فكيف يكون

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (. . الله الواحد الأحد الصمد الذي لم تغيره صروف الأزمان ولم يتكأده صنع شيء كان ، إنما قال لما شاء أن يكون كن فكان ، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب ، وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق ، وكل عالم فمن بعد جهل تعلم والله لم يجهل ولم يتعلم ، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها فلم يزدد بكونها علماً ، =

العلم بشرط شيء عينَ العلم المطلق ؟ وكيف يكون المتأخر انتظاراً لشرطه الذي لا يتحقق بدونه هو نفس السابق ؟

وأيضاً ، الاعتبار من جملة الممكنات فلا يجري على الأزلي ، وليس كما يتوهّم من لا يعلم أنَّ الأمور الاعتبارية ليست شيئاً ، بل هي وكلّ فرض واحتمال وتجويز أشياء موجودة خلقها الله سبحانه بمشيئته وأحدَثَ أعْيَانها بإرادته ووضعها في خزانة فعله في أرض الإمكان الراجح الذي هو محل مشيئته شقّه بقدرته وزجره بكلمته ، وهو العمق الأكبر الذي ذكره الحجة عليه السلام في دعاء السمات حيث يقول : (**وانزجر لها العمق الأكبر**)(١) ، وهو الإمكان الراجح وهو خزائن كلّ شيء في قوله تعالى : ﴿ وَإِن

= **علمه بها قبل أن يكونها كعلمه بعد تكوينها ، لم يكوّنها لشدة سلطان ولا خوف من زوال ولا نقصان ولا استعانة على ضد مثاور ولا ندّ مكاثر ولا شريك مكايد ، لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون . .)** .

توحيد الصدوق : ٤٣ ، باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٣ .

(١) مصباح المتهجد : ٤١٩ ، ومصباح الكفعمي : ٤٢٥ ، وبحار الأنوار : ٨٧ / ٩٨ .

قال عجّل الله تعالى فرجه في الدعاء : (. . **وبنورك الذي قد خر من فزعه طور سيناء وبعلمك وجلالك وكبريائك وعزتك وجبروتك التي لم تستقلها الأرض وانخفضت لها السماوات وانزجر لها العمق الأكبر وركدت لها البحار والأنهار وخضعت لها الجبال وسكنت لها الأرض بمناكبها واستسلمت لها الخلائق كلها وخفقت لها الرياح في جريانها وخمدت لها النيران في أوطانها** . .) .

مِن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(١) فافهم ، إن كنت تفهم وإلّا فسلّم تسلم .

فالفرضيات والاحتمالات والاعتبارات وما أشبه ذلك كلها مخلوقات لله تعالى محدثة أجراها على خلقه وكيف يجري عليه ما هو أجراه ، فالاعتبارات والحيثيات وما أشبهها خلق الله وعباده ، فلا يكون شيء منها ولا ما تعلّقت به وفرضت فيه عين ذاته تعالى ، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وقوله : يفعل ذاته بالذات ، يجعل ذاته فعلاً والذات لا يكون فعلاً إلّا لمالِكها ولكن أكثرهم يجهلون .

في أن علم الله للأشياء وبذاته صفة نفسيّة أزليّة

قال : أصل ـ علمه سبحانه للأشياء صفة نفسيّة أزليّة كما أن علمه بذاته صفة نفسيّة أزليّة .

أقول : إن لم يعتبر في علمه للأشياء اعتبار وجودها ، بل كان عالماً بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها ، فقد قال كثير من العلماء بذلك ، ولكن قول الصادق عليه السلام ينفي هذا كما ذكرناه مراراً وأذكره الآن لأنَّ قوله عليه السلام : (**كان الله عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم**) إلى أن قال عليه السلام :

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

(فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم)[١] ، فهذا الكلام صريح بأنه تعالى عالم ولا شك فيه ، ولكن علمه لم يتعلق بمعلوم غيره ، لأنّه أخبر بأن العلم إنّما وقع منه تعالى على المعلوم بعد حدوثه ، فأخبرني هذا الذي وقع بعد حدوثها هو العلم بها أو غيره فإن كان هو العلم بها بطل قوله : إن العلم بها أزليٌّ ، وإن قال العلم بها قبل هذا وغيره ، فقول الصادق عليه السلام : **(ولا معلوم)** ما معناه وقوله : **(وقع العلم منه على المعلوم)** يعني بعد حدوثه وليس لك أن تقول : إن كلامك هذا حكم على الله تعالى بالجهل بالأشياء قبل خلقها ، لأني أقول ليس هذا كلامي ، بل هو كلام إمامك الصادق عليه السلام .

ولا يلزم منه الجهل لأنه لو كان في الأزل شيء وقلنا لا يعلمه ، فكما تقول أو قلنا : كان جاهلاً تعالى الله قبل الأشياء ، فلمّا أحدثها كان عالماً فكما تقول ، بل تقول : إنَّ الأشياء لا يمكن وجودها في الأزل ، ففرض وجودها في الأزل كفرض وجود شريك الباري سبحانه ، فكما قال تعالى في حق ما فرضوا له من الشريك : ﴿ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي

---

(١) تقدم نصّ الحديث سابقاً انظر الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .

﴿ٱلْأَرْضِ﴾[١] ، وهو حقّ ولا يكون ذلك نفياً لعلمه ، لأنَّ نفي العلم إنّما يتحقّق إذا وجد معلوم ولم يعلمه . أمّا إذا لم يوجد معلوم وقال قائل : هو لا يعلم شيئاً ، فليس هذا نفياً للعلم بل إثباتٌ للعلم ، وأنا أسالك عمّا تعقله إذا لم يكن في البيت رجلٌ ، وقلتُ لك : هل في البيت رجلٌ ؟

فقلتَ لي : لا أعلم في البيت شيئاً . يكون هذا نفياً لعلمك وإثباتاً لجهلك ، بل لو قلت : أعلم في البيت رجلاً ، وليس فيه رجل ، فهو نفي لعلمك وإثباتٌ لجهلك . وإذا كنتَ سميعاً ولم يكن متكلم ، وقلتُ أنا لك : سمعتَ كلاماً ، فقلتَ : لم أسمع . دلّ على أنك لستَ بسميع ليس كذلك لأنّك سميع ولم تنفِ سمعك ، وإنما نفيتَ سمعك لكلام لعدم وجوده .

فكذلك قال عليه السلام : **(كان الله عزّ وجلّ والعلم ذاته ولا معلوم ، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم)** .

وكذلك أنت سميع ولا مسموع ، فلمّا حضر المتكلم وتكلّم وقع السمع منك على المسموع ، فقبل أن يتكلّم لستَ بأصمّ وكذلك نقول : كان عالماً ولا معلوم .

نعم ، لو قلتَ : كان في الأزل عالماً بها في الحدث صح

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨ .

كلامك ، ولا يكون ذلك العلم في الأزل مشروطاً حصوله له تعالى بوجودها في الحدثِ وهذا العلم عين ذاته تعالى . وأمّا وقوعه على المخلوق وارتباطه به فهو مشروط بوجود المخلوق كما قال الصادق عليه السلام ، إلّا أنَّ هذا الوقوع وهذا الواقع ليس هو ذلك العلم الأزلي ، لأنّه لم يحصل إلّا بعد وجود الحادث ، فهو محدث وليس هو عين ذاته تعالى .

فلو قلتَ : إنَّ العلم الأزلي بعينه هو الواقع .

قلتُ لك : هذا الكلام باطل ، لأنَّه يلزم أن يكون له حالتان حالة عدم الوقوع قبل المخلوق ، وحالة الوقوع بعد وجود المخلوق ، والحالتان متغايرتان والقديم لا يكون متعدّداً متغايراً فافهم إن كنتَ تفهم وإلّا فسلّم تسلم ، والملا محسّن(١) جعل العِلْمين مع تغايرهما وتقدم أحدهما على الآخر وشرط أحدهما

---

(١) هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ـ كذا قيل ـ ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

دون الآخر عين ذاته تعالى مع تغاير الاعتبار الموجب للحدوث. ولذا قال: فعلمه تعالى بنفسه وعلمه بخلقه واحد غير منقسم ولا متعدّد لكنه يعلم نفسه بما هو له ويعلم خلقه بما هم عليه.

أقول: إن أراد بعلمه بخلقه ما قلنا: من أنه تعالى عالم في الأزل بما في الحدث فهو حسن.

ولو قلتَ: هو عالم بها في الأزل كان هذا قبيحاً، لأنّك إذا قلتَ: عالم بها في الأزل كان المعنى أنها عنده في الأزل وليس الأزل شيئاً غير ذاته. فلو تتوهّم أن الأزل فضاء واسع وفراغ قد حلّ فيه تعالى فيجوز أن يحل فيه غيره كما يتوهمه من يفرض تعدّد القدماء، ويمنع التعدّد بدليل التمانع أو التركيب مما به الاشتراك وممّا به الامتياز لأنهم يتوهمون أن الأزل مكان واسع ليس فيه إلا الله، فلو فرض معه غيره لزم كذا وكذا وهذا جهل محض. لأنّه إذا كان مكاناً كان قديماً فتتعدّد القدماء وإن فرضوا أنه ليس فيه إلّا الله تعالى، بل الأزل هو الله لا شيء غيره.

فإذا قلت: هو عالم بها في الأزل كانت حالّة في ذاته ويكون محلاً للحوادث سواء فرض كونها في باطنه، كما ذهب إليه من يقول: إنَّ العالم كامن فيه بالقوة وكلامه فيه أي في نفسه مثل كلامك في نفسك، ثم ظهرت من القوة إلى الفعل أو فرض كونها عارضةً له مثل قول من يقول: إنَّ حقائق الأشياء متعلّقة به تعلّق الأظلّة بذي الظل.

وأما إذا قلتَ : إنه عالم في الأزل بها في الحدث ، يعني يعلم في الأزل بها في أمكنة حدودها وأزمنة وجودها كلا في مكانه ووقته ، فهو صحيح على ما قررنا ونقرّر إن شاء الله تعالى .

وقوله : لكنه يعلم نفسه بما هو له ويعلم خلقه بما هم عليه ، فيه ما في غيره من كلامه وأنا أسأله وأقول : يا مُلَّا أنت جعلتَ علمه بنفسه عين علمه بخلقه وفسّرتَ علمه بنفسه هو أن يعلم نفسه بما هو له ، وفسّرتَ علمه بخلقه هو أن يعلمهم بما هم عليه .

فأقول له : أخبرني ما هو له تعالى هو عين ما هم عليه ، فإن قلتَ [نعم][1] ، فأقول : أنا أعلم ذلك منك لأنَّ مَن يقول بقول مميت الدين بن عربي[2] يقول بهذا ، وأعجب لأنَّ ما هو له سبحانه هو ما هو عليه من القدم والعلم المطلق والقدرة المطلقة والغنى المطلق . وما هم عليه هو الحدوث والجهل والعجز والفقر والتغير والفناء والهلاك فهذا ما هو عليه وما هم عليه .

والعالم بالشيء يكون علمه مطابقاً لمعلومه إن لم يكن نفس

---

(١) زيادة من نسخة أخرى .

(٢) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي .
ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .
مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .
انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

معلومه ، فما أدري ما أقول له في الجواب إن قال نعم : وإن قال : لا ، قلتُ له : فليس العلمانِ متّحدَين إلّا على قول الصوفية الذين يقولون كما قال مميت الدين في الفصوص(١) :

فَـإِنَّـا أعـبُـدٌ حَـقّـاً وَإِنَّـا الله مَـولانَـا
وَإِنَّـا عَـيـنُـهُ فَـاعـلَـم إِذَا مَـا قِـيـلَ إِنـسَـانَـا
فَـلا تَـحـجَـب بِـإِنـسَـان فَـقَـد أعـطَـاكَ بُـرهَـانَـا
فَـكُـن حَـقّـاً وَكُـن خَـلـقَـاً تَـكُـن بِـالله رَحـمَـانَـا
وَغَـذِّ خَـلـقَـهُ مِـنـهُ تَـكُـن رَوحَـاً وَرَيـحَـانَـا
فَـأعـطَـيـنَـاهُ مَـا يَـبـدُو بِـهِ فِـيـنَـا وَأَعـطَـانَـا
فَـصَـارَ الأمـرُ مَـقـسُـومَـاً بِـإِيَّـاهُ وَإِيَّـانَـا

الخ .

قال : وليس أنّ معلوماته أعطته العلم من نفسها كما ظُنَّ وإلّا لزم أن يكون مستفيداً من غيره تعالى عن ذلك .

أقول : قال في الوافي في باب الشقاوة والسعادة من كتاب العقل بأن المعلومات أعطت العالِم العلم بها ، فعلمه مستفاد من المعلوم ثم رتّب عليه ما يريد من نفي الجبر في أفعال العباد ، ثم أنكر هذا القول كما هنا ، وأجاب بهذا الجواب الذي ذكره هنا ، ثم بعد أربعة أو خمسة أسطر رجع إلى القول الأول وقال به ورتّب

---

(١) شرح فصوص الحكم : ٨٧٣ ـ ٨٧٥ .

عليه ما يريد ، قال بعد أن أجاب بهذا الجواب ، فمشيئته أحدّية التعلق وهي نسبة تابعة للعلم والعلم نسبة تابعة للمعلوم والمعلوم أنت وأحوالك انتهى .

وقوله : كما ظن ، الظانّ هو ابن عربي .

قال : بل إنّه ما تَعَيّنَتْ في علمه إلّا بما علمها عليه لا بما اقتضته ذواتها ، ثم اقتضت ذواتها بعد ذلك من نفسها أُموراً هي عين ما علمها عليه ، أولاً فحكم لها ، ثانياً بما اقتضته وما حكم إلّا بما علمه .

أقول : هذه المسألة لا تدركها العقول ولا تهتدي إليها سبيلاً ولا يعرف شيء من المشاعر والمدارك لها دليلاً إلّا الأفئدة ، بدليل الحكمة خاصّة والبرهان عليها لا يزيدها إلّا تعميةً وغموضاً ، نعم لو أنَّ المطلوب خصوصاً وصبر العارف بها على طول الوقت وكثرة البيان وبسط المقدمات . أمكن بيانها لأصحاب العقول الطالبين للاسترشاد التاركين للعناد مع التوفيق والسداد من ربّ العباد .

القول الفَصل فِي القِدَم

فأقول : اعلم أنَّ الممكنات ليست شيئاً وليس إلّا الله وحدهُ ، ثم أحدثَ المشيئة بنفسها في وقتها ومكانها ، فوقتها السرمد ومكانها الإمكان ، لأنها فعل وهو وإن كان ذاتاً تذوّتَتْ

بتأثيرها الذوات ، إلّا أنّه لمّا كان فعلاً ولذا خلق بنفسه وكان الفعل لا يتحقق ولا يتقوّم إلّا بالمفعول وإن كان هنا نسبة المفعول إليها كنسبة الانكسار إلى الكسر ، فيكون قد تقومت المشيئة بالمفعول وهو الإمكان بما فيه من الإمكاناتِ تقوّم ظهور وتقوّم الإمكان بها بما فيه من الإمكاناتِ ، تقوّم تحقّق كان شرط وجوده ولازم ظهوره الإمكان الراجح الكلّي المسمّى بالعمق الأكبر بما فيه من الإمكانات الجزئية الإضافية ، بمعنى أنّ كلّ إمكان من الجزئية كليٌّ مشتمل على أفراد لا تتناهى أبداً ، فخلق سبحانه المشيئة بنفسها[1] وأمكن بها الممكنات بإمكاناتها ، ولم تكن شيئاً كما توهمه المتكلمون حيث قالوا : إن الأشياء المعقولة خمسة أشياء :

واجب لذاته وهو الله سبحانه ، وواجب لغيره وهو المعلول عند وجود علته التامّة ، وممتنع لذاته وهو شريك الباري سبحانه وتعالى عن الشريك ، وممتنع لغيره وهو المعلول عند عدم علته ، وممكن لذاته وهو سائر المخلوقات ، ولم يجوّزوا ممكن الوجود

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) . التوحيد : ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ .
وفي رواية : (**خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

لغيره ، لأنَّ الممكن لو كان ممكناً ، لغيره كان المراد أنه لو كان ذلك لغيره لما كان ممكناً فيكون المعنى أنّه كان واجباً أو ممتنعاً فجعله الجاعل ممكناً وانقلاب الواجب والممتنع محال فيكون ممكناً لذاته ، إذ المعقولات منحصرة في الواجب والممتنع والممكن ، وهذا الكلام باطل لأنَّ الممكن لو فرض أنه ليس بمجعول كان واجباً ، إذ لا نريد بالواجب الذّاتي إلّا الموجود الذي وجوده لذاته لا بجعل جاعل وهذا أقبح ممّا فرّوا منه أو مثله .

في أن ليس واجبٌ غير الله تعالى

والحق في المسألة أنَّ الله سُبحانه هو الموجود لذاته وحده ، وليس ثَمَّ واجبٌ غيره ، ثم اخترع الممكنات حين أحبّ أن تعرفه العبيد لا مِنْ شيء فكما أحدَثَ الوجود لا من شيء أحدث الإمكانات والممكنات لا من شيء . فالممكن لم يكن شيئاً لذاته ، وإنّما كان شيئاً بغيره حين اخترعه وأمكنَهُ وحبسَهُ في الخزائن العُليا ، ثم كوّن منه ما شاء كما يشاء يخرج من تلك الخزائن إذا شاء ، فيكسوه حلّة الوجود ينفق كيف يشاء .

فلما أمكن الإمكان بفعله الذي هو مشيئته كان هو وما فيه من جزئياته العامّة على هيئة مشيئته ، كما أن الكتابة على هيئة حركة يد الكاتب ودالّة عليها ، بمعنى أنّ حُسنَها يدلّ على اعتدال

الحركة وعدم حُسنِهَا يدُلُّ على عدمِ اعتدال الحركة ، فالإمكان بما فيه على هيئة المشيئة والمشيئة خلقها سبحانه بنفسها فظهرت كعموم قدرته فيما يفعل سبحانه لأنّ قدرته عزّ وجلّ ظهرت بمشيئته لا بنفسها ، لأنَّ نفس القدرة وذاتَها هو الله سبحانه وإليه الإشارة بقول الصادق عليه السلام المتقدّم في دعاء الوتيرة : (**بدت قدرتُك يا إلهي ولم تبد هيئةٌ يا سيدي فشبّهوك واتّخذوا بعض آياتِك أرباباً يا إلهي ، فمن ثمَّ لم يعرِفُوكَ**)[1] .

فلمَّا بدت قدرته تعالى لم تبدُ بهيئة ذاتية ، لأنَّ ذلك محال ، وإنما بدت بهيْئة فِعليّة وتلك الهيئة هي المشيئة التي أبدَتْها قد أبدتها بنفسها ، أي بنفسِ المشيئة . فالمشيئة هيئة القدرة بنفس المشيئة والإمكان هيئة المشيئة ، وهي هيئة عامّة واسعةٌ لا غايةَ لعمومِها وسعَتِها ولا نهاية ، فلمّا كان الممكن والإمكان بدا على هيئةِ هذه الهيئة العامّة الواسعة التي لا تتناهى ، كان قابلاً لكلّ ما يحتمل مثلاً حقيقة زيد الإمكانيّة يجوز أن تكون زيداً وأن تكون جَملاً وجَبلاً وماءً ومَعْدِناً وحيواناً ونباتاً وأرضاً وسماءً وملكاً ونبيّاً وكافراً وشيطاناً إلى غير ذلك مما لا يتناهى ، وهو معنى قولنا قبلُ : إن كلّ ممكن من الإمكانات الجزئيّة كليٌّ مشتمل على

(١) مصباح المتهجد : ١١٥ ، وتوحيد الصدوق : ١٢٤ ، وأمالي الصدوق : ٧٠٧ ح ٩٧٠ ، وبشارة المصطفى : ٣١٩ ، وأمالي الصدوق : ٧٠٧ ح ٩٧٠ ، والإرشاد للمفيد : ٢ / ١٥٣ ، وبحار الأنوار : ٨٤ / ١١٠ ح ٦ .

أفراد لا تتناهَى أبداً . فالحقيقة التي خلق منها زيدٌ يجوز أن تلبس كلّ صورة في الخلق من الغيب والشهادة من الحيوان والنبات والمعدن والجماد عيناً أو معنىً ، ذاتاً أو صِفةً ، فإذا أمكن في الحقيقة الواحدة أن تلبس صورة من ألفِ ألف صورة مثلاً كُلها مُتساوية في الإمكان ، كان كلّ جزئي من الإمكان كلياً لا يتناهى .

وأمّا في الظهور : فالصور إنّما تتحقق بالحدود والهندسة الظاهرة والباطنة من الغيب والشهادة ، كما ذكرنا أصولها وهي الماهية الأولى لوجود الشيء ، وهي انفعاله وما لها من القيود المتمِّمة لها مِنْ كمّ وكيف ووقت ومكان ورتبة وجهة ووضع بمعنَييه الأخيرَين أي نسبة بعض أجزائه إلى البعض الآخر في الترتيب الطبيعي . ونسبتها إلى الأمور الخارجة عن الشيء وهذه الأمور المنسوبة إلى الصورة كلّ واحد منها حصّة خاصة جزئيّة من كلي عام مثلاً ، الوقت حصّة صورة زيد من الزمان وقت خاص به ، وحصّة عمرو من الزمان خاصّة به ، وقد تتداخل الحصّتان لشخصين ويختلف حصّتاهما من الوقت أو يتّحدان ويتعدّدان من الجهة ، وهكذا ولو اتحدت جميع المشخّصات امتنع تعدّد الأشخاص وإنّما تتعدّد باختلافها أو اختلافِ بعضها .

وهذه القيود : المذكورة أعني الماهيَّةَ وما لها من المُتَمِّمات المذكورة وما أشبهها كالإذن والأجل والكتاب وغير ذلك من الأسباب المتممة أو المُكمِّلة هي شرائط الظهور . والمحدث ، لم

يكن مذكوراً في علم الله تعالى وقدرته الذاتيّين اللذين هما ذات الله تعالى بلا تعدّد ولا اختلاف بكلّ اعتبار ، لأنّه لم يكن مذكوراً في رتبة الذّاتِ بحال من الأحوال ، وإنّما ذكرها في أمكنة وجودها فالذكر في الأزل والمذكور في الإمكان والله سبحانه هو الذاكر ولا مذكور هناك إلّا ما ذكر نفسه بنفسه فظهر عزّ وجلّ بمشيئته بنفسها فكانت المشيئة على هيئة ظهوره تعالى بها ولم يظهر بذاته المقدّسة ، فذكر الله سُبحانه المحدثَ بها فهي الذكر الأوّل له كما قالَ الرضا عليه السلام ليونس : (**تعلم ما المشيئة ؟**) قال : لا ، قال : (**هي الذكر الأوّل ، تعلم ما الإرادة ؟**) قال : لا ، قال : (**هي العزيمة على ما يشاء ، تَعْلَم ما القدر ؟**) قال : لا ، قال : (**هو الهَنْدَسَة ووضع الحدود من البقاء والفناء**)[1] الحديث .

فكان سبحانه في الأزل الذي هو الذات المقدسة ، هو الذاكر قبل المذكورين وليس ثمّ مذكور سواه فأوّل ما ذكر عبده في مشيئته ولم يكن ذكر للمحدث قبل المشيئة ، وكان ذكره له فيها على هيئة المشيئة وهو الذكر العام الواسع الذي لا يتناهَى وهذا الذكر الإمكاني الواسع العامّ وهو التعيّن الكلّي الراجح الوجود .

---

(١) مختصر البصائر : ١٤٩ ، والكافي : ١ / ١٥٧ ح ٤ ، والوافي : ١ / ٥٤٢ ح ٤٤٤ ، ومرآة العقول : ٢ / ١٨٤ ح ٤ . والبحار : ٥ / ١١٦ ح ٤٩ ، وتفسير القمّي : ١ / ٢٤ باختلاف يسير .

ثم ذكره سبحانه فيها بالذكر الكوني بالتعيّن الجزئي الجائز الوجود المرتبط بالقيود التي أشرنا إليها . فالذكر الواسع الراجح هو علمه تعالى بها الذي لا يحيطون بشيء منه ، وهو الذكر الإمكاني ، وهو المستثنى منه في الآية الشريفة : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ ، والذكر الجزئي الكوني الجائز هو علمه تعالى بها الذي يحيطون به بإذنه سبحانه وهو المستثنى في الآية الشريفة : ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾(١) أي لا يحيطون بشيء من علمه الإمكاني بها إلّا بما شاء كونه فإنّهم عليهم السلام يحيطون به بإذنه وأمره والشمس المضيئة في قول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث القدر في قوله : **(ألا إن القدر سرّ من سر الله وستر من ستر الله وحرز من حرز الله ، مرفوع من حجاب الله موضوع عن خلق الله مختوم بخاتم الله ، سابق في علم الله وضع الله العباد عن علمه ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم ، لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانيّة ولا بقدرة الصّمدانيّة ولا بعظمة النورانية ولا بعزة الوحدانية ، لأنه بحر زاخر موّاج خالصٌ لله عزّ وجلّ عمقه ما بين السماء والأرض ، عرضه ما بين المشرق والمغرب ، أسود كالليل الدامس ، كثير الحيّات والحيتان ، يعلو مرّة ويسفل أخرى ، في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطّلع عليها إلّا الله الواحد الفرد ،**

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

فمن تطّلع عليها فقد ضادّ الله في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سرّه وستره وباء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير)[١] انتهى .

رواه الصدوق في التوحيد بإسناده عن الأصْبَغ بن نُباتَة .

وهذه الشمس التي في قعره في هذا العلم الإمكاني الراجح الوجود الذي لا يحيطون بشيء منه .

والثاني : الذي هو العلم الكوني هو المرتبط بالقيود ومظهر البداء في المحو والإثبات من الأول ، يفيض على جميع الأكوان والتكوينات والتكوّنات والمكوّنات منبسطاً يجري في كلّ ما لم يقع وفي كلّ واقع ، ولم يجر في الوقوع بعد الوقوع فافهم ، فتعيينُ الحادثات من إشراق هذه الشمس المضيئة التي في قعر العلم الإمكاني الراجح الوجود الذي لا يحيطون بشيء منه وهو الذي نسميه بخزائن الأشياء من قوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾[٢] .

وتعيّنها في العلم الكوني الجائز الوجود الذي يحيطون به عليهم السلام بإذن الله تعالى تدريجياً ، ومن هذا العلم الثاني

---

(١) توحيد الصدوق : ٣٨٣ ح ٣٢ ، ومختصر البصائر : ١٣٦ ، وبحار الأنوار : ٩٧ / ٥٠ ح ٢٣ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

الجائز الوجود سأل صلى الله عليه وآله ربّه سبحانه الزيادة فقال : ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[١] لما أمره تعالى بذلك ، لأنَّ هذا العلم هو فَوّارة النور وهي عين صافية يجري بأمر الله سبحانه ، ومعنى كون سؤال الزيادة في العلم مع أنّه إنّما يظهر ما فيه عنه صلى الله عليه وآله أنه محلّ ظهورِ الزّيادة لا مبدؤها ، إذ مبدؤها الأول ولا يَخرج كلّ متجدّد إلّا منه ، وإذا خرج منه ظهر ، وعلم في الثاني فيكون سؤاله الزيادة صلى الله عليه وآله من المتحقّق الموجود ولا يتحقق شيء ولا يوجد إلّا في الثاني ، لأنّه الوجودي . وأمّا الأول فإنّه إمكاني لا وجودي .

وأمّا سؤاله صلى الله عليه وآله التَحيّر فيه تعالى[٢] ، فهو في الأول لأنَّ ما في الثاني أطلعه الله تعالى عليه وأعلمه إيّاه والمعلوم لا يتحيّر فيه . والتعين المبهم الكلّي الواسع العام في الأول ، والتعيّن المتخصّص في الثاني والمتعيّن إنّما يتعيّن بقيوده إلّا أنّ كلّ رتبة منه تتعين بقيودِها في مكانِ حدودها ووقتِ وجودِها ، فيتعين كون الشيء بقيوده عن مشيئة الكون ، وعينه بقيودِها عن إرادة العين .

---

(١) سورة طه ، الآية : ١١٤ .

(٢) في الحديث عنه صلى الله عليه وآله : (**اللهم زدني فيك تحيراً**) انظر شرح الأسماء الحسنى للسبزواري : ١٩٨ ، وتفسير القرآن الكريم لمصطفى الخميني : ١ / ١٢٢ ، وشرح منازل السائرين للكاشاني : ٣١ .

وتقديره بقيوده عن قدر[١] الحدود والهندسة ، وإتمامه بقيوده عن قضاء الشيء ، وإمضاؤه بقيوده عن إمضائه وشرح علَلِه وأسبابه ، وهكذا حكم كلّ شيء متفرِّقاً وحكمه مجتمعاً حكم الاجتماع ، فيتعين كلّ شيء متفرقاً ومجتمعاً تامّاً أو ناقصاً في علمه عزّ وجلّ في رتبته من الكون ، وكلّ شيء في كلّ مكان وكلّ وقت علمه تعالى وهو بكلّ شيء عليم .

فتعيّنها في علمه تعالى في أماكنها وأوقاتها وذكره لها بتعيّنها هو هذا العلم وذكره لها باللاتَعيّن في العلم الأوّل ، واضرب لك مثلاً في ذكر الشيء بتعيّنه وذكره باللّاتعيّن .

مثاله إذا أخذتُ من الدَّواة بالقلم مداداً لأكتب به اسماً معيّناً أو قبل التعيين فالذي الآن في القلم كالذي في الدواة فإنَّه مذكور باللّاتَعيّن ، لأنّي كلّما أشاءُ أن أكتب به ، أمكنَ من اسم شريف أو اسم وضيع ، وإذا كتبتُ منه اسم نبي أو منافق ذكرته بتعيّنه بقيوده المشخّصة له من خصوص حروف تناسب له ، وتقديم وتأخير وتحريك وتسكين فبالمشخّصات ذكرته متعيّناً في رتبة تعيّنه بها .

ولمّا كانت جميع المشخصات وجميع أماكنها وأوقاتها عنده

---

(١) في نسخة : تقدير .

تعالى في ملكه الذي لم يكن تعالى خلواً منه[١] ، كلّ شيء في رتبته : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٢] ، والكتاب المبين هو العلم الكوني والأشياء كلماته وحروفه كتبها عزّ وجلّ بيد كلمته التي انزجر لها العمق الأكبر ، وهي المشيئة بالقلم المسمّى بالعقل الكلّي من مداد الدواة المسمّاة بالماء الأوّل الذي ساقه بكلمته التي هي السحاب الثقال والمتراكم ، يعني المشيئة إلى الأرض الميتة ، وأرض الجرز وهذه الأرض الميتة هي أرض القابليات المتعيّنة بالقيود المشخصات ، كما ذكرنا في أرض الممكن والإمكان في أوقاتها من الدهر والزمان ، وهذه الأرض أعني أرض الممكن والإمكان هي الرّقّ المنشور كتب تعالى فيها بيد كلمته بهذا القلم تلك الأحرف في الكتاب المسطور وهو اللوح المحفوظ كما تقدّم .

فقوله : بل إنّه ما تعيّنت في علمه إلّا بما علمها عليه ، فيه

---

(١) قال عليه السلام : (**كان خلواً من خلقه وخلقه خلوٌّ منه**) التوحيد : ١٤٢ ـ ١٤٣ ح ٧ .
وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**إنَّ الله خلوٌّ من خلقه وخلقه خلوٌّ منه وكلُّ ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوقٌ ما خلا الله**) . الكافي : ١ / ٨٣ ح ٣ ـ ٥ ، والتوحيد : ١٠٥ ح ٣ ـ ٥ .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٣ .

إجمال لأنّه يحتمل أن يريد بهذا العلم هو الذّات المقدسة ، وهو العلم القديم الواجب .

وأن يريد به العلم الحادث سواء كان الراجح أو الجائز . والمعروف من طريقته كما تقدّم في كلماته ، ويأتي أنه هو العلم الواجب الذي هو الذات تعالى ، وهذا غلط لأنّه تعالى في ذاته ذاكر بما هو ذاته ولا مذكور ومُعيِّن بما هو ذاته ولا متعيّن وتعالت ذاته السبحانية عن الكثرة والاختلاف والمغايرة إنّما هو إله واحد لا إله إلّا هو ، وإن أراد به الثاني ولكنه لا يريده فقد قلنا : إنه قسمان :

الأول : العلم الراجح الوجود الإمكاني ، وفي هذا العلم هي مذكورة باللاتعيّن كما مرّ .

والثاني : العلم الجائز الوجود التكويني ، وفي هذا العلم هي مذكورة بما تعيّنَتْ به كلّ شيء في مكانه ووقته ، وبهذا العلم علمها وذكرها بما هي عليه ، فإن أرادَ هذا العلم فحسن ولم يرده وإلّا فقد أخطأ الطريق الحق إلى الله تعالى .

وقوله : لا بما اقتضته ذواتها ، ليس بصحيح لأنَّ ما هي عليه هو ما اقتضته في رتبة التكوين ، لأنّ ما قبل التكوين لم يكن تعيّن ولا تعيين إلّا أن نقول : بأن ماهيّاتها غير مجعولة وإنّما هي صورة علميّة أزليّة كما قاله في الوافي وغيره من كتبه ، وأنّها متعيّنة في نفسها من غير تعيين قبل أن تقتضي ذواتها التعيّن بمشخّصاتها ،

وقد سمعتَ بطلانه وتسمع ، لأن الماهيات مجعولة كوّنها ولم تكن شيئاً وجعلها لازمةً لوجوداتها ولم تكن لازمةً بغير جَعْلِه .

نعم هي صور علميّة مجعولة بوجوداتها بعد أن خلقها بمعنى أنه خلق الوجود أوّلاً وبالذّات ثم خلقها من نفس الوجود من حيث نفسه ثانياً وبالعرض بعد خلق الوجود بسبعين عاماً .

يعني لأجل تقوّم الوجود لاحتياجه في التقوّم إليها ، ثم خلق منهما اللزوم بعد ذلك بسبعين عاماً ، ثم جعله جامعاً لهما بمقتضى ذاته يعني أنه تعالى خلق التلازم بينهما بمقتضى ذات اللزوم بعده بسبعين عاماً ، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً .

وإنّما قلنا : إنّها تعيّنت في علمه هذا المشار إليه وهو العلم الكوني بها بما اقتضته ذواتها ، لأنه علمها حال قيامها كما هي في أماكنها وأوقاتها ، وهي علمه بها ، ومثال هذا أنّك إذا أخذتَ بالقلم من المداد شيئاً لتكتب به كان ما أخذته مذكوراً عندك باللاتعيّن ، وإذا كتبتَ وتعيّن بالهيئات كان ما كتبتَ مذكوراً عندك بما اقتضاه من التعيّن ، وقبل أن تكتب تذكر أنتَ ما ستكتب بما تعيّن به بعد الكتابة بعد أن تكتب فتذكره بالتعيّن في مكانه ووقته يوم تعيّنَ ، وإن وقع منك الذكر قبل ذلك من جهتك إلّا أنّ ما في نفسك من صورة التعيّن ظِلٌّ منتزع انتزعته نفسك بالانطباع من مثال ما يتعيّن في المستقبل ، ولهذا ما تذكره حتى تلتفِتَ إلى مكانه ووقته فترى شبحه قائماً في ذلك المكان والوقت فتنطبع صورة ذلك المثال

في نفسك ، فتذكره بما عندك من صورة شبحه ومثاله ولا تقدر على الذكر قبل هذا أبداً ، وما ذكرته في كلّ حال إلّا بما اقتضته ذاته من التعيّن وإن كان الكلّ هو علمك به كما قرّرنا سابقاً .

وقولي : وقبل أن تكتب تذكر أنت فأتَيْتُ بأنت تنبيهاً على أنّ هذا حال المخلوق الذي يكون صور معلوماته في نفسه منتقشة ينتزعها من شبح الشخص الخارجي ، لأنّه كرة مجوّفة تلجه الأشياء المغايرة له ، وأمّا الخالق عزّ وجلّ فليس في نفسه شيء لأنّه صمد لا مدخل فيه وليس يتصوّر ولا يفكر ولم يسبق إيجادَهُ للشيء حال للشيء في نفسه تعالى كما يزعم ذلك الجاهلون المشبّهون له بخلقه .

ففي الكافي بسنده عن صفوان قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق ، قال : فقال : **(الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروي ولا يهمّ ولا يفكّر ، وهذه الصفات منفيّة عنه وهي صفات الخلق ، فإرادة الله تعالى الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر ولا كيف ، لذلك كما أنه لا كيف له)**[1] انتهى .

---

(١) أصول الكافي للكليني : ١ / ١٠٩ ح ٣ ، ومستدرك البحار : ٤ / ٢٤٧ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٣٩٧ ح ٩٨ .

بل أوّل ذكره تعالى لمصنوعه صنعُه له كما صرَّح به عليه السلام في هذا الحديث حيث قال : (**وأمّا من الله فإحداثه لا غير ذلك**) ، ولا ريبَ أنه لَمْ يذكره قبلَ مَشِيَّتِه لما قال الرضا عليه السلام ليونس حيث قال له كما تقدّم : (**تَعْلَمُ ما المشيئة ؟**) .

قال : لا .

قال : (**هي الذّكر الأوّل**)[١] .

وآيةُ ذلك أنّك لم تكُنْ ذَاكِراً لشيء من مصنوعِك قبلَ أنْ تُهِمَّ بصنعه ، فلو أردتَ أن تكتُبَ زيداً ذكرته حين إرادتك بما تُريدُ به كتابته على أي حال قصَدَ فافهم .

وهنا كلام معترض أتيتُ به استطراداً ، وهو أنه ذكر قبل هذا قوله : بمعنى أن ذاته بذاته وجود وعلم وقدرة وإرادة وحياة ، فجعل الإرادة عين ذاته تعالى وهو يدّعي أنه إخباري لا يقول إلّا بالحديث ، والأحاديث متّفقة لم يوجد حديث مخالف كلّها مصرّحة بأن المشيئة والإرادة من الله تعالى حادثتان لأنّهما من صفات الأفعال ، وأنّه ليس لله مشيئة أو إرادة قديمة وأنَّ مَنْ زعم بأن الله عزّ وجلّ لم يزل شائِياً مريداً فليس بموحّد ، والعقل والنقل متطابقان على ذلك ومن وقف على احتجاج الرضا عليه السلام على سليمان بن حفص المروزي في حدوث الإرادة ،

---

(١) وقد تقدم تمام الحديث .

وأنّها غير العلم ، وأنّه ليس لله إرادة قديمة حصل له القطع إن كان طالباً للحقّ بالدليل العقلي القطعي بأنّه ليس لله مشيئة وإرادة قديمة ، بل مشيئته وإرادته حادثتانِ .

ومن النقل الدالّ صريحاً على أن القائل بأنهما قديمتان في الله تعالى ليس بموحد يعني أنّه مشرك ما رَوَاهُ في التّوحيد بإسنادِهِ عن سليمان بن جعفر الجعفري قال : قال الرضا عليه السلام : (**المشيئة والإرادة من صفات الأفعالِ فمَنْ زَعَم أنَّ الله لم يَزَل مريداً شائياً فليس بموحِّد**)[١] .

وممّا يدلّ على حدوثِها ما رواه في الكافي عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلتُ : لم يزل الله تعالى مريداً ؟

قال : (**إنَّ المريد لا يكون إلّا المراد معه لم يزَلْ عالِماً قادراً ثمّ أرادَ**)[٢] انتهى .

فبيّن عليه السلام أنّه لو كان في الأزل مريداً لكان المراد معه لاستحالة أن يُريدَ ولا يكون ما أرادَ وهذا دليلٌ عقلي صريح

---

(١) التوحيد : ٣٣٨ ح ٥ باب المشيئة والإرادة ، ومستدرك الوسائل : ١٨ / ١٨٢ ح ٢٢٤٤٩ ، ونور البراهين : ٢ / ٢٤٣ ح ٥ ، ومختصر البصائر : ١٤٣ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠٩ ح ٢ باب الإرادة بأنها من صفات الفعل ، وتوحيد الصدوق : ١٤٦ ح ١٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٣٩٧ ح ٩٧ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٣ / ٢٦٤ ح ١ .

قطعي ، وليس من النقل ليتوهم الجاهل أنّه نقلي ، وأن أصول الدين إنّما تثبتُ بالعَقْلِ فهذا عقلي ، فلا أقَلَّ أنّه كاستدلالِ واحد من العلماء نقل عنه في كتاب أو كتَبهُ في كتابه وهو قد قال هو وشيخه تبعاً للأكثرين : بأنّ إرادة الله قديمةٌ بغير دليل معتمد عقلي ولا دليل نقلي معتمد وغير معتمد ، وإنّما دليلهم حقيقته التنظير والتخمين[١] .

أدلة المتكلمين على القِدَم وردّ الشيخ الأوحد

أمّا المتكلمون فاستدلوا على القدم بوجهين :

أحدهما : قالوا : إنّها صفة والصفة لا يُعقل قيامُها بغير الموصوف ولا بنفسها فلو كانت حادثة كان تعالى محلاً للحوادث .

وثانيهما : أنّها إذا كانت محدثة تكون محدثة بإرادة أخرى ، وأخرى إن كانت قديمة ثبت المطلوب وإن كانت حادثة لزم الدور أو التّسلسل وهما باطلان .

والجواب عن الأول : أنّها وإن كانت صفة فإنّما هي بنسبتها إليه تعالى وهذا شأن كلّ مخلوق ، فإن محمداً وآله صلى الله عليه وآله أسماؤه وصفاته وذلك بالنسبة إليه تعالى ، وإلّا فهم ذواتٌ أقامهم الله بأمره ، وكذلك سائر الخلق كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ

---

(١) انظر بحار الأنوار : ١٠/ ٣٤٠ ، ونور البراهين للجزائري : ٢/ ٤٩٨-٤٩٩ .

ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾[١] فـهـي ذاتٌ تـذوّتـت الذوات من أثر تذوّتها وقد أقامها سبحانه بنفسها .

وثانياً : أنّه لو فرضنا على قولهم إنّها قديمة ، قيامها به تعالى ما جاز لأنّه تعالى لا يجوز أن يكون معروضاً فلا فرق بين العارض القديم والحادث .

وثالثاً : ليس ممتنعاً قيام الصفة بنفسها إذا كانت ذاتاً بالنسبة إلى مَن دونها ومَنْ دُونها أثراً إضافيّاً وهو ذات لمعلوله كما برهن عليه في الحكمة .

ورابعاً : أي ضرر في قيام الصفة بغير موصوفها كقيام الكلام بالهواء لا بموصوفه الذي هو المتكلّم .

وعن الثاني : أنّها تكون محدثة بنفسها كما نبّه عليه الإمام عليه السلام بقوله : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئةِ**)[٢] ، لئلّا يشتبه على الناس أمر اعتقادهم ، فمن قَبِل عنهم اهتدى ومن لم يقبل عنهم ضل وغوى .

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٢٥ .

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) . التوحيد : ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ .
وفي رواية : (**خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

وأيضاً قال الفقهاء : بأن المصلّي يحدث الصلاة بالداعي الذي هو النية ويحدث النية بنفسها ، ولا يحدث النيّة بنيَّة أخرى وإلَّا لدارَ أوْ تسَلْسَلَ فالجواب هنا هو الجواب هناك .

أدلة غير المتكلمين على القِدَم وردّ الشيخ الأوحد

وأمّا غير المتكلمين فدليلهم التنظير ويقولون : إن ما ورد في الأخبار فهي الإرادة ، فقال السيد الداماد : هي إرادة العباد ومشيئتهم لأفعالهم الاختياريّة لتقدّسه سبحانه عن مشيئة مخلوقة زائدة على ذاته سبحانه .

وقال المصنّف : إن للمشيئة معنَيين :

أحدهما : متعلّق بالشّائي وهي صفة كماليّة قديمة هي نفس ذاته سبحانه ، وهي كون ذاته بحيث يختار ما هو الخير والصلاح .

والآخر : يتعلّق بالمشيء وهو حادث بحدوث المخلوقات ، فيا سبحان الله مَن أخبرهم عن ذاته بأنّها مشيئة وإرادة هل أرسل إليهم رسولاً بذلك أم آتاهم كتاباً ، فهم به مستمسكون ، أم نزل إليهم فأُخبروا بما رأوا أم صعِدوا في الأسباب فعاينوا ربّ الأرباب إذا كانوا يعترفون بأنّهم لم يعلموا شيئاً من ذاته ولا من صفاته ، وهم يقولون لا يَعرِفه أحدٌ إلّا بما وصفَ به نفسه ولم يصف نفسَهُ إلّا على ألسن أنْبِيَائِهِ عليهم السلام ، وخير أنبيائه وخير خلقه صلى الله عليه وآله آتاهم عنه بأنّه لم يصف نفسه

بذلك ، وإنّما وصف فعله بذلك كما أخبر به أوصياء نبيّه صلى الله عليه وآله الذين يعلمون ولا يجهلون ، ويقولون عن الله ولا ينسون ولا يُخطئون ولا يغفلون ولا يغشّون معصومون مسدّدون ، فقالوا : ليس لله إرادة إلّا إحداثه .

ولمّا سئل عالِمهم عليه السلام لم يزل الله مريداً قال : (**إنَّ المريد لا يكون إلّا المراد معه لم يزل الله عالماً قادراً ثم أرادَ**)[1] انتهى .

ويقولون عليهم السلام : هو لم يسمِّ نفسه بذلك وليس لك أن تسميّه بما لم يسم نفسه ، ويقولون : ليست الإرادة كالعلم فإنّك تقول : أفْعَلُ ذلك إنْ شاء الله ولا تقول : أفعل ذلك إنْ علم الله .

والحاصل : لم يرد عنهم ما يوهم قِدم الإرادة ، بل كلّهم مصرِّحون بالحدوث وأن معناها السابق الذي توهم فيه المتوهم أنّه إرادة ، فإنه العلم والقدرة والإرادة تنشأ عنهما عند المراد ، وإنّما قال بقدمها الحسن البصري وعلي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري ومحمد بن عبد الوهاب القطّان والغزالي[2] ومميت

---

(١) تقدم تخريج الحديث قريباً .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، المعروف بالغزالي (زين الدين ، حجة الإسلام ، أبو حامد) حكيم ، متكلم فقيه ، أصولي ، صوفي ، مشارك في أنواع من العلوم .
ولد بالطابران إحدى قصبتي طوس بخراسان سنة (٤٥٠ هـ ١٠٥٨ م) ، =

الدين بن عربي وأضرابهم فيا سُوءَ حالٍ من ائتمّ بهؤلاء ولم يأتَمَّ بأئمَّة الهدى وأنوار التقى والعروة الوثقى .

وأيضاً يقول الله تعالى العالم بذاته وصفاته وأفعاله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] فأنت تعرف آيات الله تعالى فيك هل تجد في نفسك أنّك مريد قبل العزم على الفعل ، وهل تجد أن إرادتك كعلمك وأنت تقول أُريد ولا أريد فيما تقدر على إرادته وتتمكّن من فعله ولا تقول أعلم ولا أعلم فيما علمتَ ، كذلك تقول : أراد الله أن يرزقَ زيداً ولم يرد أن يرزق عمراً فقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾[2] و﴿ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾[3] .

= وطلب الفقه لتحصيل القوت ، ثم ارتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان ، ثم إلى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور ، فاشتغل عليه ولازمه ثم جلس للإقراء ، وحضر مجلس نظام الملك ، فأقبل عليه نظام الملك ، فعظمت منزلة الغزالي ، وندب للتدريس بنظامية بغداد ، ثم أقبل على العبادة والسياحة ، فخرج إلى الحجاز فحج ، ورجع إلى دمشق فاستوطنها عشر سنين ، ثم سار إلى القدس والاسكندرية ، ثم عاد إلى وطنه بطوس ، ثم إن الوزير فخر الدين ابن نظام الملك طلبه إلى نظامية نيسابور فأجاب إلى ذلك ، ثم عاد إلى وطنه ، وابتنى إلى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة .

توفي سنة ٥٠٥ هـ ـ (١١١١ م) .

انظر معجم المؤلفين لعمر كحالة : انظر ١١ / ٢٦٥ .

(١) سورة فصّلت ، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤١ .

ولا تقول : علم الله ولا يعلم فيما له أن يعلمه ، لأن نفي العلم نفي الذات ونفي الإرادة نفي الفعل لا الذات ، ولكن أكثرهم لا يعقلون ، وكلامي هذا كلّه تنبيه لا استدلال لما أعرف ، وأعتقد أن العاقل الذي يريد الله سبحانه توفيقه للهدى لا يحتاج في هذا إلى الإرشاد من الخلق لظهور الدليل والمستدلّ عليه ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور وقد خرجنا عمّا نحن فيه ولنرجع إلى ما نحنُ فيه .

تعيّن المعلوم في علم الله تعالى

وقوله : ثم اقتضت ذواتها بعد ذلك من نفسها أموراً هي عين ما علمها عليه أوّلاً .

أقول : إنّما اقتضت ذواتها بعد ذلك في الرتبة لأنَّ ما يقال هو علم سابق على ما يقال هو معلوم بالذات ، كما هو متعارف بين المتكلمين ومن في مقامهم ، وإلّا ففي الحقيقة أنَّ تعيّنها في علمه بما هي عليه في تكوّنها في مكانها ووقتها وهذا العلم المتعلّق بها في ورقتين من الكتاب .

الأولى : ورقتان عليا وسفلى .

والثانية : بينهما .

وبيان هذا أنَّ الثانية هي أنَّ علمه بها هو على ما هي عليه في

مكانها ووقتها فعلمه بها في هذه الورقة ليس قبلها ولا بعدها ولا غيرها .

وأمّا الأولى : فالعليا قبل تعيّنها في رتبتها في نفسها ، وذلك هو وجهها الباقي من علمه ، مثلاً زيدٌ تعيّن في علمه المساوق لوجوده الذي به هو هو في هذا الوقت وهذا المكان ، وهو الورقة الثانية المتوسطة بين طرفي الأولى وعلمه بها الذي هو طرف الأولى . الأول هو وجهُ زيد وهذا الوجه باق ، بمعنى أن زيداً يموت ويكون تراباً وهذا موجودٌ في اللوح المحفوظ حتى يعادَ منه كما بُدِىء منه مثل صورة في ذهنك نقشتَها في قرطاس ، فلمّا ذهب ما في القرطاس نقشتها في قرطاس آخر من تلك الصورة التي في ذهنِك . فالذي في ذهنك هو وجه المنقوشة في القرطاس وهو الباقي والهالك هو المنقوشة : ﴿ هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾(١) .

فإنه على أحد الوجوه الثلاثة في الآية أنّ الضمير في وجهه يعود إلى شيء وإليه الإشارة بقوله تعالى حين قال الكافرون : ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴾(٢) قال : ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾(٣) .

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٨ ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ .

(٢) سورة ق ، الآية : ٣ .

(٣) سورة ق ، الآية : ٤ .

يعني حافظ لما نقصته الأرض منهم ، وهذا العلم وإن كان سابقاً في الذات وفي الدّهر ، لكنه في الزمان وفي الظهور مساوق ، بل ربّما يقال : إنّه مسبوق في الزمان ، وإن كان سابقاً في الدهر كما رواه في الكافي في رواية صالح النيلي عن الصادق عليه السلام في حديث الاستطاعة قال عليه السلام : (. . **ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر وهُمْ في إرادة الله وفي علمه ألا يصيروا إلى شيء من الخير**) .

قلتُ : أراد منهم أن يكفروا ؟

قال عليه السلام : (**ليس هكذا أقول ولكني أقول علم أنهم سيكفرون فأراد الكفر لعلمه فيهم وليست إرادة حتم وإنّما هي إرادة اختيار**)(١) انتهى .

أقول : في هذا الحديث استشهادان :

الأول : إنَّ هذا العلم السابق في الدهر مسبوق في الزمان وهو قوله عليه السلام : (**ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر**) .

الثاني : قوله : (**علم أنّهم سيكفرون**) ، فأراد الكفر لعلمه فيهم وهو معنى الأول يعني علمَ في الدهر أو في السرمد أنّهم

(١) أصول الكافي : ١ / ١٦٢ ح ٣ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٣٤٦ ح ٣٥ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٥ / ٤٣ ح ٣ .

سيكفرون في الزمان ، وهذا العلم هو الطرف الأعلى من الورقة الأولى ، فهو وإن كان سابقاً لكنه علم بما هو لاحق ، يعني علم في الدهر أو في السرمد على اختلاف القصدين بهم في الزمان حين كفروا ، فمعنى علم أنهم سيكفرون يعني حين كفروا ، مثاله : إذا علمتَ اليومَ قيامَ زيد غداً فمعناه أن علمك ارتبط بقيامه حين قام غداً ، ووقع عليه في الغد كما ترَى زيداً في مكانه لا في عينك ، وما في عينك ظلّه إن كانت الصورة منتزعة ووجهه وإن كانت أصلاً فافهم .

فقوله : بعد ذلك لا تصح البعديّة إلّا بملاحظة الدهر ، وأما بملاحظة الزمان فمعه أو قبله على اعتبار بعض منهم .

وأمّا الورقة السفلى من الأولى يعني طرفِها فهي صغيرة وهي ظلّ الثانية منتزع منها ، كما في حديث خلق آدم ووضع أنوارهم في صلبه(١) ، فإنَّ النور الموضوع في صلبه نازل من أشباحهم عليهم السلام التي في العرش ، فلمّا سأل آدم ربّه أن يريه ما وضع في صلبه من الأنوار أمره أن ينظر إلى العرش فانطبع شبح ما في

---

(١) عن الإمام الرضا عليه السلام قال في حديث طويل : (.. **ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً ، وكان سجودهم لله عبودية ، ولآدم إكراماً وطاعة ، لكوننا في صلبه ، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون**) علل الشرائع : ١ / ٥ ح ١ .

صلبه في العرش ، فرأى أشباحهم السفلى المنطبعة مما في صلبه ، لا الأولى التي هي وجه ما في صلبه ، فإنه لا يستطيع النظر إليها والسفلى صغيرة والعليا كبيرة وهما في الدهر وما في الزمان بينهما . فهذه الثلاث المراتب هي علمه تعالى بزيد مثلاً والحديث المستدلّ به على هذه المراتب الثلاث قول علي بن الحسين عليهما السلام قال : (**حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يا عباد الله إن آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح . فقال : يا ربِّ ما هذه الأنوار ؟ ، فقال عزّ وجلّ : أنوار أشباح نقلتُهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك فلذلك أمرتُ الملائكة بالسجود لك إذ كنتَ وعاء لتلك الأشباح ، فقال آدم : يا رب لو بيّنتَها لي ، فقال الله عزّ وجلّ : انظر يا آدم إلى ذروة العرش فنظر آدم ووقع نورُ أشباحِنا من ظهر آدم على ذروة العرش ، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المِرآة الصافية فرأى أشباحنا**)[1] الحديث .

فالذي رأى آدم هو السفلى والتي وضعت أشباحها في صلبه هي الأولى ، والذين ظهروا في الدنيا بين الناس صلى الله على محمد وآله الطاهرين هو الورقة الثانية المتوسّطة بين العليا الكبيرة

---

(١) المحتضر للحلي : ٢٧٥ ، وغاية المرام للبحراني : ٤ / ١٧٨ باب ١٠٨ ، وبحار الأنوار : ١١ / ١٥١ ، وتفسير الصافي : ١ / ١١٥ .

العظيمة وبين السفلى الصغيرة بالنسبة إلى الأولى والثانية ، فالأولى هو ما قال الله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[(١)] والثانية شبح الأولى وظاهرها فينا ، والسفلى شبح الثانية ، فالذي رأى آدم عليه السلام شبح الشبح ونور النور فالله عزّ وجلّ ثلاثة علوم كليّة خاصّة بكلِّ شخص الورقة الأولى العليا والسفلى وهما في الدهر أو السفلى في الدّهر والعليا تكون في الدّهر ، وهو العلم المستثنى الذي يحيطون به كما تقدم ، وقد تكون في السّرمد ، وهو العلم الذي لا يحيطون بشيء منه وقد تكون بينهما ، والإحاطة بينهما والورقة المتوسّطة التي هي تعيّنه بما اقتضته ذاته في مكانه وزمانه وله سبحانه في كلّ علم من هذه علومٌ جزئيّة خاصة بأحوال ذلك الشخص من حركته وسكونه ونطقه وسكوته وأنفاسه وخطرات نفسه ووساوس صدره ، وكلّ شيء منه أو عنه أو به أو له أو فيه كلّ جزئي بما تعيّن به مما اقتضته نفسه .

وهو تعالى الخالق لها بقوابلها ومقتضياتها كما قال تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾[(٢)] وهو العالم بها لأنه الخالق لها ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[(٣)] .

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٢٧ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .
(٣) سورة الملك ، الآيتان : ١٣ ، ١٤ .

وقوله : أموراً هي عينُ ما علمها عليه أوّلاً .

أقول : إنّها تقتضي من ذاتها أموراً أي قيوداً ومشخّصات هي عين ما علمها عليه أوّلاً ، لأنّه علمها بما اقتضته كما قلنا سابقاً لا كما قال ، لأنّه لو علمها بغير ما اقتضته ذواتها في أماكنها وأوقاتها لم يكن ما اقتضته ذواتها في أماكنها وأوقاتها عين ما علمها عليه أوّلاً ، ولكنه تعالى تعيّنت في علمه بما علمها عليه مما اقتضته ذواتها في أماكنها وأوقاتها فافهم إن كنتَ تفهم .

وقوله : فحكم لها ثانياً بما اقتضَتْه وما حكم إلّا بما علمه .

أقول : هذا الكلام حقّ لكن ليس على ما قصده ، لأنّه على ما قصده باطل ومعناه على الوجه الحق أنّه تعالى حكم لها أي أوجدها بما اقتضته ، أي بقابليّتها وإجابتها له حين سألها وقال لها : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1] ومحمد نبيّكم وعليّ وليّكم وإمامكم ، ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾[2] ، فمنهم مَن قالها بلسانه وقلبه وعمل جوارحه

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً ، وماءً مالحاً أُجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون : إلى الجنّة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أُبالي ، ثم قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . ثم أخذ الميثاق على النبيّين ، فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وأنّ هذا محمّد رسولي ، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ ، فثبتت لهم =

عارفاً مصدّقاً مسلّماً وهم الأنبياء والمرسلون والصدّيقون والشهداء والصالحون والملائكة وعلى اختلاف مراتب إجابتهم خلقهم لأنّ جوابهم ليس في مشهد واحد ولا وقت واحد ، فخلق كلاً في مكان إجابته ووقتها على صورة إجابته وهي صورة الطاعات والأعمال الصالحات : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾(١) .

ومنهم من أجاب بلسانه وقلبُه مكذّب منكر مستهزىء ومستكبر فخلقهم ظاهراً بصور المجيبين وهي الصورة الإنسانية ظاهراً ، أو خلق بواطنهم من صور الحيوانات والشياطين ، وفيها يحشرون ظاهراً وباطناً ، لأنّهم إذا ماتوا على هذه الإجابة الخبيثة انتزعت منهم الصور الإنسانية ، فحشروا في صور إجابتهم ومشاهدهم وأوقاتهم مختلفة كالأوّلين : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾(٢) .

ومنهم من أجاب بلسانه غير عارف بما قال : فخلق تعالى

= النبوّة . وأخذ الميثاق على أُولي العزم أنّني ربّكم ، ومحمّد رسولي ، وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه عليهم السلام من بعده ولاة أمري ، وخزّان علمي ، وأنّ المهديّ أنتصر به لديني ، وأُظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأُعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا ربّ وشهدنا) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، ومختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ ، وأمالي الصدوق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .

(١) سورة المطففين ، الآية : ١٨ .

(٢) سورة المطففين ، الآية : ٧ .

ظواهرهم على صور الإجابة وهي الصور الإنسانية ، ولم يخلق بواطنهم حتى يكملوا ويبيّن لهم طريق الحق والباطل في أنفسهم ، ثم يكلفهم ثانياً ، فمنهم من يجيب ومنهم من ينكر وذلك قد يكون من بعضهم في الدنيا وقد يكون في البرزخ ، وهو قليل وقد يكون في الآخرة فحكمه لها ثانياً هو خلقها بما اقتضته ذواتها من الإجابة بالاعتقاد في القلوب وقول الألسن وأعمال الجوارح وهي قوابلها التي يخلقها بها كما قال تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ لا بعلمه وبما اقتضاه فيهم ، بل بعلمه الذي هو هم وقوابلهم فافهم .

وقوله : وما حكم لها إلّا بما علمه .

أقول : وما حكم لها إلّا بما علمه وما علمه بهم إلّا ما هم عليه وإليه الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام : (**لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها**)[١] ،

---

(١) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ الخطبة : ١٨٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٩٤ ح ٢٦١٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦١ ، وأعلام الدين للديلمي : ٦٧ .

قال عليه السلام : (**واحد لا بعدد ، ودائم لا بأمد ، وقائم لا بعمد ، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره وتشهد له المرائي لا بمحاضره ، لم تحط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها ، ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، بل كبر شأناً وعظم سلطاناً**) .

وشرح كلامه عليه السلام فيما قلتُ لك والله سبحانه ولي التوفيق .

قال : أصل ـ قد ظهر من هذه الأصول أنَّ للأشياء كلِّها حصولاً لذاته سبحانه بعد مرتبة علمه بذاته ، بعديّة بالذات والرتبة من غير لزوم كثرة في ذاته بسبب تكثُّرِها لوقوعها على الترتب الذي يجمع الكثرة في وحدة .

أقول : قوله : إنَّ للأشياء حصولاً لذاته سبحانه بعد مرتبة علمه بذاته ، هذا حقٌّ لكن هذا الحصول ليس هو غير الحاصلة وإلّا لحصل الحصول بدون الحاصل أو قبل الحاصل ، وحينئذ إن كان الحاصل معلوماً فبحصوله ، وننقل الكلام فيه فيبطل بثبوت الدور أو التّسلسل أو ثبوت الصفة على الأول بدون الموصوف أو قبله ، فلا بدّ من كون المراد بالحصول الحاصل وعلى أي تقدير ، فالحصول والحاصل غير الذّات الحق ، فلا يكون هو الذات الحق سبحانه بوجه وقوله من غير لزوم كثرة ، إن كان بلحاظ أنه الكلّ فيحصل عدم الكثرة بهذا الاعتبار ولكن من كان كذلك ليس بأحدي المعنى حقيقة ، وإنّما هو أحدي المعنى باعتبار وإن كان بغير لحاظ أنه الكل ، فأسوأُ حالاً والترتّب الذي يجمع الكثرة في وحدة فإنّما يجمعها باعتبار وما كان كذلك فهو كثير حقيقة .

فإن الشجرة مع تكثرها بالأصل والغصون والأوراق والثمر باعتبار هي واحدة وليست وحدةُ ربِّنا كذلك فذرهم وما يفترون .

وأمّا أنّ لها حصولاً وحضوراً وذلك الحصول هو علمه بها، فحقّ ولكن الحصول لم يكن قبلها، بل هو معها حين أوجدها، وهو قوله عليه السلام: (**فلمّا أحدثَ الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم**)، فهو البتّة حادث بحدوثها فلا يكون قديماً باعتبار، لأن العبارة عن هذا أنه ثبت لله بالحاصل في مكانه ووقته وكونه تعالى لم يكن خلواً من ملكه من حيث إنه عزّ وجلّ لم يفقدها في أماكنها وأوقاتها. فإن أراد بالقدم وكونها ذاته بهذا المعنى أو باعتبار كما قال، فلم يوجد حادث قطّ، بل كلّها قديمة وكلها ذاته كما قال في الكلمات المكنونة كما قلنا عنه سابقاً بقوله: فصحّ أنه ما أحدثَ شيئاً إلّا نفسه وليس إلّا ظهوره، وهذا غير ما نحن فيه لأنّا نتكلّم على قواعد الإسلام التي أقرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين عليه وعليه ماتوا وهو الحقّ من ربّهم.

قال: كما قال أبو نصر الفارابي قُدِّس سرّه بقوله: واجب الوجود مبدأ كلّ فيض[1] وهو ظاهر على ذاته بذاته[2]، فهو الكلّ من حيث لا كثرة فيه، فهو من حيث هو ظاهر ينال الكلّ من ذاته

---

(١) انظر المبدأ والمعاد للشيرازي: ١٩٩.

(٢) في دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام: (**يا من دل على ذاته بذاته**)، انظر بحار الأنوار: ٨٤/ ٣٣٩ح ١٩ وج ٩١/ ٢٤٣ح ١١، ونهج السعادة: ٦/ ١٢٨.

فعلمه بالكلّ بعد ذاته وعلمه بذاته ويتّحد الكل بالنّسبة إلى ذاته فهو الكلّ في وحدة .

أقول : هذا قول إمامِه الذي يقتدي به ويدين الله تعالى بدينه ، وهو أنَّ الله مبدأ الأشياء وهو الكلّ أي كلّ الأشياء ، ومنه يستمدّ الكل أي من ذاتِه كما قال إمامُهُ الثاني مميتُ الدين بن عربي في الفُصوصِ :

وَغَــذِّ خَــلــقَــهُ مِــنــهُ تَــكُــن رَوحَــاً وَرَيــحَــانَــا

فقول الفارابي : فهو الكلّ في وحدة ،كما قال غيره من أهل التصوّف القائلين بوحدة الوجود التي قام الإجماع على تكفير القائل بها ، وإمامُنا أمير المؤمنين عليه السلام يقول : (**انتهى المخلوق إلى مثله وألْجأه الطلب إلى شكلِه السبيل مسدود والطلب مردودٌ**)[١] ، هذا قول إمامِنا عليه السلام ، وقول أئمّتهم

---

(١) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : (**وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها ؟ فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطَّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته**) . =

ابن عربي والغزالي والفارابي وأضرابهم ما سمعتَ بأنه تعالى هو الكلّ ويمثّلون به تعالى وبخلقه كالحروف من النفَس وكالحروف المنقوشة من المداد وكالموج في البحر وكالأعداد من الواحد وكالنار الوارية من الحجر بالزناد وكالثّلج من الماء ويقول شاعرهم :

وَمَا النَّاسُ فِي التِّمثَالِ إِلَّا كَثَلجَة   وَأَنتَ لَهَا المَاءُ الَّذِي هُو نَابِعُ

= وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤ ، وأولها : (الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . .) .

وفيها : (السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) .

رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

وَلَكِن بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرفَعُ حُكمُهُ   وَيُوضَعُ حُكمُ المَّاءِ والأَمرُ وَاقِعُ(١)

وأمثال هذه من إلحاداتهم .

ومنها : قال بعضُ من يأتَمُّ بهم : بسيطُ الحقيقة كلّ الأشياء ، ويريد ببسيط الحقيقة هو الله الحق تعالى أي الذات البحت الأزليّة .

وقال : معطي الشيء ليس فاقداً له ، ويريد ليس فاقِداً له في ذاته ، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾(٢) فإذا قلنا : الله هو بسيط الحقيقة ، قالوا : نعم هو مرادنا ، فقلت لهم : الله كلُّ أهلِ أصفهان؟ ، قالوا : لا .

وفي القول الآخر : قلتُ لهم : معطي الشيء ليس فاقداً له في ملكه أو ذاته قالوا : في ذاته ، فقلتُ : الله سبحانه أعطاني عصاي هذه وهو ليس فاقداً لها في ذاته ، قالوا : لا ، فقلتُ : فما مرادكم ! ، قالوا : إنّها مركّبة من وجود وماهيّة والوجود هو الله تعالى .

وكذلك جوابهم في القول الأول ، وكلّها قول بوحدة الوجود وهذا مما لا إشكال فيه .

فقوله : فعلمه بالكل بعد ذاته وعلمه بذاته ، يلزمه أن ما بعد

---

(١) انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦٤ .
(٢) سورة الكهف ، الآية : ٥ .

الذات ليس هو الذات وإلّا لاختلفت بالقبليّة والبعدية وتجزّأتْ وتغايرت فتكون مركّبة ، فإذا قيل : من غير لزوم كثرة في ذاته لم ينفِ الكثرة بعد إثباتِها ، لأنّ القول ما لم يكن مطابقاً للواقع كان كذباً .

فقوله : ويتّحد الكلّ بالنسبة إلى ذاته فهو الكل في وحدة ، يلزمه أنّ ذاته كانت وحدها قبل علمه بالكل منفردةً ، فلمّا حصل علمه بالكل امتزجت به واتّحد الكل الذي كان متكثِّراً بالتدريج وهذه الحال لا يرضاها لنفسه ولا يجوّزها لذاته .

قال : أصل ـ الآن فلنفتِّش ونفحص هل ذلك الحصول هو بعينه هذا الوجود المشاهد من العالِم ، أم هو حصول آخر غير هذا متقدّم على هذا إنّما يتشابه ويتوسط شيئاً فشيئاً .

أقول : قد ذكرنا قبل أنَّ الحصول إن كان غير هذا تسلسل أو دار وكذا أن فرض أنه غير نفس الحاصل ففحصه وتفتيشه يرجع إلى ما قدّم .

قال : فنقول إن العارفين بالأمر على ما هو عليه بشهود وعيان لا يشكّون في أن هذا هو ذاك من وجه وأنه غير ذاك من وجه آخر .

أقول : العارفون الذين يشير إليهم مَنْ هُم إن كانوا نحو مَن ذكرنا فهم كما قال عليّ عليه السلام كما في الكافي بسنده إلى مقرن قال : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : جاء ابن الكوّا

إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ﴾[1] ، فقال : (**نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتِنا ، ونحن الأعراف يعرّفنا الله تعالى يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنّة إلّا مَن عرَفَنا وعرَفْناه ، ولا يدخل النار إلّا مَن أنكَرَنا وأنكرناهُ ، إنَّ الله تعالى لو شاء لعرّف العبادَ نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصمَ النّاس به ولا سواء حيثُ ذهب الناس إلى عيون كَدِرة يُفرغ بعضُها في بعض ، وذهب مَن ذهَب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربّها لا نفادَ لها ولا انقطاع**)[2] انتهى .

فإنَّ مَنْ ذهب إلى هؤلاء ذهب إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ولو أنه قال بقول أئمّتنا : ذهب إلى عيون صافية تجري بأمر ربِّها ، فلأجل ذلك سمعتَ قوله مستنداً إلى قول الفارابي ، وإلى قول كلّ ضالٍّ صابىء ، على أن هذا الحصول الذي هو علمه بها إذا كان ذا وجهين فيكون في نفسه متعدّداً ولا تقول : إنما قال من

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٤٦ .

(٢) مختصر البصائر : ٥٥ ، وبصائر الدرجات : ٥١٧ باب ١٦ ح ٨ ، والكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩ ، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٢٤٩ ح ٤ ، وغاية المرام : ٤ / ٤٧ ح ٩ .

جهة الاعتبار لأنَّ الاعتبار إمكان لا يتحقّق إلّا في إمكان ، فكيف يحضر لديه تعالى في الأزل كما يقول ، ولو حضر من الوجه الأعلى لزم أن يكون ذلك الحاضر مركباً من القديم والحادث يحضر بجهة القدم عند القديم في الأزل ، ويتخلّف بجهة الحدوث عند الحادث ، وهذا باطل أو يحضر بجهتيه وهو باطل أوْ لَا يحضر بحال من الأحوال وهو باطل أو يحضر في أماكنها وأوقاتها وهو الحق .

بمعنى أنَّ ذلك الحضور والحصول لم يفْقِده في ملكه فهو واجدٌ لهُ في رتبته من الإمكان ، فلم يكن في الأزل فاقداً لذلك الحضور والحصول في أماكنها وأوقاتها وأنت تجد في نفسِك أنك لم تفقد مالك وكتبك في أماكنها ، مع أنّها ليست في ذاتك وليس حصولها لكَ هُوَ ذَاتُكَ ، فيكون عدمُ حُصولِها لو تلفَتْ عدماً لذاتك لأنَّ حصولها صفة لها لا لك ، ولا يوجد قبلها . وكنت أنت أنت ولم تحصل لك كتبٌ ، فقوله فيما بعد ليس حصولها له على حدّ حصولها لنا ، الخ .

فيه أنَّ آية ما يدّعيه من الحصول السراج وأشعته على زعمه وحصول الأشعة للسّراج ليس هو ذات السراج ، بل هو خارج لحصول الشيء من هذه الجهة ، وليست القيوميّة لها تجعلها ذات السراج كما توهّم ، ويأتي تمام هذا الكلام .

كيفية تحقق الأشياء عند الله سبحانه

قال : وذلك لأنّهم يعلمون أنّ حصول الأشياء لله سبحانه وتحققها عنده وحصولها لديه ليس على حدِّ حصولها لنا وتحقّقها عندنا وحضورها لدينا ، كيف وحصولها له عزّ وجلّ حصول لفاعلها وموجدها ومنشئها ومحدثها ولمن هو محيط بها ويشاهدها على ما هي عليه وحصولها لنا حصول لمن لم يفعلها ولم يحط بها ولم يشاهدها على ما هي عليه .

أقول : إنّا لا نعرف ما أجرى عليه أفعاله إلّا بما ضرب لنا من الأمثال ، فلمّا ضرب لما يشاء من ذلك الأمثال نظرنا فيها أو في بعضها فلم نجد فيها مجازفة ، بل لو اجتمعت جميع الخلائق على أن يعثروا على نقص فيما ضرب من المثل ما عثروا على شيء ، ولكان ما خفي عليهم من أسرار المطابقة أكثر مما علموا بمراتب لا تكاد تحصى .

فقوله : ليس على حدّ حصولها لَنا أو تحقّقها عندنا ، ليس بصحيح لأنَّ من خلقه ما ضربه سبحانه مثلاً والمثَل بالنسبة إلى المخلوقين على أكمل وجه في المطابقة والسِّراج بالأشعّة ، فإنَّ حصولها للسّراج حصول لفاعلها ومُوجِدها ومُنْشِئها ومحدثها ولمن هو محيط بها ويشاهدها على ما هي عليه ، وهذه آية ما ذكره ، لأن الله سبحانه خلق السراج مثلاً لذلك مثله ، ولكن مَن

عرف حقيقة الحصول بالنِّسْبة إلى تحقّقه لِمَنْ هُوَ له تبيّنَ لَهُ أن الحصول الذي يحصل به العلم بالحاصل لا يفرق فيه بين من أوجد الحاصل له وبين مَن لم يوجده . لأنَّ المراد به ثبوته لَهُ وهو حاصِلٌ لَهُمَا وليس المطلوب في تحقّق الحصول الإحاطة بكلّ أحوال الحاصل أو القيّوميّة له ، لأنّ فائدة هذا كثرة الحصولات وهو شيء آخر .

نعم يتوهّم في ثبوتِ الحصول لِمُنْشِئِه أنَّ الحاصل والحصول فرع عن حقيقة له في ذاتِ الموجِدِ لا تلزم منها المغايرة والكثرة لذات الموجد ، فبتلك الحقيقة الأزَلِيّة ، ثبت له ذلك الحصول من جهة تلك الحقيقة الأزليّة في الأزل ، لأنّه تعالى كلّ الأشياء يقولون هؤلاء ويبنون دينهم على ذلك تبعاً لأئمتهم أئمّة الضلالة .

وأمّا نحن ، فنقول : إنّه تعالى واحد أحدي المعنى ليس في شيء وليس فيه شيء ، ولم يلد ولم يولد فليس فيه شيء بالقوّة يخرج إلى الفعل كما قاله في الكلمات المكنونة ، ولا أنّه أصل لخلقه ولا ينتهي إليه الخلق وكلّ ما سواه ، فخلقه خلقهم بفعله لا من شيء وحبَسَهم في الإمكان واضطرّهم بالحاجة إلى مدده ، فالحصول خلقه من الحاصل وحبسه في سجنه وهو الحاصل .

والحاصل خلقه في رتبته وحبسه في مكانه ووقته ، وهو تعالى لم يفقدهم في رُتَبهم وأماكنهم وأوقاتهم ولم يجدهم في أزله تعالى ، فهم حاصلون له في مراتبهم من الإمكان والكون

حاضرون لديه فيما أقامهم فيه من مراتب الحدث ، فهو سبحانه الواجد لهم بهم في الحدث على حدّ قول أمير المؤمنين عليه السلام كما في نهج البلاغة : (**لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها وإليها حاكمها**)(١) انتهى .

فعلمه تعالى القديم هو ذاته ، لم يقترن بمعلوم بل هو تعالى علم ولا معلوم(٢) ، ظهر بمشيئته وبما أمكنَ بها ، وكوّنَ وهذا

---

(١) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ الخطبة : ١٨٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٩٤ ح ٢٦١٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦١ ، وأعلام الدين للديلمي : ٦٧ .
قال عليه السلام : (**واحد لا بعدد ، ودائم لا بأمد ، وقائم لا بعمد ، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره وتشهد له المرائي لا بمحاضره ، لم تحط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها ، ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، بل كبر شأناً وعظم سلطاناً**) .

(٢) قال عليه السلام : (. . . **أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل ، فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزله ومن قال : كيف ؟ فقد استوصفه ومن قال : فِيمَ ؟ فقد ضمنه ، ومن قال : على مَ ؟ فقد جهله ، ومن قال : أين ؟ فقد أخلا منه ، ومن قال : ما هو ؟ فقد نعته ، ومن قال : إلى مَ ؟ فقد غاياه ، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق ، وربّ إذ لا مربوب ، وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون**) . الكافي : ١ / ١٤٠ ح ٦ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ١٦٦ ح ١٠٦ ، وتوحيد الصدوق : ٣٦ ح ٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٦ ح ٥١ .

علمه بها وهو غير ذاته لأنّه محدث ولم يخل منها ولم يفقدها بها وقد ذكرنا الإشارة إلى ذلك .

والعبارة قد يتصعّب فهمها ولا سيّما في هذا المقام الذي هو مزلّة الأقدام من العلماء الأعلام ، ولكني أضرِبُ لك المثل الحقّ وهو الذي كتبه سبحانه في العالم والأنفس ليعقله العالمون ويهتدي به الطالبُونَ ، وهو أنّك إذا قابلتَ المرآة انطبعَتْ فيها صورتك وهي في المرآة مثال المخلوق المعلوم وحضوره وهذه الصورة المنطبعة هي ظل صورتك التي فيك وشبحُها ، ظهرَتْ عَنْها أي عن صورتك التي قامت بك بالصورة التي في المرآة ، يعني أنّك ظهرْتَ للصّورة التي في المِرآةِ بواسطة صقالتها وهيئتها ومقابلتها التي هي المشخصات لها عن الصُّورة التي قامت به .

فالحصول والحضور الذي هو العلم هو حصول مبتدأ ما في المرآة بالمشخصات في المرآة خبر ، فالظهور الذي انطبع من صورتك التي قامت بك ، في المرآة منفصل عن صورتك التي قامت بك بمعنى أنّه يعني الظهور الذي هو مادة ما في المرآة ، هو الظلّ الواقع على المرآة المنطبع فيها فصورتك التي قامت بك كانت معك ، وهي كينونتك ولم تكن صورة المرآة معك .

مثاله ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[(١)] وإنّما التمثيل لأجل التفهيم ،

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٠ .

كان تعالى عالماً ولا معلوم مثله كنتَ بصورتك التي هي أنت ولك ومعك ولا صورة في المرآة ، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم مَثَلُه(١) ، فلمّا حصلت المرآة المقابلة بلا حجاب وقع ظهور صورتك على الصورة التي في المرآة ، فظهور صورتك الحادث عند المقابلة هو مادة الصورة في المرآة وهيئة الزجاجة وصقالتها ومقابلتها ولونها من الكبر والصغر واعوجاجها واستقامتها ، ومن قوّة الصقالة وضعفها ، ومن تمام المقابلة وبعضها ، ومن بياضها وسوادِها وغير ذلك . هي المشخصات والقيود التي تتم بها القابليّة ، وهي صورتها فتقومت الصورة في المرآة وتعيّنَتْ بذلك الظّهور وبتلك المشخصات ، فتعلم صورتك في المرآة بها وليس شيء غير صورتك التي هي قديمة فيك ولا ظهور معها غيرها .

ثمّ حدث الظهور في المرآة وليس شيء ثالث متوسط أو ذو

---

(١) في التوحيد عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور**) قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟
قال : (**إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم**) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .

جهتين كما توهّم أولئك ، وليس بينهما ملازمةٌ ، وإلّا لما انفكّت الثانية التي في المرآة عن الأولى التي فيك ، فالحصول الذي هو علمك بالصورة التي في المِرآة هو حصولها وهي هو وليس هو الصورة الأولى ولا حُصولها لوجودها قبل الثانية ومخالفتها لها .

فإنّ العلم يجب أن يكون مطابقاً للمعلوم ومقترِناً به وليس بين الصورتين ولا بين حصولهما اقتران ولا مشابهة ، لأنَّ المرآة لو كانت طويلة كالسيف كانت الصورة المنطبعة فيها كهيئتِه طويلة والصورة التي في الشاخص مستقيمة ، ولو كانت المرآة سوداء كانت صورتها سوداء وإن كانت الأولى بيضاء .

والحاصل أنها لا تطابق الأولى لأنَّ تشخّص الثانية ولونها وقدرها ووجودها على حكم المشخّصات فلا تكون علماً بها ، وإنّما العلم بها نفسها وهي غير الأولى فلا تكون الثانية نفس الأُولى لا في الواقع ولا نَفْسِ الأَمر ولا في الاعتبار .

فساد ما يُنسب إلى ذات الله بوجه دون وجه

قال : فللأشياء وجهانِ وجه إلى الحق سبحانه وهي من هذا الوجه حاصلٌ له متحقّق عنده حاضر لديْه في الأزل حصولاً جمعيّاً وحدانيّاً غير متكثّر ولا متغيّر باق . وبالجملة على ما يُنَاسبُ ذاته عزّ وجلّ وصفاته وأفعاله .

أقول : قد بيّنا فساد ما يُنسب إلى ذات الله تعالى بوجه دون

وجه لأنّ ما لَهُ وجهان ، فهو حادث ولا يصح نسبته إلى الله تعالى إلّا على قوله : إنَّ كلّ شيء هو الله كما يقولونه : أَنا الله بلا أَنا ، فإنّ الحجر مثلاً مركب من وجود هُوَ الله ومن ماهيّة موهومة هي الخلق فيقولون : الحجر هو الله بلا حَجر ، تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً ، ولكن هذا مذهب أئمته مميت الدين بن عربي والغزّالي وابن عطاء الله[1] وأبو يزيد البسطامي[2] وأمثالهم .

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري ، الجذامي ، الشاذلي ، الشهير بابن عطاء الله (تاج الدين ، أبو العباس ، وأبو الفضل) صوفي مشارك في أنواع من العلوم كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو والأصول .
توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة (٧٠٩ هـ ـ ١٣٠٩ م) .
من مصنفاته : التنوير في إسقاط التدبير في التصوف ، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح ، لطائف المتن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن أصول مقدمات الوصول ، والمرقى إلى القدير الأبقى .
انظر طبقات الشافعية للسبكي : ٥ / ١٧٦ ـ ١٧٧ ، وإيضاح المكنون للبغدادي : ١ / ٩٣ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد الانطاكي ، الحنفي البسطامي ، نزيل بروسه .
عالم مشارك في أنواع من العلوم في الحديث والتفسير والفقه والتاريخ وخواص الحروف والتصوف .
ولد بأنطاكية ، وأقام بالقاهرة وببروسة إلى أن توفي سنة (٨٥٨ هـ ـ ١٤٥٤ م) .
من مؤلفاته الكثيرة : نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك ، الفوايح المسكية في الفواتح المكية ، لوامع أنوار القلوب وجوامع أسرار الغيوب في علم الحرف ، وكيمياء السعادة الربانية وسيمياء السيادة الروحانية ، وتلخيص=

وأمّا مذهب أئمتنا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله فهو ما سَمِعتَ منّا فإنّ الحادث لا يكون أزليّاً بحال من الأحوال .

وأمّا قوله جميعاً فهو ما يقوله أهل التصوف من أنَّ جميع ما في الوجود الحادث ، والقديم هو الله تعالى من حيث إن الكلّ إذا لُوحظ بلحاظ واحد فهو واحدٌ بسيط بخلاف لحاظ الفرق بأن يلحظ كلّ واحد على حدة ، فإنّه يكون المتكثر من حيث هو متكثر حادثاً وهذا أحد مناكرهم ووساوسِهِمْ وهم بربهم يعدلون ، إنَّ الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فذرهم وما يفترون .

قال : ووجه آخر إلينا وهي من هذا الوجه لم تحصل ولم تتحقّق ولم توجد إلّا فيما لا يزال وجوداً متفرّقاً متكثراً متغيّراً نافداً .

وبالجملة على ما يناسب ذواتنا ، هذا الوجه هو الأمر الواقع ، وأمّا : الوجْهُ الأوّل فهو إنْ كان حاصلاً قبلها فهذا الحصول ليس حصولاً لها ، لأنَّ الحصول صفة لها لا يُوجد قبلها وإنّما يوجد معها ، فوجودها إذا كان تدريجياً فالحصول تدريجي كلّ ما وجد شيء حصل ، وإن كان دفعيّاً حصل حصولها دفعة ومعلوم بالضرورة أنّها لم توجد دفعة .

= تهذيب الأسماء واللغات للنووي سماه بالفوائد السنية .

انظر كشف الظنون لحاجي خليفة : ٥٠ / ٦٢ ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة : ٥ / ١٨٣ .

نعم حصولها الإمكاني دفعة وإن كان الإمكان لها في نفسه مترتّباً ، فإنّ من الأشياء ما إمكانه متوقّف على إمكان غيره كتوقّف إمكان المعلوم على إمكان علَّتِه ، ولكنه يطلق عليه الدفعة للطافة شروطِه . وعلى أي فرض كانَ فكلّ الإمكان خارج عن الأزل لأنه لازم فعله .

وأمّا لحاظ حصولها له تعالى دفعة وإن تعاقبت في أنفسها فهو مدخول ، لأن حصولها دفعة له في أماكنها وأوقاتها ولمّا لم يكن عنده تعالى ماض ولا مستقبل ، كان وجدانها له دفعة إلّا أنها في الحدوث ، وأنت وإن لم تلاحظ تكثرها وامتدادها فيما لا يزال ، ولكن تقول في أوّلها ، بل في علةِ أوّلِها وهي فعله تعالى ، لم تكن حاصلاً له في الأزل لأنّ فعله ليس في الأزل فهذا الحصول الذي يدّعيه هل هو حصولها له تعالى أو حصوله تعالى لنفسه ، فإن كان حصوله لنفسه فلا شك أنه في الأزل ، لأنَّ نفسه في الأزل أي هي الأزل وإن كان حصولها له فحصولها ذاته وإن كان حصولها ذاته كانت ذاته حصول الأشياء ، وإن كان غير ذاته كان معه في أزله غيره ، وعند أئمتنا عليهم السلام ليس معه غيره في الأزل ، لأن الأزل ذاته وإلّا اختلفت ذاته وعندهم لا يضرّ استناداً إلى الحكم الجمعي والله سبحانه سيجزيهم وصفهم .

بطلان أزلية الوجود الذي له وجهان

قال : فالوجود واحد والوجه اثنان وإليه أشير بقوله عزّ وجلّ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[1] أي حقيقته التي منه عند ربّه .

أقول : هذا الكلام كسَابِقِه يُسقى بماء واحد ، فإنّ الوجود الذي له وجهان لا يكون أزليّاً ولا يلائم الأزلي .

وأمّا ما في الآية فمعنى التأويل أن كلّ ما عندكم ينفد لا أن الوجه من الذي عندنا ينفد والأعلى باق ، وهذا لا يكون إلّا في المركّب وما يجري عليه التركيب لا يكون باقياً إلّا على تلك الدعوى ، أنَّ كلّ شيء هو الله تعالى باعتبار وهذه لا تجري على قواعد المسلمين . ومثله قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ أي وجه ذلك الشيء الهالك ، وهذا ثالثُ الوجوه في الآية ، والمعنى في التصوّر حق ولكن الكلام في التصديق ، ومعنى تأويل الآية ليس على ما يذهب بل معناه أنّ المستثنى هو ما في اللوح المحفوظ منّا ، فإنّ الله سبحانه خلقنا منه كلّ شخص من صورته الّتي في اللوح المحفوظ والشخص يفني ، وتلك الصورة باقية إلى أن يخلق منها كما خلق أوّل مرة وهو ما رواه

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .

ابن أبي جمهور الأحسائي[١] في كتابه المجلي عن النبي صلى الله عليه وآله قال : (**ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم**)[٢] وهو رمز اللوح المحفوظ كما هو معروف عند أهله والدليل على أنّ الوجه المستثنى في الآية من الهلاك أي الفناء هو ما في اللوح المحفوظ قوله تعالى حين قال الكافرون :

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾[٣] قال تعالى : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾[٤] والكتاب الحفيظ والمراد به اللوح المحفوظ هو العلم المذكور في الآية ، لأنّه باب ظاهر من العلم كما قال الصادق عليه السلام في رواية حنان بن سدير[٥] .

---

(١) الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي . كان عالماً فاضلاً راوية ، له كتب منها كتاب غوالي اللآلي ، كتاب الأحاديث الفقهية على مذهب الإمامية ، كتاب معين المعين ، شرح الباب الحادي عشر ، كتاب زاد المسافرين في أصول الدين . وله مناظرات مع المخالفين كمناظرة الهروي وغيرها ، ورسالة في العمل بأخبار أصحابنا وغير ذلك . وقيل اسمه محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور ، وهو الأصح كما في أمل الآمل رقم ٧٤٩ ، وانظر مجالس المؤمنين .

(٢) الأسرار الفاطمية : ٢٣٥ ، ومشارق أنوار اليقين : ٥٢ :
ولفظه في المشارق : قال علي عليه السلام : (**عن الباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تبين العابد عن المعبود**) .

(٣) سورة ق ، الآية : ٣ .

(٤) سورة ق ، الآية : ٤ .

(٥) انظر تفسير الميزان : ١٨ / ٣٣٧ .

قال عليه السلام في صفة العرش والكرسي إلى أن قال : (**ثم العرش منفرد عن الكرسي لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب وهما جميعاً غيبانِ ، وهما في الغيب مقرونان ، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ، ومنه الأشياء كلها**) ، إلى أن قال : (**فهما في العلم بابانِ مقرونان ، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلم أغيب من علم الكرسي**)(١) الحديث وهو طويل .

والمراد بالكرسي اللوح وبالعرش القلم ، وهذا ممّا لا ريبَ فيه ، ولأنَّ قوله تعالى : ﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ بيان لقوله : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ ، وقوله حقيقته التي منه عنْدَ ربّه ، هو ما قلنا عليه ، لأن حقيقة الشيء الهالك لا تكون قديمة ، وإنّما المراد أن تلك الحقيقة في اللوح المحفوظ باقية حتى يعاد منها فافهم .

بيان أنه لا يعزب عن علم الله تعالى مثقال ذرة

قال : ولما كان الله سبحانه محيطاً بنا وهو معنا أينما كنّا ، بل هو أقرب إلينا منّا فهو يشاهد الأشياء بهذا الوجه الذي

---

(١) توحيد الصدوق : ٣٢٢ ح ١ باب العرش وصفاته ، وتفسير نور الثقلين : ١ / ٢٥٩ ح ١٠٣٥ ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ٢٩ ح ٥١ ، ونور البراهين : ٢ / ٢٠٢ ح ١ .

نشاهدها بعينه أيضاً بعين مشاهدتنا إياها ، فإذاً لا يعزب عن علـمـه ﴿ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(١) .

أقول : هو معَنا بذاته أم بعلمه الذي هو ظهورُهُ بِنا لنَا ، فإن قال هو معنا بذاته يجب أن يكون معيّة حقيقيّة نعرفها وذلك مقتض للمشابهة لمشاركته معنا في الحلول والاجتماع والافتراق وغير ذلك ، وإن كانت حقيقيّة لا يعرفها إلّا أهل العصمة عليهم السلام أو لا يعرفها إلّا الله فليس له أن يصفها بأن يقول : فهو يُشاهد الأشياء بهذا الوجه الذي نشاهدها بعينه ، لأنَّ هذا وصف الإدراك ولا يجوز فيما لم يعرفه إلّا الله ، وإن كانت معيّة نعرفها فلا تكون تلك المشاهدة والمعيّة أزليّة لأنَّ الأزلي لا يدركه الحادث ولا يصفه بذاته الأزلية .

وإن قال : إنه تعالى يشاهدُها بعين مشاهدتنا إيّاها فحسن ، ولكن هذه المشاهدة لا تكون أزليّة وعندهم تكون أزليّة ولذا يقول شاعرهم :

إذا رَامَ عَاشِقُهَا نَظْرَةً وَلَم يَستَطِعهَا فَمِن لُطفِها
أَعَارَتْهُ طَرفَاً رَآهَا بِهِ فَكانَ البَصِيرُ بِها طَرفُهَا(٢)

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٣ .

(٢) انظر شرح الأسماء الحسنى للسبزواري : ٢ / ١٤ .

فيجعلون نظرهم يدرك القديم لأنهم ينظرون بعينه وينظر هو الحادث بعين منهم ويستشهدون بقول الشاعر :

رَأت قَمَرَ السَّمَاءِ فَذَكَّرَتْنِي لَيَالِيَ وَصْلِنَا بِالرَّقْمَتَينِ
كِلانَا نَاظِرٌ قَمَراً وَلكِن رَأَيتُ بِعَينِهَا وَرَأَتْ بِعَينِي

ولو أرادوا أنّ له نظراً حادثاً يهبه مَن يشاء من عباده فيعرفه به معرفةَ استدلال عليه لا معرفةً تكشِف عن كنهِهِ ، لكان صحيحاً ولو أرادوا أنّه تعالى يرانا بنا رؤيةً لا تكون أزليةً بحال لكان صحيحاً .

وأمّا إحاطته تعالى بها الإحاطة التي يتفرع عليها أنه يشاهد الأشياء بعين مشاهدتنا إياها فهذا واقع ، ولكن هذه الإحاطة وهذه المشاهدة حادثتان لا قديمتان لأنهما لم يوجدا قبل الأشياء .

وأمّا أنَّ لكلّ منها وجهين : الوجه الأعلى له تعالى وهو أزلي ، والوجه الأسفل لها وهو حادث ، فباطل كما بيّنّا قبل أن ما يجامع التركيب لا يكون أزلياً ولا يجامع الأزلي .

وأمّا أنّه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة إلى آخر الآية[١] ، فصحيح ولكنّه تعالى قال : ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ وهو العلم المذكور في الآية فافهم ، وإن كان قلبك فارِغاً من الشُّبَه السابقة المستقرّة فلا شكّ أنّك تفهم .

---

(١) قال تعالى : ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٣] .

بيان مناط علم الله سبحانه بالأشياء

قال : فمناط علمه سبحانه بالأشياء ليس إلّا ذواتها الموجودة في الأعيان لا صور أخرى غيرها قائمة بذواتها أو بذاته عزّ وجلّ ، أو بالجواهر العقلية أو صور ثابتةٌ غير موجودة ولا معدومة أو غير ذلك كما ظنَّ كُلاًّ منها طائفة .

أقول : هذا الكلام وحده مع قطع النظر عن تفريعه على ما مضى أو تقديمه وتمهيده لما يأتي حقٌّ ، إلّا أنّه مجمل يحتاج إلى تفصيل ، ومن التزامي بعدم الاستقصاء في شرح كلامه أشير إليه مختصراً وهو أنَّ وجوداتها علمه بها في أماكنها وأوقاتها ، ولها صورٌ قائمة بالجواهر النفسيّة ، هي علمه تعالى بنفس هذه الصور ، وهذه الصور قسمان : صورٌ أصلية هي وجوه الموجودة في الأعيان كما في اللوح المحفوظ ، وصور منتزعة من الموجودة في الأعيان وهي ما في الألواح الجزئيّة المتأخرة ، وكلّ واحد منهما عِلمٌ له تعالى بنفس تلك الصورة يعني كلّ صورة علم له تعالى بها من حيث هي ذات الموجود في الأعيان أو صفته .

ولها معان أصليّة كذلك في القلم أي عقل الكلّ ، ومعان انتزاعية في العقول الجزئيّة كذلك أي كما قلنا في الصور .

ولها إمكانات ثابتة كليّة غير متناهية التنوع تلبس من صور الأكوان ما شاء الله تعالى ، وهذه الإمكانات شاء الله إمكانها ولم

يشأ كونها ، فهي في الخزانة الكبرى الذي هو العمق الأكبر ، وربّما يطلق عليها العدم باعتبار عدم كونها والوجود باعتبار إمكانها .

قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾[1] فعن الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية أنه قال : (**كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق**)[2] انتهى ، ومراده عليه السلام بالعلم الإمكاني الذي ذكرناه سابقاً .

وعن الباقر عليه السلام : (**كان شيئاً ولم يكن مكوّناً**[3])[4] .

وفي خبر آخر : (**كان شيئاً مقدّراً**[5] **ولم يكن مكوّناً**)[6] .

وفي الكافي[7] عن مالك الجهني قال : سألتُ أبا عبد الله

---

(١) سورة الإنسان ، الآية : ١ .

(٢) تفسير مجمع البيان : ١٠ / ٢١٣ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٤٦٩ ح ١٠ ، وبحار الأنوار : ٥٧ / ٣٢٨ ، وتفسير الأصفى : ٢ / ١٣٨٣ .

(٣) في بعض المصادر : (مذكوراً) .

(٤) محاسن البرقي : ١ / ٢٤٣ ح ٢٣٤ ، وبحار الأنوار : ٨٣ / ٢١٣ ح ٢٦ ، تفسير الصافي للفيض الكاشاني : ٧ / ٣٥٥ .

(٥) في تفسير مجمع البيان : (مقدوراً) .

(٦) تفسير مجمع البيان : ١٠ / ٢١٣ ، وبحار الأنوار : ٥٧ / ٣٢٨ ، وتفسير الصافي : ٧ / ٣٥٥ .

(٧) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور . =

عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾(١) .

قال : فقال : (**لا مقدراً ولا مكوناً**) قال : وسألته عن قول الله : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ الآية ، قال : (**مقدّراً غير مذكور**) انتهى(٢) .

فقد ذكرنا العلمين السابقين :

الأول : الإمكاني وفيه إمكانه فيصحّ ولم يكن شيئاً يعني مكوّناً .

وفي الثاني : الكون وقد تقدّم الكلام فيهما .

وأمّا في ذاته فلا ذكرَ لها بحال فهو الذاكر ولا مذكور ، نعم يذكرها بما هي عليه فيما هي فيه وهذا هو ذكره بها ، لم يكن قبلها فهو حادث بحدوثها لأنّه هو هي .

= كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .
توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(١) سورة مريم ، الآية : ٦٧ .

(٢) أصول الكافي للكليني : ١ / ١٤٧ ح ٥ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٥٤ / ٦٣ ح ٣٣ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٤٦٨ ح ٧ .

في أن الله لا يحتاج في علمه إلى صور أخرى غيرها

قال : وكما أنه عزّ وجلّ لا يحتاج في إيجاد الأشياء إلى أصل ومثال يوجدها منهما على طبقهما ، بل هو المبدع إيّاها لا من شيء كذلك لا يحتاج في علمه بها إلى صور أخرى غيرها يعلمها بها .

أقول : الحكمان صحيحان وهما أنه لا يحتاج في الإيجاد إلى مثال ، وأنّه لا يحتاج في علمه بها إلى غيرها ، والتنظير ليس بشيء لأنّه يريد أن يجعل أحدهما منشأً للثاني مع أنّهما متغايران كل أجنبيٍّ من الآخر .

قال : ونحن نحتاج في إدراكنا لبعض الأشياء إلى حصول صور لها في ذواتنا لغيبتها عنّا وانفصالها منّا ، ومع ذلك فلا نعلم تلك الأشياء إلّا بالعرض وليس معلومنا بالذات إلّا الصور التي في ذواتنا .

أقول : هذا الكلام غير منقّح وقد ذكرنا سابقاً ما يكشف عن حقيقة الواقع منه ونشير إلى بعض الذكر ، وهو أنّا إذا حضر الشخص علمناه به بحضوره وحصوله من غير صورة عندنا منه ، فإذا غاب انطبعت صورته ومثاله في خيالنا ، فمعلومنا هو المثال الذي في خيالنا خاصّة الذي انتزعه خيالنا من حاله حين حضوره ، ويبقى المثال مرتسِماً في أذهانِنا متقوّم الوجود والبقاء بما ارتسم

من تلك الحال الخاصة حالة الحضور في ورقة من اللوح المحفوظ ، وذلك الشخص لمّا غاب انمحت حالته الزمانية الخاصة وبقيت الدهريّة الخاصّة ، فعندنا مثاله في حاله حين الحضور عندنا في ذلك المكان وذلك الوقت بعد ارتفاعهما إلى الدهر ، وهذا المثال في المكان والوقت الدهريّين أو البرزخيّين هو علمنا بتلك الحالة الخاصة من ذلك الشخص ، وربما مات ذلك الشخص أو قام أو نام ولا نعلم شيئاً من ذلك الشخص ولا شيئاً من أحواله وأمثلته المتجدّدة بعد ما غاب عنّا ، فلسنا نعلمه في غيبته حقيقة لا بالذات ولا بالعرض ، ولو كنا نعلمه حين غيبته لكان إذا قتل انتقش في أذهاننا الحال المتجدّدة له ، فافهم . فإني لا يسعني البسط الكثير في كلّ شيء والترديد والتكرار أكثر من هذا لأجل ضيق وقتي وتشوش خاطري .

قال : وأمّا الله سبحانه فلا يغيب عنه شيء لأنه فاعل لكلّ شيء قاهر فوق كلّ شيء رقيب على كلّ شيء .

أقول : المعنى صحيح والتعبير غير صريح ، لأنَّ العبارة البالغة في هذا أن يقال : فلا يغيب عنه لأن كلّ شيء إنما قام بأمره ، وعلة وجوده صدوره من فعله فهو أبداً قائم بفعله تعالى ، وهو بحضوره عنده قيام صدور ، فلو غاب خرج عن الوجود والإمكان .

وأمّا قوله : رقيب على كلّ شيء ، فهو يؤدّي هذا المعنى إلّا

أنّ التعليل بأنه قائم بفعله قيام صدور أوضح وأخصّ بهذا المعنى وأعمّ لكلّ معنى .

في أن فعل الله علمه وعلمه فعله

قال : وفعله علمه ، وعلمه فعله يفعله معلوماً ويعلمه مفعولاً ، وعلمه بصره وبصره علمه .

أقول : فعله علمه الحادث الذي ما حصل إلّا في الإمكان ، فلا يكون ذاته على مذهبِ أئمتِنا عليهم السلام [كذا] ، وكذلك علمه الذي هو فِعلُه .

قوله : يفعله معلوماً عندنا ، معناه يفعله معلوماً حال كونه حادثاً مغايراً لذاته ، ويعلمه مفعولاً حال كونه حادثاً مغايراً لذاته ، وعلى مذهب أئمته فعله علمه الذي هو ذاته وعلمه الذي هو ذاته فعله وفعله في العبارتين ذاته يفعله حال كونه قديماً غير مغاير لذاته ، ويعلمه مفعولاً حال كونه عين ذاته .

وأمّا قوله : وعلمه بصره وبصره علمه ، فهو حق ، لأن العلم في حق الذات الحق عين البصر وغيره من الصفات الذاتيّة وبالعكس .

قال : ولو كان علمه بالأشياء بالصور لما كان وجوداتها العينيّة معلومةً له إلّا بالعرض مع أنّه فاعل لها بوجوداتها العينية .

أقول : قد تقدّم تحقيق هذه المسألة وأنَّ قوله : فلا نعلم تلك الأشياء إلّا بالعرض ، ليس على ما ينبغي .

في أن العلم بالفاعل يستلزم العلم بمفعوله

قال : والعلم بالفاعل يستلزم العلم بمفعوله على النحو الذي هو مفعول لا على نحو آخر .

أقول : العلم بالفاعل من حيث كونه فاعلاً بفعله لمفعوله بالفعل يستلزم العلم بمفعوله لا مطلقاً لجواز أن يكون العلم بالفاعل من حيث كونه فاعلاً مطلقاً ، ولجواز أن يكون من حيث كونه من شأنه ذلك ، وما بالقوّة في مطلق فاعل لا يستلزم خصوص فعل بالفعل أو فعل على وجه خاص .

قال : إن قيل أليس مدار العلم عند أهل العلم على التجريد عن المادة ، فكيف يصير الأشخاص الجسمانية معلومة بأنفسها لا بصورها المنتزعة عن موادّها ، قلنا : ذلك إنّما يكون في الأشياء التي لم يتحقّق للعالم بالإضافة إليها علاقة إيجاديّة وتسلّط فاعليّ قهريّ وإشراق نوري من غير احتجاب كما أشار إليه بعضهم بقوله : إنّ الشيء المادي والزماني بالنسبة إلى المبادىء غير ماديّ ولا زماني يعني به ارتفاع أثر المادة والزمان عنه وهو الخفاء والغيبة .

أقول : قد أشرنا سابقاً أنَّ العلم ليس مداره على ذلك ،

وإنّما العلم دائر مدار ما يوجب الاطلاع على المعلوم من جهة معلوميته ، فيعلم العالم الشيء بنفس ذلك الشيء من غير اعتبار شيء آخر ، فإنَّ زيداً إذا حضر علمنا به من غير صورة عندنا في خيالنا بل بصورته التي هي مقوّمة لمادته الجسمانية كما نعلمه بصورته الانتزاعيّة إذا غاب عنا ، بل علمنا به في حضوره أقوى من علمنا به في غيبته بصورته ، لأنّ ما في خيالنا من صورته إذا غاب عنا إنّما هو شبح صورته ومثالها والمثال والشبَح ظلّ وذو الظل أقوى من الظلّ ولا سيّما على قوله : إن العلم بالصورة علم بالعرض وهو معلوم ، غير خفي على مَن له أدنى مسكة بالعلم إذا لم تسبق الشبهة إلى عقله فتغيّر خلق الله التي فطر الله الخلق عليها ولا يحتاج في علمه بنفسه عند حصوله وحضوره إلى كون العالم محدثاً له ، والوجدان شاهدٌ به ، وما ذكره هو وما استشهدَ به من قول بعضهم لا مدخل له في تحقّق العلم بالمادي ، نعم هو علم أوّل بالعلّةِ وحضور المعلوم عِلمٌ به نفسِه .

في أنّ الله عالم بالموجودات كلها في الأزل على ما هي عليه

قال : فصل ـ فقد ثبت وتبيّن أن الله سبحانه عالم بالموجودات كلها في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال علماً ثابتاً لا يتغيّر بتغير المعلوم ، ولا يتفاوت بحدوث وجودات الأشياء فيما لا يزال بعد فقدانها في الأزل على ما هي عليه عندنا .

أقول : هو عزّ وجلّ في ذاته الذي هو الأزل عالم لم يحتمل زيادة علم بما يحدث فيما لا يزال ، مع أن وقوع العلم على ما يحدث إنّما يكون بعد حدوثه ، لأنَّ ما يحتمل الزيادة يحتمل النقصان ، ولا نعني بعلمه في الأزل شيئاً زائداً على ذاته ولا يتجدّد له شيء في ذاته فهو عالم في الأزل ولا معلوم له في الأزل غيره[١] ، وأمّا ما سواه فهو معلوم له في الحدث بمعنى أنّ ذاته عالم في الأزل بها في الحدث ، لأنَّ قولنا بها جهة الارتباط والاقتران ووقوع العلم على المعلوم ، وكلّ ذلك في الخلق .

فقولُه : على ما هي عليه فيما لا يزال ، يريد به أنها بما هي عليه فيما لا يزال في الأزل عنده على نحو لا يلزم منه التكثر كما تقدم في علمه ، بحيث لا يتغيّر ذلك العلم الأزلي بتغيّرها في مراتبها من الحدوث .

---

(١) قال عليه السلام : (. . . **أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل ، فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزله ومن قال : كيف ؟ فقد استوصفه ومن قال : فِيمَ ؟ فقد ضمنه ، ومن قال : على مَ ؟ فقد جهله ، ومن قال : أين ؟ فقد أخلا منه ، ومن قال : ما هو ؟ فقد نعته ، ومن قال : إلى مَ ؟ فقد غاياه ، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق ، وربّ إذ لا مربوب ، وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون**) . الكافي : ١ / ١٤٠ ح ٦ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ١٦٦ ح ١٠٦ ، وتوحيد الصدوق : ٣٦ ح ٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٦ ح ٥١ .

وهذا هو معنى ما يقولون : إنَّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء فإنهم يريدون أن الأشياء في الأزل بنحو أشرف بمعنى حصولها في ذاته حصولاً جمعيّاً وحدانياً لا تكثّر فيه ، وقد سمعت نقضه فيما تقدّم مراراً ، لأنَّ الذات المقدّسة ذاكرة ولا مذكور سواها لها في الأزل . لأنَّا نقول : إن قلتم إنه تعالى ذاكر ولا مذكور سواه هناك بطل قولكم هو في ذاته كلّ الأشياء ، وأنّها في علمه وأن علمه محيط بها في الأزل لأنه تعالى هل هو في ذاتِه ذاكر لشيء سواه هنالك أم لا ؟ ، فإن كان ذاكراً سواه في الأزل فقد تكثّر ، وإن لم يذكر سواه فهل تذكرون أنتم فيه ما لا يذكره في ذاته ؟ .

لأنّي أريد أنّه يعلم أنّ معه غيره في ذاته يكون لذلك الغير اعتبارٌ ما يتميّز به عنه تعالى بوجه ما من نسبة او ارتباط أو تعلّق غير ما هو ذاته تعالى ، فإن أثبتّم أنه يعلم بذلك في ذاته فقد كثّرتموه وجزّأتموه . وإن لم يعلم فليس لكم أن تثبتوا له ما لا يعلمه .

ونحن نقول : هو عالم في الأزل بذاته ولا معلوم سواه ، ثمّ ويعلم في الأزل بالأشياء في الحدث فليس بسيط الحقيقة كلّ الأشياء ، بل بسيط الحقيقة لا شيء غيره ومعطي الشيء ليس فاقداً له في ملكه وهو فاقدٌ له في ذاته ، لأنّه لم يلد ولم يولد ولو أعطاك ممّا في ذاته بكلّ اعتبار وعلى أي فرض لزم أنه خرج منه ما كان فيه وكانت له حالتان وصدق عليه أنّه يلد ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

وقوله : بعد فقدانها في الأزَل على ما هي عليه عندنا ، يعني أنه تعالى عالم بحدوث وجوداتها بعد ما كانت مفقودة لأنه يفقدها على ما هي عليه عندنا ويجدها على ما هي عليه عندنا كما يأتي في كلامه بعد هذا ، ويريد أنّه يعلمها على ما يناسب علمه على ما هي عليه عندنا يعني بوجوهها العليا ولا يعلمها هناك كما نعلمها نحن ، يعني بوجوهها السّفلى كما ذكر قبل .

ويلزمه أنّه في الأزل لا يعلم علمنا بها على ما يناسب علمنا لأنه يفقد هذا .

فأقول : لأي شيء لا يعلم علمنا بها إن كان لأنه نمط الحادث ، فأي فرق بين علمنا بها وبينها على ما هي عليه عندنا ، فإن كان يعلمها على ما هي عليه عندنا يعلم علمنا بها على ما هي عليه عِندَنا ، فإن كان بوجه فبوجه ، وإن كان مطلقاً فمطلقاً ، وإن كان لا يعلم علمنا بها على ما هي عليه عندنا لا يعلمها على ما هي عليه عندنا وإلّا لزم أن يعلم بعضاً من المُتساوِي دون بعض أو يعلم بعض الأشياء دون بعض إذا فرض الاختلاف . وعلى أي فرض لا يصحّ الفقدان أو لا يصحّ الوجدان .

قال : وذلك لأنّه لا ينافي فقدانُها في الأزل على ما هي عليه عندنا علمه عزّ وجلّ بها في الأزل على ما هي عليه عندنا ، لأنّه إنما يعلمها في الأزل بوجوهها التي عنده وبجميع أحوالها الثابتة

لها في نفس الأمر ومن جملة أحوالها الثابتة في نفس الأمر أنّها بوجوهها التي عند أنفُسِها فيما لا يزال دون أن تكون في الأزل .

أقول : يريد أنّه يفقدها في الأزل على ما هي عليه عندنا ، بمعنى أنّ وجوهها السفلى وإن كان محيطاً بها فيما لا يزال ، لكنها ليست عنده في الأزل كما هي عندنا متمايزة متخالفة ، ولا ينافي هذا علمه بها في الأزل على ما هي عليه عندنا بلحاظ الوحدة ، فهي بلحاظ الوحدة في الأزل وبلحاظ الكثرة لا تكونُ في الأزلِ ، بل يفقدُها فيه فباللحاظ الأوّل سواء كانت في الأزل بوجوهها وحقائقها المتأصلة أم فيما لا يزال هي موجودة في الأزل لله تعالى وجوداً جمعيّاً وحدانيّاً . وباللحاظ الثاني لم تكن في الأزل وقد بيّنا بطلان هذه فيما تقدّم كلها ، لأنه إذا قال بوجوهها فقد أثبتَ في الله تعالى غيره ، لأن تلك الوجوه وجوه الحادثات ، وفي هذا كفاية في منعِ كَونِها في الأزلِ فإذا كانت الوجوه لها ويجوز عنده أن تكون وجوداتها في الأزل بحكم الجَمعيّ الوحداني فينبغي ألا يفقد شيئاً من الأزل ، سواء كان كما هي عندنا أم كما هي عنده ، كما صرّح به في قوله الآتي بمعنى أنّ وجوداتها اللايزاليّة الحادثة ثابتة لله سبحانه في الأزل .

وبعد أن أَثبَتَ لها وجهين : وجه إلى الله تعالى في الأزل وهو المجامع للأزل من غير تغاير ، ووجه إلينا وهي من هذا الوجه لم تحصل ولم تتحقّق ولم توجد إلّا فيما لا يزال وجوداً متفرّقاً

متكثّراً متغيّراً نافداً ، ثم استشهد بقوله تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾(١) .

قال فيما بعد ما نحن بصدده من كلامه بنفي كونها موجودة في الأزل لا نفسها بألّا يكون الأزل ظرفاً لوجوداتها ، ثم استثنى أنها موجودة في الأزل لله تعالى في الأزل وجوداً جمعياً وحدانياً غير متغيّر ، بمعنى أن وجوداتها اللايزاليّة الحادثة ثابتة لله سبحانه في الأزل وملخّص كلامه الآتي أنّها إذا كانت متمايزة لم تكن في الأزل ولم تدخل في علمه ، لأنه قال : يفقدها في الأزل وإن كانت ذائبة كانت هي ذاته بحكم الجمع وستسمع التنافي والاختلاف في كلامه المبني على وحدة الوجود .

إحاطة الله بجميع الأزمنة والأمكنة وما فيها من الزمانيّات والمكانيّات

قال : وذلك لإحاطته عزّ وجلّ في الأزل بما لا يزال وما فيه كإحاطته بالأزل وما فيه ، فإنه محيط بجميع الأزمنة والأمكنة وما فيها من الزمانيّات والمكانيّات كما أنّه محيط بما خرج عنها .

أقول : جعل إحاطته تعالى بجميع الأزمنة والأمكنة وما فيها كإحاطته بالأزل ، ومعلوم أنّ إحاطته بالأزل بذاته بلا مغايرة بين

(١) سورة النحل ، الآية : ٩٦ .

المحيط والمحاط به ، فتكون إحاطته بالزمانيات والمكانيات كذلك بغير مغايرة بينهما ، وهذا وحدة الوجود التي نقول : إن كلّ كلامه مبني على القول بها ، ومع هذا فقد حكم قبل هذا بأنه في الأزل فاقدٌ لها من حيث تكثرها وواجد لها في الأزل بالحكم الجمعي ، فإذا كان فاقداً لها بالحكم الفرقي فكيف يحيط بجميع الأزمنة والأمكنة ، وما فيهما كما يحيط بما في الأزل ، فما الذي فقد وما الذي وجد ، فإن وجد الذائب منها وفقد الجامد منها كما ذكر قبل لم يكن محيطاً بجميع الأزمنة والأمكنة وما فيهما وإلّا لم يفقد وإن فقد لم يجد .

قال : فإن قلتَ : إنها لم تكن موجودة في الأزل فكيف أحاط بها في الأزل ؟ قلتُ : إنها وإن لم تكن موجودة في الأزل لأنفسها وبقياس بعضها إلى بعض . على أن يكون الأزل ظرفاً لوجوداتها كذلك إلّا أنّها موجودة فيه لله سبحانَهُ وجوداً جمعيّاً وحدانياً غير متغير ، بمعنى أن وجوداتها اللايزالية الحادثة ثابتة لله سبحانه في الأزل كذلك .

أقول : كلامه هذا هو ما ذكرتُ لك أنَّ عنده أن كونها جامدة أي متمايزة غير حاصل في الأزل ، وكونها غير جامدة حاصل في الأزل ، وهذا ينافي قوله : إنّه محيط بالأزمنة والأمكنة بجميعهما وما فيهما كإحاطته بما في الأزل ، فإن أراد خصوص الذائبة بالحكم الجمعي كان الجامدة بالحكم الفرقي غير محاط بها ،

وتكريره لهذه المعاني واتّفاقها في حال واختلافها في حال علامة المتكلّف ، وقد ذكرتُ لك أدلّة وأمثالاً فاعتبرها تهتدي الصراط المستقيم .

وأنا الآن أضرب لك مثلاً ضربه الله مثلاً لما نحن فيه وخلقه آية دالة على الحق وهو قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] ، وهو أنَّ السراج آية من الله تعالى يدلّك على الحق ، فإنَّ النار التي هي الحرارة واليبوسة غيب فيه ومثال النار الذي لا فرق بينه وبينها إلّا أنه حادث عنها هو الشعلة المرئيّة ، فإنّها هي اسم الفاعل والظاهر بتأثيراته والفاعل هو النار ، وهذه الشعلة التي هي المثال هي في الأصل دهن احترق وتكلّس حتى صار بحرارة فعل النار ويبوستها دخاناً ، فانفعل ذلك الدخان بمسّ النار الذي هو فعلها بالاستضاءة .

فالمرئي هو الدخان المنفعل عن فعل النار بالاستضاءة والأشعة المنبسطة منها هي محدثاتها كلّ جزء في رتبته ، فالنار الغيب لم تكن فاقدة لنفسها ولا للشعلة المرئيّة التي هي مثالها ولا للأشعة المنتشرة في كلّ البيت ، وكلّ واحد منها إنما تقوّم وجوده وكان شيئاً بالنار بأمرها ، فهي محيطة بذاتها وفعلها وبجميع ما

---

(١) سورة فصّلت ، الآية : ٥٣ .

حدث عن فعلها لا يعزب عنها مثقال ذرة منها ، بل كلّ شيء منها وضَعته في مقامه إلّا أنّها محيطة لذاتها بذاتها وبفعلِها بنفسه لا بذاتها ، وإلّا لكان ذاتها والذات البسيطة المحضة لم تختلف ، فلا يصدر بعضُها عن بعض ، لأن هذا شأن المتعدّد المختلف وهذه المرئية إنّما صدرت عن فعلها وتحيط بجميع الأشعة بنفسها بواسطة الشعلة لا بذاتها ، أي النار ، لأن الأشعّة إنما تنتهي إلى الشعلة لا إلى النار ، والأشعة في مراتبها التي وضعتها النار بفعلها فيها لا في النّار ولا في فعلها ولا في مثالها المرئي ، مع أنّها أحاطت بالأشعة وليست الأشعة في رتبة النار ولا النار في رتبة الأشعة ولا معها في رتبتها بالذات .

وإنّما هي مع الأشعة بظهورها بها ، يعني بظهورها أي بمسِّها للذّهن المنفعل بالإضاءة بمسِّها الظاهر عن النار بالأشعة ، فالمرئي مثال النار لا نفس النار . فإنَّ النار غيبٌ في هذا المرئي وكما تحكم بأن النار محيطة بجميع آثارها كلّ واحد في رتبته من غير أن يكون في رتبة النار ، ومن غير أن يكون للأشعة وجهٌ إلى نفس النار الغيب مجامع لها ومتّحد معها من غير تغاير بالحكم الجمعي ، بل ليس لشيء من الأشعة في النار الغيب ذكر ولا وجه ولا أصل ولا حقيقة ، وإنّما وجه الأشعة وذكرها وأصلها وحقيقتها كلها مُنته إلى نفس ظاهر الشعلة المرئي وهو الدخان المنفعل عن مسّ النار ، أي فعلها بالاستضاءة .

فالأشعة بجميع ما لها وينسب إليها راجعة إلى الاستضاءة التي هي باب النار ومثالها في عبادِها التي هي الأشعة والاستضاءة حصل من الدخان الذي كان دُهناً وليس من النار في شيء ، بل هو أجنبي منها فكلّسته بفعلها حتى جعلته دخاناً قابلاً للاستضاءة عند فعل النار فيه ، وهو المس في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾(١) .

والدليل على أن المستضيء هو الدخان الذي كان أصله الدهن قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ لشدّة قابليته للإضاءة لكنه لم يضئ إلّا عند مس النار ، فكان مصنوع النار هو علّة أشعتها ومبدؤها وإليه تنتهي الأشعة وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله ، السبيل مسدود والطلب مردود**)(٢) انتهى ،

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

(٢) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : (**وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطَّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته**) .

=

فتفهّم المثال فإنه ممّا قال الله ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[1] فليس في الأزل إلّا الله سبحانه لأنَّ الأزل هو ذاته تعالى وهو يعلم ذاته بذاته[2] ويعلم فعله بفعله ، نفسه وفعله في المثال هي الحرارة واليبوسة اللّذان هما

= وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤ ، وأولها : (**الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . .**) .

وفيها : (**السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها . .**) إلى قوله عليه السلام : (**فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له**) .

رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (**دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه**) . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣ .

(٢) في دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام : (**يا من دل على ذاته بذاته**) ، انظر بحار الأنوار : ٨٤ / ٣٣٩ ح ١٩ وج ٩١ / ٢٤٣ ح ١١ ، ونهج السعادة : ٦ / ١٢٨ .

العرض لا اللّذان هما الجوهر ، لأنَّ اللذين هما الجوهر هي النار الغيب ، وإن اتحد الاسم كما تطلق الشمس على الكوكب المضيء وعلى شعاعه ، والمرئي الذي هو الدهن الكائن دخاناً ومسّ فعل النار هو السراج المركب منهما وهو آية وجه الله وبابه والمثل الأعلى ، والأشعة آية سائر المخلوقات وإلى هذا كلّه أشار زين العابدين عليه السلام في دعائه : (**إلهي وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراءُ بجَنابِك**)(١) .

وهذا آية الله سبحانه في الآفاق فتأملها حتى يتبيّن لك ودع عنك وساوس الصوفيّة وأوهامهم وتمويهاتهم واقتد بأئمتِك أئمة الهدى محمد وآله صلى الله عليه وآله يهدك الله إلى الحقِّ وإلى طريق مستقيم .

في أن الموجودات الذهنيّة موجودة في الخارج

قال : وهذا كما أن الموجودات الذهنيّة موجودة في الخارج إذا قيّدت بقيامها بالذهن وإذا أُطلِقت من هذا القيد فلا وجود لها إلّا في الذهن .

أقول : إنَّ الموجودات الذهنيّة أظِلَّةٌ وأشباح انتزعها الذهن بمرآته من الخارجي لمّا قابله ، سواء قابل صورته الماديّة بواسطة

---

(١) مقطع من دعاء ليالي شهر رمضان المبارك .

حاسة البصر أم صورته التي في علّيين أم التي في سجّين ، فلمّا قابله بمرآته انطبع فيها صورته المنفصلة التي هي ظهور صورته المتّصلة اللازمة له ، ولم تكن الموجودات الذهنيّة موجودة في الخارج لأنها منفصلة عنها وإن كانت موجودة بها لأنّها مثالها وظلّها .

فالموجودات الذهنية لم توجد إلّا في الذهن لأنها مركّبة من مادة هي ظهور الخارجي للذهن ، ومقابلته له بصورته اللازمة له ظهوراً منفصلاً عن الصورة اللازمة لا بمعنى استقلالها بدون اللازمة ، بل بمعنى مغايرتها لها وإن كانت قائمة بها قيام صدور ومن صورة هي هيئة الخيال الذي هو مرآة الغيب ولونه وقدره .

وقوله : موجودة في الخارج ، الخ ، الموجودات الذهنية لم تكن موجودة في الخارج ، قيّدت أم لم تقيّد ، لأن الموجود في الخارج إمّا الذوات أو الأجسام ، والصور المتقوّمة بها لا بالذهن . وأمّا ما في الذهن فهي صور انتزاعيّة متقومة بما في الخارجية من الصور ، فالذهنية لا توجد إلّا في الذهن إلّا على رأي الصوفية القائلين بأنَّ ما في هذا العالم فرع عما في الخيال وذلك هو الأصل .

وأمّا على ما هو الواقع فما في ذهن علّة الوجود فهو علّة لما في الخارج ، وما في غير ذهنِ علّةِ الوجُود فهو ظلّ للخارِج منتزعٌ منه .

فإذا فهمتَ بيان ما ذكرنا لك ظهر لك بطلانُ تنظيره من أنّ الأشياء مفقودة في الأزل إذا لُوحِظ قيامها بفعله الذي هو من الأزل ، لأنّها حينئذ مغايرة للأزل . وإذا أطلقت من هذا اللحاظ لم تكن موجودة إلّا في الأزل لعدم موجب المغايرة وهو عدم قيامها بشيء غير الأزل كالموجودات الذهنية إذا لوحظ قيامها في الخارج بالذهن ، لأنّه أصلها وإذا أُطلقت من هذا اللحاظ استقلّ بها الذهن وقد بيّنّا لك بطلانه .

تعريف الأزل وحقيقته وسعته

قال : فالأزل يسع القديم والحادث والأزمنة وما فيها وما خرج منها وليس الأزل كالزمانِ وأجزائه محصوراً مضيّقاً يغيب بعضه عن بعض ويتقدّم جزء ويتأخّر آخر فإن الحصر والضيق والغيبة من خواص الزمان والمكان وما يتعلق بهما .

أقول : قوله : فالأزل يسع القديم والحادث ، الخ ، صحيح إلّا أنّه ليس على ما قرّر ، بل الأزل سبحانه يسع ذاته وغيره على نحو ما ضرب من المثل الحقّ وهو السِّراج ، فإنَّ السراج يسع نفسه وأشِعَّته بمعنى أنه يسعها بنفسها لأنّها فِعله لما شاء وبوجهه الذي هو الشّعلة فإذا قيل : إنّ الأزل يَسَعُ كُلَّ شيء كما ذكر لا يراد في القول الحقّ أنه يسع كلّ ما سواه بذاته من غير شيء من العلل والأسباب ، لأنه يلزم أنْ يكون ما سِوَاهُ مُسَاوِقاً لَهُ أو

محاطاً به أو عارِضاً عليه ، ولا يجوز عليه شيء من هذه الأمور الثلاثة فإذا امتنعت هذه الأمور الثلاثة ، بقي أنّه إمّا أن لا يحيط بما سواه أو يحيط به بنفسه ، أي نفس المحاط به أو بعلته التي تقوَّمَ بها تقوُّمَ صدور ولا سبيل إلى الأول .

فإن قلتَ : هذا الذي ذكرت من الحصر العقلي حكم الحوادث ، وأمّا القديم سبحانه فلا تدركه العقول فلا تحصر جهات ذاته .

قلتُ : هذا صحيح ولكن يلزمك ألّا تكيّف علمه تعالى الذي هو عين ذاته ولا تصفه كما لا نصف ذاته لأنه ذاته .

فإن قلتَ : قد ثبت بالدليل العقلي والنقلي أنه عالم بذاته وبالأشياء فلا بدّ في معرفة ذلك من التوصيف .

قلتُ : يكفيك العلم بكونه عالماً لقيام الأدلّة على ذلك ولم تقم على التمييز والتوصيف فعليك الإمساك عن ذلك إنَّ إلى ربك المنتهى .

فإن قلتَ : أنتَ أيضاً يلزمك عدم التبيين وعدم التّعيين .

قلتُ : أنا ما بيّنتُ ولا عيّنتُ وإنّما وصفتُ الله تعالى بما وصف به نفسه وهذا هو المطلوب منّا .

فإن قلتَ : أين ما تدّعيه ؟

قلتُ : إنّه وصف نفسه لنا على ألسنَةِ أوليائه الذين أمرنا

بتصديقهم واتّباعهم والأخذ عنهم والاقتداء بهم وهم عليهم السلام بما سمعتَ ، قال عليه السلام كما تقدم : (**كان الله عزّ وجلّ ربنا عالماً والعلم ذاته ولا معلوم**) إلى أن قال : (**فلمّا أحدثَ الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم**)[١] الحديث .

وقد تقدم الحديث وبيانه وأنه تعالى قد ضرب لنا الأمثال في كتابه فقال : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[٢] .

وقال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[٣] ، وقال : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٤] وقال : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[٥] .

وقال الصادق عليه السلام : (**العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة فما فُقِد في العبوديّة وجد في الربوبيّة وما خفي في الربوبيّة أُصيبَ في العبوديّة قال الله تعالى :** ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ

(١) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .
(٢) سورة فصّلت ، الآية : ٥٣ .
(٣) سورة يوسف ، الآية : ١٠٥ .
(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٢١ .
(٥) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣ .

أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ **يعني موجود في غيبتِك وفي حضرتك)**(١) انتهى .

فلمّا نظرنا في الأمثال التي ضربها لنا لنعلم وجدناها كما ذكرتُ لك متّفقة ، ومن أظهرها بياناً فيما نحن فيه وأجلاهَا كتابةً السّراج كما ذكرنا لك .

قال : والأزل عبارة عن اللازَمان السابق على الزمان سبقاً غير زمانيٍّ وليس بين الله سبحانه وبين العالم بُعدٌ مقدّر لأنّه إن كان موجوداً يكون من العالم وإلّا لم يكن شيئاً ولا ينسب أحدهما إلى الآخر بقبلية ولا بَعدِيّة ولا معيّة لانتفاء الزمان عن الحق وعن ابتداء العالِم ، فسقط السؤال بمتَى عن العالِم كما هو ساقط عن وجود الحقّ تعالى ، لأنَّ متى سُؤَال عن الزمان ولا زمان قبل العالِم ، فليس إلّا وجود بحت خالص ليس من العدم وهو وجود الحقّ ووجود من العدم وهو وجود العالِم ، فالعالم حادث في غير زمان وإنّما يتعسّر فهم ذلك على الأكثرين لتوهّمهم الأزل جزءاً من الزمان يتقدّم سائر الأجزاء وإن لم يسموه بالزمان ، فإنّهم أثبتوا له معناه وتوهموا أنَّ الله سبحانه فيه ولا موجود فيه سواه ، ثم أخذ يوجد الأشياء شيئاً فشيئاً في أجزاء أُخَر منه وهذا توهم

---

(١) مصباح الشريعة : ٧ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧ ، والأصول الأصيلة للفيض الكاشاني : ١٩٣ ، وتفسير الصافي : ٢ / ١١٢١ تفسير سورة السجدة .

باطل وأمر محال ، فإن الله عزّ وجلّ ليس في زمان ولا مكان ، بل هو محيط بهما وبما فيهما وما معهما وما تقدّمهما وتحقيق ذلك يقتضي نمطاً آخر من الكلام لا تسعه العقول المشوبة بالأوهام ولنُشِر إلى لمعة منه لمن كان من أهلِه .

أقول : قوله : والأزل عبارة عن اللّازمان السابقِ على الزمان سبقاً غير زماني ، يفهم منه أن الأزل امتداد حقّي كما أنَّ السرمد امتداد أمري ، والدهر امتدادي جبروتي ملكوتي ، والزمانُ امتداد مُلكي جسماني مكاني ، وليس كذلك لأنه لا يشابهه خلقه ، قال الرضا عليه السلام : (**كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديدٌ لما سواه**)[1] .

بل الأزل هو الذات المقدّسة بغير مغايرة ولو اعتباراً وفرضاً .

وقوله : ليس بين الله سبحانه وبين العالم بُعد مقدّر ، هذا حق فليس بين الله وبين خلقه بعدٌ لأنّه أقرب إلى خلقه من أنفسهم قرباً غير متناه ، ولا قربٌ لأنهم لا يقربون إليه بشدّة سيرهم إليه وتقريبه إيّاهم فليس بينه تعالى وبينهم اتّصال ولا انفصال ، وآية ذلك

---

(١) توحيد الصدوق : ٣٦ باب التوحيد ونفي التشبيه ، والاحتجاج : ٢ / ١٧٦ ، والبحار : ٤ / ٢٢٨ ، وتحف العقول : ٦٣ .
والحديث طويل وفيه : (**. . وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه ، فقد جهل الله من استوصفه وقد تعداه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنهه . .**) .

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(١) السراج ، فإنّه ليس بينه وبين أشعته اتّصال فيكون أقربها إليه جزءاً منه أو يكون منيراً بمعنى أنه مستقل في الإنارة ولا انفصال فيكون بينهما غيرهما فيحجب الأشعّة عن الاستمداد منه أو يكون بينهما لا شيء ، فيلزم استقلالها بدونه والاستغناء عنه .

وقوله : ولا ينسب أحدهما إلى الآخر بقبلية ولا بعديّة ولا معيّة ، لأن القبليّة والبعديّة زمان وهو منتف عنه ولا يجري عليه ما هو أجراه ، ولا معيّة لاستلزام المعيّة المشابهة والمساواة .

وقوله : لانتفاء الزمان عنه ، لاستلزام ما يجري عليه الزمان التغير والتبدّل والتحول والانتقال وتبدّل الحالات والتعاقب وما أشبه ذلك من صفات الزمانيات .

وقوله : وعن ابتداء العالم ، لأنه لا يكون إلّا ظرفاً والظرف لا يكون ظرفاً إلّا وهو مع المظروف وأنه هيئة ، ولا يكون ابتداء العالم هيئةً لأنّ الهيئة صفة والصفة مسبوقة بالموصوف .

وقوله : فسقط السؤال بمتى عن العالَم كما هو ساقط عن وجود الحق تعالى لأنّ متى سؤال عن الزمان ولا زمان قبل العالم ، فيه شيئان :

أحدهما : أن نقول مَا مراده بالعالَم فإن أرادَ بِه مجموع الخلق

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٠ .

والأمر يعني ما سوى الله فهو حقّ ، لأن متى محدث بالمشيئة ولا يجري عليها ، وإن كان الظاهر أنه لا يريد إلّا الخلق والخلق الذي هو المخلوق يراد به ما برز عن المشيئة ، أوّله العقل عقل الكل وآخره ما تحت الثرى ، أوّله الوجود الصادر عن المشيئة وآخره ما تحت الثرى .

فعلى الأوّل : الظّاهر أنه يصحّ السؤال بمتَى عن أول العالَم ، لأن متى لم تكن مخصوصةً في أصل الوضع بالسؤال عن الزمان كما توهّمه ، وإنّما متى موضوع للسؤال عن الوقت الشامل للزمان وللدّهر ، كما صح السؤال عما هناك بكَم ، كما في حديث : (**كم بقي العرش على الماء قبل خلق السماوات والأرض**)[1] .

وعلى اللغة الظاهرة ، يقولون : أصل وضع متى للسؤال عن الزمان واستعمال متى في غير الزمان مجاز ويجّوزون ذلك ، فإذا جاز صحّ .

وعلى الثاني : أعني أنَّ أوّله الوجود الصادر عن المشيئة ، فلا يبعد صحة السُّؤال بمتى بناءً على أن متى لم يختصّ بالزمان ،

---

(١) ذكره المصنف في مطلع هذا الكتاب وفيه : قال (**انظر لو صب حب خردل حتى سدّ الفضاء وملأ ما بين الأرض والسماء ثم عمّر لك مع ضعفك أن تنقله حبة حبة من المشرق إلى المغرب حتى ينفد لكان ذلك أقل من جزء من مئة ألف جزء من مثقال الذر مما بقي العرش على الماء قبل خلق السماوات والأرض واستغفر الله عن التحديد بالقليل**) .

وعلى أن السؤال بها لا يعتبر فيه كون متى ، وما دلّت عليه من الوقت سابقاً على وقت المسؤول عنه إذ يجوز السؤال عن وقت المساوق ، كما يجوز عن المتأخّر وهذا ظاهر لمَنْ عرَّفه الله صنع ذلِكَ ولَوْ إِجمالاً ، كما نعرف أنّ الجسم يصح السؤال عنه بمتى ، وإن قلنا : بأنّها موضوعة للسؤال عن الزمان خاصّة ، مع أنّا نعتقد أن الزمان لم يسبق الجسم ولم يتأخر عنه بل هو معه . فإن الجسم والزمان والمكان عندنا لم يسبق أحدها الآخر بل خرجت في هذا الوجود الملكي دفعة واحدة .

وثانيهما : قوله : كما هو ساقط عن وجود الحقّ ، فإنَّ السقوط عن بعض المصنوعات ليس كالسقوط عن الحق تعالى ، ولا سيما على جعله متى مخصوصة بالزمان فتفهّم .

وقوله : ووجود من العدم ، هذا فيه تسامح ، لأن حقيقته لا تصح على قوله ولا على قولنا .

وأما على قوله : بأنَّ حقائق الأشياء ليست مجعولة فهي صورة علميّة ، فإنْ أرادَ بها وجودها الذاتي لها الذي هو نفسها لم يصح أن يقال : وجود من العدم لأنّه عنده وجود لا من عدم ، وإنْ أرادَ به ما كساها خالقها عزّ وجلّ من الوجود الظاهر الذي هو الكون في الأعيان أو ما به الكون في الأعيان أعني الظهور على الاحتمالين لم يصحّ على قوله : إنَّ هذه الوجودات هي هو تعالى ، وإنّها عبارة عن ظهوره الكامن في ذات علمه المتهيّىء

للظهور بقبوله كن فيكون ، فكن يده اليمنى الفاعلة ويكون يده اليسرى القابلة وكلتا يديه يمين فليس شيء غيره ولم يوجد شيئاً إلّا نفسه ، وليس إلّا ظهوره كما ذكره في كتبه ، وإن لم يكن هذا لفظه ، فهذا معناه بناء على وحدة الوجود فلم يصحّ قوله ووجود من عدم ، لأن هذا وجود من وجود ، بل هو على معاني كلماته وجود لذاته .

وأما على قولنا : وهو أنّها كانت يعني كوّنها سبحانه لا من شيء بمعنى أنّها لم تكن فأحدث جزأها الأعلى الأول وهو الوجود بفعله لا من شيء ، وأحدث جزأها الأسفل الثاني وهو الماهية من انفعال الوجود عند فعل الفاعل مثل خلق ، فانخلقَ فخلق وجود ، وانخلق ماهيّة خلقها من خلق فقام الشيء بإذن الله سبحانه بركنيه الوجود والماهيّة .

ونقول : خلق الوجود لا من شيء ، بمعنى أنه مخترع لم يسبق له ذكر قبل ذلك ، وإنّما ذكره تعالى به لا بمعنى أنه خلق من العدم أو أنَّ العدم سبقه لأنَّ العدم ليس شيئاً ليكون سابقاً وإنّما هو وجود عن وجود لا منه والحق سبحانه وجود لذاته .

فالوجود الحق لم يسبقه الغير ووجود الخلق مسبوق بالغير لا مسبوق بالعدم ، إلّا أن نريد أنه ليس موجوداً في رتبة من هو قبله ، فإنّه بهذا الاعتبار يجوز أن يقال : إنّه مسبوق بالعدم ، وعلى هذا الاعتبار لو قال ووجود بعدم عدم صحّ .

وقوله : فالعالم حادث في غير زمان ، إن أريد المجموع من حيث المجموع ، فصحيح ، لأن الزمان جزء منه وإن لاحظ التفصيل فالعالم الذي هو ما سوى الله سبحانه فعل ومفعول ، فالفعل هو المشيئة والإرادة والإبداع كما قال الرضا عليه السلام : (**أسماؤها ثلاثة ومعناها واحدٌ**)[١] ، والمفعول أوّله وجود بحتٌ خلقه سبحانه لا من شيء ، ثم خلق منه أرض القابليات وهي الأرض الميتة والأرض الجرز فساق ذلك الماء في سحاب مشيئته إلى الأرض الميتة . وبعبارة : إلى الأرض الجرز ، فأنزل به الماء أي الوجود وهو الماء الذي جعل منه كلّ شيء حي ، فأخرج به من كل الثمرات وبعبارة فأخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم والماء المذكور والأرض المذكورة قبل التركيب برزخ بين الفعلِ والمفعول ، وهو وإن كان في الحقيقة من المفعول إلّا أنّا نصطلح على أن الفعل هو الوجود المطلق ، والمفعول هو الوجود المقيد . وأوله عقل الكلّ ، وهذا البرزخ لك أن تلحقه بالمطلق ، وإن كان مطلقاً إضافياً ولك أن تلحقه بالمقيّد وإن كان نسبيّاً ، أي بالنسبة إلى الفعل .

والوجود المقيّد أوّله عقل الكل وهو روح القدس في قول

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ١٥٤ ، وتحف العقول : ٤٢٤ ، وتوحيد الصدوق : ٤٣٦ وفيه : (**اعلم أن الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة**) .

العسكري عليه السلام قال : (**وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائِقنا الباكورة**)[1] ، والباكورة أوّل الثمرة ، يعني أن روح القدس أول ما قبل الوجود وهو أوّل من ظهر من ذلك الماء في تلك الأرض ، فالمشيئة وقتها السرمد ، وعقل الكل وروح الكل ونفس الكل وطبيعة الكل وجوهر الهباء وقتها الدهر ، وجسم الكلّ وما فيه من الفلك المحدد الجهات والمكوكب والأفلاك السبعة والعناصر الثلاثة والأرضون السبع وقتها الزمان .

فالفعل حادث ليس في زمان بل هُوَ مع السرمد ، والمجردات من العقل إلى جوهر الهباء يعني الكلِّ ومادة الكل حادثةٌ كلّها مع الدهر قبل الزمان . والمثال برزخ بين الدهر والزمان وجهه إلى الدهر وخلفه إلى الزمان وهو بدن نوراني لطيف لا أروَاحَ فيه ، وهو ظلّ الجَواهر النفسيّة وهو عالَم وَاسع ذو عجائب لا تتناهَى أسْفَلُهُ على محدّد الجِهَات رتبةً وأعْلاَهُ تَحْتَ جَوْهَرِ الهَبَاءِ ، أَقامه

(١) قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام : (**قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية ، ونورنا سبع طبقات أعلام الورى بالهداية ، فنحن ليوث الوغى وغيوث الندى وطعناء العدى فينا السيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد والعلم في الآجل . . ، فالكليم لبس حلّة الاصطفاء لما شاهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة . . وهذا الكتاب ذرة من جبل الرحمة وقطرة من بحر الحكمة**) المراقبات للتبريزي : ٢٤٥ ، وبحار الأنوار : ٢٦ / ٢٦٤ ح ٥٠ ، وقرة العيون للفيض الكاشاني : ٤٤٧ ، ومجمع النورين للمرندي : ٣٠٦ .

سبحانه في الإقليم الثّامِنِ ، فيه الجنّتانِ المدهامَّتانِ وَنَارُ الدُّنيا عِنْدَ مَطْلعِ الشَّمْسِ وهورقِلْيا تدور أفلاكه على جابلقا وجابرسا والجنَّتانِ المدهامَّتان فيه ، وتغرب عليهما شمسُنَا فتظهر عليهما بقدر ما نراها أربعين مرّة لصَفاء ذلك الإقليم ونُوريته ، وتطلع على النّار تمرّ على رؤوس أهْلِها لَيْس بينَها وبينهم سترٌ ، وهذا العالَم أعني عالم المثال برزخٌ بين المُجرّدات والأجسام .

وأما عالم الملك أعني عالم الأجسام من الفلك الأطلس إلى الأرض السابعة فحادثٌ مع الزمان لطيف الزمان مع لطيفه كالأطلس ومتوسطه مع متوسّطه كالسماوات وكثيفه مع كثيفه كالأرض .

قوله : وإنّما يتعسر فهم ذلك على الأكثرين ـ إلى قوله ـ وأمر محالٌ ، حقٌّ صحيح فإنّهم لا يفهمون غير ما ذكر ، حتى أن شيخ الكل الطبرسي[1] في جامع الجوامع في تفسير أول سورة الحديد في قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[2] [3] ،

---

(١) هو أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي أو المشهدي .
ولد في أربع مئة وسبعين (٤٧٠ هـ) .
توفي شهيداً سنة (٥٦١ هـ) ودفن في المشهد الرضوي .

(٢) زيادة من المصدر .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ٣ .

قال : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ : السابق يتناهى [القديم لجميع] للموجودات بما لا يتناهى من الأوقاتِ أو تقدير الأوقات[١] .

وهذا طريق أهل الظاهر من تكلّم قال بمثل هذا ومن سكت أضمر على مثله وهذا معلوم .

وقوله : فإنَّ الله عزّ وجلّ ليس في زمان ولا مكان ، بل هو محيط بهما وبما فيهما ، الخ ، قد تقدم توجيه الكلام فيه .

وقوله : وتحقيق ذلك ، إلى آخر الفصل ، صحيح .

في بيان نسبة ذات الله سبحانه إلى مخلوقاته

قال : إنَّ نسبة ذاته سبحانه إلى مخلوقاته تمتنع أن تختلف بالمعيّة واللّامعية وإلّا فيكونُ بالفعل مع بعض وبالقوة مع آخرين فتتركب ذاته من جهتي فعل وقوّة وتغيّر صفاته حسب تغيّر المتجدّدات المتعاقبات تعالى عن ذلك .

أقول : قوله : إنَّ نسبة ذاته ، فيه أن ذاته المقدّسة ليس بينها وبين شيء سواه نسبةٌ لذاته وإنّما نسبته إلى مخلوقاته من حيث أفعاله من الظهور لها بها والامتناع عنها بها وقربه وبُعده إليها ومعيته واللامعيته وغير ذلك من حيث كونها معلومة أو مقدورة أو مسموعة أو مبصرة أو غير ذلك من جميع النسب ، فكلّها من

---

(١) تفسير جوامع الجامع : ٣ / ٥٠٤ .

حيث أفعاله وقيوميّتها بأمره كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[١] ، وقوله عليه السلام في أدعية الأيام الطويلة رواه الشيخ[٢] في مصباح المتهجد : (**وكلّ شيء سِوَاك قام بأمرك**)[٣] . وأمّا ذاته فتعالى في عزّ جلاله عن كلّ نسبة ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٤] ولكن كما قال شاعرهم :

ضَاعَ الكَلَامُ فَلا كَلَامَ وَلا سُكُوتٌ مُعجِبُ

إلا أني أقول كما قالت العرب على لسان الضبّ في الأمثال :

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٢٥ .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، من تلاميذ الشيخ المفيد . ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ توفي في سنة ٤٦٠ هـ وقيل سنة ٤٥٨ .

(٣) مصباح المتهجد للطوسي : ٤٣١ ، وبحار الأنوار : ٨٧ / ١٤٨ ، ومجمع النورين للمرندي : ٢٧١ .

قال عليه السلام : (**بسم الله الرحمن الرحيم اللهم ربنا لك الحمد أنت الذي ليس كمثلك شيء وأنت السميع البصير ، ملكت الملوك بقدرتك واستعبدت الأرباب بعزتك وعلوت السادة بمجدك وسدت العظماء بجودك ودوخت المتكبرين بجبروتك وتسلطت علىٰ أهل السلطان بربوبيتك وذلّلت الجبابرة بعزة ملكك ، وابتدأت الأمور بقدرة سلطانك ، كل شيء سواك قام بأمرك ، وحسن العز والاستكبار بعظمتك ، وضفا الفخر والوقار بعزتك ، وتكبرت بجلالك وتجللت بكبريائك وجلّ المجد والكرم بك . .**) .

(٤) سورة الصافات ، الآية : ١٨٠ .

حَـدِّث حَـديـثَـيْـن امـرَأَةً وَإن أبَـتْ فـأرْبَـعَـةً[١]

وقوله : فتركّب ذاته من جهتي فعل وقوّة ، فلِمَ لم يقل هذا في الكلمات المكنونة[٢] حيث قال : فإن الكون كان كامناً فيه معدوم العين ، ولكنه مستعدّ لذلك الكون بالأمر ، ولمّا أمر تعلّقت إرادة الموجدِ بذلك واتّصل في رأي العين أمره به ظهر الكون الكامن فيه بالقوّة إلى الفعل ، فالمظهر لكونه الحق والكائن ذاته القابل للكون ، فلولا قبوله واستعداده للكون لما كان ، فما كوّنه إلّا عينه الثابتةُ في العلم لاستعداده الذاتي غير المجعول وقابليته للكون وصلاحيّته لسماع قول كن وأهليّته لقبول الامتثال ، فما أوجده إلّا هو ولكن بالحقّ وفيه ، أو نقول ذات الاسم الباطن هو بعينه ذاتُ الاسم الظاهر والقابل بعينه هو الفاعل . فالعين غير المجعولة عينه تعالى ، والفعل والقبول له يدانِ وهو الفاعل

---

(١) انظر تاج العروس : ١١ / ١٣٣ ، والفائق في غريب الحديث : ٢ / ٤٧ .

(٢) هو للمولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ـ كذا قيل ـ ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

بإحدى يديه والقابل بالأخرى والذات واحدة والكثرة نقوش ، فصحّ أنه ما أوجد شيئاً إلّا نفسه وليس إلّا ظهوره ، انتهى كلامه في كتابه المسمّى بالكلمات المكنونة[١] .

فقوله : ظهر الكون الكامن فيه بالقوة إلى الفعل ، يلزم منه أنه تعالى تركّب من جهتي القوة وهو الفعل .

فإن قلتَ : كما توهّمه بعضهم أنه إنما عنى به العالَم .

قلتُ : قوله الكامن فيه ، يريد بالكامن العالم وضمير فيه يعود إلى الله ، تعالى الله عن ذلك .

فإن قلتَ : إنّما يعود إلى العالم حين كونه في العلم لقوله : فما كوّنه إلّا عينه الثابتة في العلم .

قلتُ : قوله : فالعين غير المجعولة عينه تعالى ، صريح فيما قلنا لأنه يقول : إنَّ العالم في الذاتي هو عين الله تعالى ، والكون الذي كان في العالم حين هو عين الله تعالى في الأزل كامن في العالم بالقوة وهو مستعد لِقبولِ الكون ، فكان ما فيه بالقوة حين هو عينه تعالى بالفعل ، فتركّبت ذاته تعالى ، أو قل تركّب ما هو ذاته من جهتي القوة والفعل ، أو وقع ما بالقوة وما بالفعل فيه تعالى لقوله فما أوجدهُ إلّا هو ولكن بالحقّ .

---

(١) الكلمات المكنونة : ٨٥ ، كلمة فيها إشارة إلى معنى ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعَام: ٧٣] .

وفيه أي فما أوجد العالم الذي لكان عينه تعالى إلّا هو بالله فيه ، فتدبّر كلامه هنا وتدبّر كلامه هذا الذي نقلناه من الكلمات المكنونة بلا زيادة ولا نقصان وقل ما شئت .

في أن نسبة ذات الله من جميع الوجوه إلى الجميع نسبة واحدة

قال : فنسبة ذاته التي هي فعليّة صرفة وغِنىً محضٌ من جميع الوجوه إلى الجميع ـ وإن كان من الحوادث الزمانيّة ـ نسبةٌ واحدة ومعيّة قوميّةٌ ثابتة غير زمانيّة ولا متغيّرة أصلاً ، والكل بغنائه بقدر استعداداتها مستغنيات كلّ في محله ووقته وعلى حسب طاقته ، وإنما فقرها وفقدانها ونقصها في القياس إلى ذواتها وقوابل ذواتها وليس هناك إمكان وقوّة .

أقول : قوله : فنسبة ذاته التي هي فعلية صرفة ، يعني ليس فيها ما بالقوة ، فلا تنتظر كمالاً إذ لا إمكان فيها ، فكلّ ما لها لذاتها هو ذاتها الواجبة الوجود ، فإنَّ ما احتمل الزيادة والاستكمال احتمل النقصان وغنىً محض من جميع الوجوه ، فلا يفتقر إلى شيء ولا يستغنى عنه شيء وإلّا لكان محتاجاً وناقصاً ، فلو فرضنا في العبارة والبيان وجود شيء مستغن عنه تعالى قلنا : أيُّمَا أكمل كون ذلك المستغنى مستغنياً عنه تعالى أو محتاجاً إليه ، لقلتَ كونه محتاجاً إليه تعالى أكمل في حقه تعالى من كون ذلك مستغنياً عنه ، فنقول وجودُ مستغن عنه نقص في حقّه تعالى ،

فيكون كونه كاملاً مطلقاً كونه غنيّاً مطلقاً وكونه غنياً مطلقاً كونَ كلّ من سواه محتاجاً إليه فيشمل هذا المعنى قوله من جميع الوجوه .

وقوله : إلى الجميع وإن كان من الحوادث الزمانية ، فيه أنَّ قوله : وإن كان من الحوادث الخ ، يفهم منه أن من الجميع المشار إليه ما هو غير زماني كالمجردات الدهرية ومنه ما ليس بمحدث وهذا المعلوم من مذهبه وهذا باطل ، فتصحيح عبارته التي لا يصح المعنى إلّا بها ، أن يراد بالجميع خلق الله إذ ليس في الوجود إلّا الله تعالى في الأزل الذي هو ذاته وحده لا شريك له بكلّ فرض واعتبار في الواقع والفرض ، فإن الفرض والاحتمال كما قدّمنا سابقاً هما وما وقعا عليه وتعلّقا به كلها خلقه تعالى ، فتصحيحها بشيئين أحدهما بهذا .

والثاني : أن يقول من جميع الوجوه من حيث أفعاله كما ذكرنا قبل ، إذ لا نسبة لذاته بذاته تعالى إلى شيء سواه ، لأنَّ ما له سبحانه في جميع ما سواه من نسبة معيّة وقيوميّة ثابتة إنّما هو من حيث أفعاله التي هي ذكر الأشياء بما هي عليه في أماكنها وأوقاتها ، لأنا قدّمنا أنه تعالى هو الذاكر ولا مذكور ، وإنما ذكرها بفعله لها على ما اقتضته ذواتها ، فنسب نفسه تعالى لها وإليها بما ذكرها به من فعله لها بما قبلت من فعله حين فعلها إذ لم تكن مذكورة قبل فعله والنسب كلها لاحقة للوجود لا للاوجود فافهم .

قوله : والكل بغنائه بقدر استعداداتها ، الخ ، تصحيح عبارته التي يصح معناها على قواعد الإسلام أن يقول : والكلّ بغنائه الذي هو صفة فعله لا غنائه الذي هو ذاته .

ومثال هذا وأمثاله كما لو قلنا : علمه الذي هو صفة فعله وقدرته وسمعه وبصره ورحمته وربوبيّته وألوهيته وغير ذلك من صفاته ، كالنار ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾[١] فإنّها مركّبة من حرارة ويبوسة جوهريّين وصفَةُ فعلها حرارة ويبوسة عرضيّان ففعلهما الإحراق بحرارته ويبوسته العرضيّين كالحديدة المحماة في النار ، فإنّها تحرق كالنار من جهة أن فعلها ظهر في الحديدة بصفته التي هي الحرارة واليبوسة العرضيّان الفعليّان ، لا أنّ أجزاءً من جرم النّار وجوهرها انتقلت إلى الحديدة كما توهّمه بعضهم ، فإنّك إذا فهمتَ معنى كلامي حصل عندك مفتاح من مفاتح الغيب تفتح به كثيراً من الأبواب المغلقة مثل قوله تعالى : (**ما زال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحِبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده الذي يبطش بها إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وإن سكت ابتدأته**)[٢] . الحديث . فهذا ينفتح بمفتاحِنا هو وأشباهه لا بغير مِفتاحنا .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٠ .

(٢) الكافي : ٢ / ٣٥٢ ح ٧ ، وعوالي اللآلي للأحسائي : ٤ / ١٠٣ ح ١٥٢ ، ومعارج اليقين : ٢٠٥ ح ٥٠٥ ، ومشرق الشمسين للبهائي : ٤٠٢ ، ومفتاح =

قوله : وعلى حسب طاقته ، طاقة العبد قد تكون لوجوده وقد تكون بمُتَمِّم ، فربّما يكون الشيء لا يطيق بنفسه ويطيق بالمتمّم وبالواسطة فالمتمِّم معين والواسطة واقية ومترجم ، فالمتمّم كرفع إدريس عليه السلام وعيسى عليه السلام إلى السماء ، إذ لا يقدران بذاتهما على الصعود إلّا بالملك المتمّم لهما قابليّة الصعود ، والواسطة كآدم عليه السلام في إنبائه الملائكة بأسماء الأشياء ، فإنَّ الملائكة لا يتحمّلون تعلّم أسماء الأشياء بغير واسطة آدم عليه السلام ، وإلّا لكان لهم أن يقولوا : يا ربّنا أنت علّمت آدم الأسماء ولو علّمتنا الأسماء لتعلّمناها فلا تكون لاختيار الله تعالى للبشر مزيّة على الملائكة ، فإنه تعالى لمّا اعترض عليه ملكانِ

= الفلاح للبهائي : ٢٨٨ ، والتحفة السنيّة للجزائري : ٨٧ ، ومشارق أنوار اليقين : ٢٢٥ ، ووسائل الشيعة : ٤ / ٧٢ ح ٤٥٤٤ ، ومحاسن البرقي : ١ / ٢٩١ ح ٤٤٣ بتفاوت .

ولفظه في الكافي : عن حماد بن بشير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عزّ وجلّ : من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي ، وما تقرب إليّ عبدٌ بشيء أحبّ إلي مما افترضت عليه ، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن موت المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته**) .

وقد تقدم من المصنف قدس سره في الجزء الأول من شرح الزيارة معاني التقرب .

ورضي بعض الملائكة باعتراضهما ، ردّ الله تعالى عليهم اعتراضهم بـ ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(١) ، يعني أني ما جعلتُ خليفةً إلّا من هو أولى بالاستخلاف منكم ، لأنه أعلم منكم وأحمل للعلم منكم ، فلو كانوا يحتملون إذا علّمهم لكانوا يقولون : إنّما علّم الأسماء لمّا علّمته ولو علّمتنا علمنا ولكنهم قبلوا ولم يعترضوا لعلمهم أنهم لا يعلمون الأسماء إلّا بواسطة آدم عليه السلام .

قوله : وإنّما فقرها ونقصها إلى آخره ، صحيح ظاهر .

قوله : وليس هناك إمكان وقوّة البتة ، هذا صحيح ، ولكن مذهبه كما ذكر وذكرنا عنه يلزم منه ثبوت ما بالقوّة في ذاته ومنه قوله هنا والكلّ بغنائه ، فإنّه إذا أراد بغنى الذات لزمه أنّ في هذا الغنى استغناء للمحدث يكون عند وجوده بالفعل وقبله في غناه بالقوة وهذا إمكان وقوة فتدبّر كلامه السابق ، وما نبّهناك عليه فيه يظهر لك هذا ، ويأتي كثير من كلامه بهذا المعنى فاستمع .

قال : فالمكان والمكانيات بأسرها بالنسبة إلى الله تعالى كنقطة واحدة في معيّة الوجود ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾(٢) ، والزمان والزمانيات بآزالها وآبادها كآن واحد عنده في ذلك جفّ

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٦٧ .

القلم بما هو كائن ما من نسمة كائنة إلّا وهي كائنة ، والموجودات كلها شهاديّاتها وغيبيّاتها كموجود واحد في الفيضان عنه ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفس واحدة .

أقول : هذا الشيخ دائماً يتكلّم بالأمور الغريبة والعبارات العجيبة ، ومَن عرف وجده كالغافل عن الحكمة ودليل الحكمة ، وكمن لم ينظر في الحقائق ، والعلّة فيه أنه ما راضَ نفسهُ بطريقة أهل البيت عليهم السلام ، وإنّما صرف نفسه في حكمة القوم وجعل همّه في فهم مراداتهم وفكّ رُموزهم ، ولهذا كان إذا قال بقولهم مثل أنّ علم الله تعالى القديم بالأشياء مستفاد منها لأنّها أعطته العلم بها ، ربّما استشعر بطبيعته أو بالتفاتة منه ، فنفى هذا كما ذكر في الوافي . ثم قال به في أثناء كلامه وذلك لانطباع نفسه وطبيعته على قولهم .

فقوله : فالمكان والمكانيات ـ إلى قوله ـ في معيّة الوجود ، إنّما يصحّ إذا قيّده بأن يقول في فعله كما قدّمنا ، ثم استشهد على قوله بما نحتجّ به عليه فإن قوله : ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦٓ ﴾ ، لِمَ لَمْ يقل بقدرته مع أن المراد به قدرته ، وإنّما عدل إلى اليمين ليعلم منه أصحاب اليمين أنه أراد بفعله إذ لا يصح أن تكون السماوات مطويّات بذاته لأنها مفعوله والطيّ فعله ، فكيف يحدث شيئاً بذاته من غير فعل لا يعقل في حقه تعالى ، ولا في حق أحد من خلقه أن يفعل فعلاً بغير فعل .

وأمّا إرادته بأن السماوات مضمحلّة في جنب وجوده فانبساطها نقطة لا تقبل القسمة في جنب ذاته ، فهذا ومثله إنما يكون لو جمعهما مشهد واحد بأن ظَهر لها في الحدث أو بطنت له في الأزل ودُون عليّان خرط القتاد ، كيف يظهر لها وإنّما ظهر للجبل حين سأله موسى عليه السلام مثل سم الإبرة من نور محل فعله فجعله دكّاً .

وعنه صلى الله عليه وآله : (**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشف حجاب منها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)(١) انتهى .

وكلّ هذا أثر فعله إذ المراد بالوجه هو محل مشيئته وفعله والسبحات الكروبيون من شيعة ذلك الوجه الكريم صلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وكيف يصعد إليه ولم يخرج منه سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان ، فكان ولا شيء معه مطوي قبل ذكر كلّ شيء ، وهو على ما

---

(١) عوالي اللآلي : ٤ / ١٠٦ ح ١٥٨ ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ٤٥ و٧٣ / ٣١ ، وشرح أصول الكافي : ٤ / ١٢٩ ، والحكمة المتعالية في الأسفار : ٧ / ٧٨، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٣١ .
ورواه المازندراني في شرح أصول الكافي بلفظ : (٤ / ١٢٩) (**إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه كل من أدرك بصره**) قيل : (**سبحات وجهه جلاله وعظمته**) .

هو عليه والمحو والإثبات والطي والبسط ، وكلّ معنى غير الذات المقدسة كلّ ما ينسب إليها من الكثرة والوحدة والبساطة والطي والبسط والاتحاد والتعدّد والدفعة والتعاقب والجمع والفرق وما أشبه ذلك ؛ لا يصحّ نسبتها إليه تعالى لا بالذّاتِ ولا بالنِّسبةِ والإضافةِ ، إذْ لا نِسبةَ له ولا إضافة لذاتِه .

وما لا يثبتُ له لذاته بذاته لا يثبت لهُ بغيره ، فافهم هذا الأصل فإنّه قاعدة لا تنخرم أبداً .

وقوله : والزمان والزمانيّات بآزالها يعني الحادثة وآبادِها كذلك ـ إلى قوله : إلّا وهي كائنة ، أحد الكلام فيه كالكلام في المكان والمكانيّات ، وتفسيري آزالَها وآبادَها بالحادثة لأنّها قد تستعمل الآزال والآباد في الحادثة على المذهب الحق ، فلذا فسّرتها بذلك ، وإن كان ظاهر كلماته في كتبه استعمالها في القديمة للحادثات على نحو ما في كلامه المتقدّم الذي نقلناه عن الكلمات المكنونة .

بيان معنى القلم

وقوله : جف القلم بما هو كائن ، قد ذكر جملة من بيان هذا في ذكرنا العلم الإمكاني والعلم الكوني وفي العلم الإمكاني جف القلم ، وأحاديث أهل العصمة عليهم السلام مصرّحة بأن القلم المنسوب إليه الجفاف هو عقل الكل وهو

القلم المستمدّ من الدواة كما رواه هو في الصافي في تفسير : ﴿ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾(١) .

وإذا أطلق فلا يراد غيره في كلامهم ، واستعماله في العلم الذّاتي كما ذكر خلاف الظاهر وخلاف الواقع وخلاف الحق ، وإن أخذ تأويله على المشرب الصوفي وهو لا مانع منه فيما يجوز استعماله بخلاف هذا الذي ذكره ، فإنّه لا يصح استعماله ، كيف وهذا القلم هو الكاتب في اللوح وقد ورد في أدعيتهم عليهم السلام : (**اللهم إن كنت كتبتَني عندك محروماً مقتّراً عليَّ في رزقي فامحُ مِنْ أمّ الكتاب حرماني وتقتيرَ رزقي واكتبني عندك سعيداً مُوَفّقاً للخير ، فإنّك قلتَ تباركتَ وتعالَيْتَ : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٢)**)(٣) .

فإذاً هو الكاتب وإذا شاء الله سبحانه محو ما كتب القلم وإثبات غيره إنما يثبتُه بالقلم ، فكيف يجف القلم وهو أبداً رطبٌ ؟ ولذا ردّ تعالى على اليهود حين قالوا : قد فرغ من الأمر ،

---

(١) سورة القلم ، الآية : ١ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٣٩ .

(٣) قال عليه السلام : (**اللهم إن كنت كتبتني عندك في أمّ الكتاب شقياً محروماً مقتراً عليّ في الرزق فامح من أمّ الكتاب شقائي وحرماني وأثبتني عندك سعيداً مرزوقاً ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، اللهم إني لما أنزلت إليّ من خير فقير وأنا منك خائف وبك مستجير وأنا حقير مسكين أدعوك كما أمرتني فاستجب لي كما وعدتني**) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : ٦٦ .

كما في التوحيد[١] عن الصادق عليه السلام في هذه الآية : (**لم يعنوا أنه هكذا ولكنهم قالوا قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص ، قال الله جلّ جلاله تكذيباً لقولهم : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[٢] ألم تسمع الله يقول : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾**)[٣] .

وفي تفسير علي بن إبراهيم[٤] قال : (**قالوا قد فرغ من الأمر لا يُحدث الله غير ما قدّره في التقدير الأول فردّ الله عليهم ، قال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ أي يقدّم ويؤخّر ويزيد وينقص وله البداء والمشيئة**)[٥] انتهى .

وأمّا أنَّ المراد بالقلم وجفافه غير ما ذهب إليه ، فمنه في العلل

---

(١) هو للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) سورة المائدة : ٦٤ .

(٣) التوحيد للصدوق : ١٦٧ ح ١ ، ومعاني الأخبار : ١٨ / ١٥ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٠٤ ح ١٧ ، وتفسير نور الثقلين : ١ / ٦٤٩ ح ٢٧٨ .

(٤) هو الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي شيخ الكليني ، كان في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، وبقي الى سنة ٣٠٧ هـ ، وهو صاحب التفسير ، انظر ترجمته في كتاب الذريعة رقم ١٣١٦ .

(٥) تفسير القمي : ١ / ١٧١ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٩٨ ح ٦ ، والتفسير الصافي : ٢ / ٤٩ ح ٦٤ .

عن الصادق عليه السلام : (**وأمّا ن فكان نهراً في الجنّة أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل قال الله تعالى له : كن مداداً ثم أخذَ شجرة فغرسَها بيده**) ثم قال : (**واليد القوّة وليس بحيث يذهب إليه المشبّهة ثم قال لها : كوني قَلماً ، ثم قال له : اكتب ، فقال له : يا ربّ وما أكتب ؟ قال : ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ففعل ذلك ثم ختم عليه وقال : لا تنطقن إلى يوم الوقت المعلوم**)(١) .

فعلى ما قلنا من أن القلم هو المعلوم ، وقلنا : إنه لا يزال يجري بأمر الله تعالى بمقتضى ، يمحو الله ما يشاء ويثبت فهو ظاهر ، وعلى أنه ختم عليه أو على فمه فلا ينطق أبداً فالمراد أن الله تعالى أمره بأن يكتب فممّا أمره به مشروط أو مشروط في الشهادة خاصّة ومنه محتوم فأطلقه في المشروط وختم عليه في المحتوم هذا كلّه في الثاني من العلم الحادث وهو العلم الكوني كما تقدم .

وأمّا في العلم الإمكاني فقد جف القلم هناك والمراد بالقلم في العلم الإمكاني المشيئة .

والحاصل ، أنَّ هذا المعنى الذي ذهب إليه لا يجري على ذات الحقّ بذاته وإنّما يصحّ في فعله تعالى كما قلنا .

---

(١) علل الشرائع للصدوق : ٢ / ٤٠٢ ح ٢ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ٣٦٨ ح ٤ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٥١٨ ح ١٨٨ .

واستشهاده بقوله : جفّ القلم ، لا يصح إلّا في الفعل ، لأنَّ معنى جفّ أنّه جرى رطباً ثم جفّ ، وهذه حالتان فإذا نسبها إلى الله تعالى فيما أراد ، فنقول له : ما معنى جفّ في المفعول قبل الفعل ، إلا إذا أراد أن المفعول حينئذ في الأزل وجوابه السكوت عنه . وإن أراد بعد حصول المفعول اختلفت حالتاه لذاته حادث ولا يلزم الحدوث لو اختلفت حالتا فعله .

في أن الموجودات من حيث الفعل كنفس واحدة

وقوله : والموجودات ـ إلى قوله ـ كنفس واحدة ، نعم الموجودات من حيث الفعل كنفس واحدة ، وأمّا من حيث التعلق بها ، فلم يتعلّق الفِعْل بنفسه بكلّ مفعول ، بل كلّ مفعول فله رأس جزئي من الفعل الكلّي مختص به لا يصلح لغيره ، فزيد مثلاً له رأس جزئي من مشيئة الله تعالى مختص به لا يصلح لعمرو وذلك الرأس موجود في الفعلِ قبل وجود زيد كوجود صورتك فيك قبل وجود المنطبعة في المرآةِ ، فإذا وجد القابل للتأثير وهو اجتماع مشخِّصات وجود زيد حدث تعلّق ذلك الرأس المختصّ به فقدّر له حصّته الخاصّة به من وجود نوعه ، فكوّن من تلك الحصّة بتلك المشخِّصات زيداً وهكذا في كلّ مفعول . كما إذا حصلت المرآة والمقابل وقع شعاع صورتك في المِرآة فظهرت من ذلك الشعاع بهيئة المرآة من اللون والاستقامة والصفاء والكبر وأضدادها التي

هي مشخصات الصورة في المرآة صورةُ وجهِك . وأمّا هذه الوحدة التي في المفعولات بالنسبة إلى الفعل من حيث انبساطه على الإمكان دفعة كلّ في رتبته ، فإنّما هي في بادي الرأي .

وأمّا في الواقع فهي مرتّبة المسببات على الأسباب والناقص على المتمّم كالعرض على الجوهر ، ولو صحّ في الواقع ما أشار إليه لما صحّ قول جعفر بن محمد عليهما السلام المتقدم والآتي : (**لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم**) إلى أن قال : (**فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم ، وقع العلم منه على المعلوم**)(١) الحديث .

فإذا جاز هذا المعنى في ذات الحق سبحانه أنه عالم ولا معلوم جاز في الفعل بالطريق الأولى ، والمثال في ذلك إذا ظهرت الشمس انبسط نورها على جميع الكثيفات وظهرت الأظلّة في مقابلة الأشعة كلّ ذلك دفعة بلا مهلة ، لكن ذلك في بادي

---

(١) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .
ولفظه في التوحيد : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور**) قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟
قال : (**إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم**) .

الرأي ، وفي الواقع كانت الأشعة سابِقَةً على الأظلّةِ في الظهور بسبعين سنة ، وكذلك حكم المسببات عند الأسباب ، فالطي المذكور سابقاً على ما هو عليه في نفس الأمر لا على ما هو عليه في بادي الرأي ، ولو كان هذا الحكم راجعاً إلى الأزل الذي لا يجري على مقتضى الأسباب ، قلنا : حكم الأزل على ما يعرف وقد بيّنا أنّه كان ولم يكن شيء وهو أبداً لم يكن معه شيء .

وأمّا إذا حصرنا الطي على الحكم القهري فهو نور في محلّ الظلمة ، فإذا جمعهما مشهد واحدٌ جرى إثبات الظلمة ونفيها على نمط واحد ، كالمثال الذي قلنا في الشمس ، فإن وجود الظلّ بعد وجود الشعاع بسبعين عاماً وعدمهما كذلك على العكس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ألم يسمعوا قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾(١) .

والحاصل ، نكرّر القول : لو كان الحكم أزليّاً وجب فيه الوحدة البسيطة لعدم وجود غيره ، وإذا كان فعلياً فبنسبة الظهور يكون البطون وبنسبة الفرق يحصل الجمع ، لأنّه بطون بعد فرض ظهور وجمع بعد تحقق فرق ، إذ قبل فرض الظهور وتحقّق الفرق لم يكن شيئاً ، والفعل لا يكون إلّا مع المفعول ، فلا تكون

(١) سورة الفرقان ، الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ .

الأشياء في معيّة الوجود كنقطة واحدة في نسبة الفعل ، وقد برزت نقطاً متعدّدة ، لأن الفعل متعاقب التعلّق ولا يكون بين الأزل وما سواه نسبة فافهم إن كنتَ تفهم .

فإن قلتَ : إنه أراد أنّها على تكثّرها وامتداد أوقاتها نقطة لإحاطته تعالى بها إذ لا امتداد عنده ولا استقبال ، بل كلّها في علمه نقطة .

قلتُ : هذا صحيح ولكن إذا فهمتَ مراده فافهم مرادي أيضاً ، إذا كان تعالى محيطاً بها ، لأن امتدادها فيما لا تزال ليس بُعداً عنه ، بل هي في قبضته ولا يستقبل ، بل الماضي والمستقبل وما بينهما حاضرة في نقطة بين يديه إلّا أنّه تعالى محيطٌ بها حين هي لا شيء أو حين هي شيء .

فإن قلتَ : حين هي لا شيء فلا يصح الإحاطة باللاشي وإلّا لعلم أن له شريكاً مع أنه نفى علمه بذلك فقال : ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾(١) ، وهي لا شيء في الأزل وإلّا لكان معه غيره .

وإن قلتَ : يحيط بها حين هي شيء .

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨ .

فأقول : هي شيء بغير موادّها وقوابلها وما تقوّمت به من فعله أو بذلك .

فإن قلت : بغير ذلك أحلتَ وإن قلتَ بذلك .

قلتُ لك : يعلم بما هي عليه أو غير ما هي عليه .

فإن قلتَ : غير ما هي عليه لم يكن عالماً بها .

وإن قلتَ : بما هي عليه .

قلتُ لك : ممّا هي عليه كونها في أمكنتها وأزمنتها مترتبة متعاقبة .

فإن قلتَ : فإذاً كيف علمها ؟ .

قلتُ : هي قامت بأمره وأمره واحد فيعلمها بأمره واحدة وبذواتها متكثرة لأنه يعلمها بها ، فهي علمه بها لأنها حاضرة عنده تعالى بأمره في وحدة وبذواتها في كثرة ولا منافاة ، ولو كان يعلمها بذاته فإن كان لا يعلمها إلّا بكونها نقطة كان وجه تكثرها غير معلوم لذاته ، وإن كان يعلمها مطلقاً فلا فائدة في لحاظ كونها نقطة واحدة بخلاف ما إذا كان يعلمها بما هي عليه ، ومثال وجهيها المعلومين معاً لو حضرك سرير وباب وكرسي وسفينة ، فإنّها معلومة لك بوحدة الخشب وتكثر الصور ، وعلمك بها حصولها لك وحضورها بين يديك ولم تعلمها بذاتك من غير حضورها إلّا أن تكون في ذاتك هي أو صورها ، وكأني بك تظنّ

أنّي نافٍ لعلمه الأزلي لا ولكنّي نافٍ لوجودها الأزلي وحضورها الأزلي وكافرٌ به فافهم .

بيان تقدم وتأخّر الموجودات

قال : وإنّما التقدّم والتأخر والتجدد والتصرّم والحضور والغيبة في هذه كلّها بقياس بعضها إلى بعض ، وفي مدارك المحبوسين في مطمورة الزمان المسجونين في سجن المكان لا غير ، وإن كان هذا لممّا تستغربه الأوهام وتشمئزّ منه قاصرو الأفهام .

أقول : قوله : وإنّما التقدم والتأخر ـ إلى قوله ـ إلى بعض ، هل يريد به أن هذه غير معلومة ولا هو محيط بها أم لا ، فإن أراد فإنّما ذلك لأجل أنّها حاصلة لذاته حصولاً جمعيّاً وحدانياً ، يعني أنّها بوجودها المتحد متحدة بذاته وفي حالة الكثرة لا تتّحد ، لأنّها خلقٌ موهومٌ بناءً على أنّه ليس إلّا الله ، كما هو قول أهل التصوف بوحدة الوجود ، ولو أراد أنها معلومة أيضاً مع تكثرها وتعاقبها لم يحتج إلى هذا التكلف .

فإن قيل : إنَّ هذا جواب المحبوسين في مطمورة الزمان الخ .

قلنا : ليس هذا جواب من يتوهّمه وإنما هو مذهب أهل الحق وحلفاء الصدق صلى الله عليهم .

قال : وأما قوله عزّ وجلّ : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾(١) **فهو كما قاله بعض أهل العلم : إنها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها ، فليُستبصر .**

أقول : كان سبحانه ولا شأن له ولا شأن ، وإنّما هو لا غير فلمّا خلق مشيئته بنفسها أمكن فيها كلّ شيء على الوجه الكلّي وجعل ذلك الإمكان الذي هو محلّ مشيئته خزائنه في كلّ شيء قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(٢) .

فخزائنُ زيد مثله في تلك الخزائن فما معنى يبديها لا يبتديها ، فإذا أرادَ أن يخلق شيئاً مثل زيد خلقه من خزائِنه وَنزّله إلى عالم الزّمان ، فهل كان زيدٌ في خزائنه على الوجه الجزئي بما هو عليه في هذا العالم من تشخّصَه أم على وجه كلّي له أن يبدّله قبل أن ينزله بعمرو وبفرس وبجبل وبحر ، فإن كان عَلَى وَجْه جزئيّ هناك كما هُوَ هنا إلى أن نَزَّلهُ إلى هنا ليصدق قولهم إنه أبداه لا أنّه ابْتدأه لم يكن له فيه البداء ، مع أنّ خزائن زيد المشار إليها قبل اللوح المحفوظ إذا أريد بها الراجحة وبعضها بعد اللوح المحفوظ إذا أريد بها الأعم فيها البداء لله تعالى ، ويجب أن

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٢٩ .
(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

يكون زيدٌ شيئاً قبل تكوينه وقد قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾(١) .

وفي حديث الكاظم عليه السلام كما في الكافي والعلل : **(فللّه تبارك وتعالى البداء فيما لا عينَ له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرَك فلا بداء والله يفعَلُ ما يشاء)**(٢) .

وقال عليه السلام قبل هذا الكلام : **(فللّه تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء وإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداءُ)**(٣) انتهى .

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٦٧ .

(٢) الكافي : ١ / ١٤٩ ح ١٦ ، وتوحيد الصدوق : ٣٣٥ ح ٩ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٥١٦ ح ١٧٨ .

(٣) لفظه في التوحيد : عن معلى بن محمد قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : **(عَلم وشاء وأراد وقدر وقضى وأبدى ، فأمضى ما قضى وقضى ما قدر وقدر ما أراد ، فبعلمه كانت المشيئة وبمشيئته كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء وبقضائه كان الإمضاء ، فالعلم متقدم المشيئة والمشيئة ثانية والإرادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء ، فالعلم بالمعلوم قبل كونه والمشيئة في المنشأ قبل عينه والإرادة في المراد قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذي لون وريح ووزن وكيل وما دبّ ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس ، فلله تبارك وتعالى فيه البداء مما لا عين له فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء والله يفعل ما يشاء .** =

وكل هذه المراتب التي أثبتَ لله فيها البداء قبل خروجه في هذا العالم وتحت تلك الخزائن .

وإن كان زيدٌ في خزائنه أي خزائن زيد قبل أن ينزّله الله سبحانه على وجه كلّي فله أن يبدّله بحيوان وطير وأرض وسماء وملك وشيطان وعلى هذا فجعله زيداً ابتداءً لا أبداءٌ فافهم ولتستبصر .

بيان كون الحادِث في الأزل

قال : ولعل مَن لم يفهم بعض هذه المعاني يضطرب فيصول ويرجع فيقول : كيف يكون وجود الحادث في الأزل أم كيف يكون المتغير في نفسه ثابتاً عند ربّه ، أم كيف يكون الأمر المتكثر المتفرق وحدانيّاً جمعيّاً ؟ ، أم كيف يكون الأمر الممتدّ أعني الزمان واقعاً في غير الممتد أعني اللازمان مع التقابل الظاهر بَيْنَ هذه الأُمور ؟ .

أقول أنا : كيف يكون وجود الحادث في الأزل ؟ وكذلك قال الإمام عليه السلام ما معناه : **(لو كان خلقها من شيء لكان معه ذلك الشيء لم يزل)**(١) .

= **وبالعلم علم الأشياء قبل كونها وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها ، وبالتقدير قدّر أوقاتها وعرف أولها وآخرها ، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّهم عليها ، وبالإمضاء شرح عِلَلِها وأبان أمرها ، وذلك تقدير العزيز العليم) .**

(١) جابر الجعفي قال : جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر عليه السلام =

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : **(انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله السبيل مسدود والطلب مردودٌ)**(١) .

= فقال : جئت أسألك عن مسألة لم أجد أحداً يفسّرها لي وقد سألت ثلاثة أصناف من الناس فقال كل صنف غير ما قال الآخر . فقال أبو جعفر عليه السلام : **(وما ذلك ؟)** .
فقال : أسألك ما أول ما خلق الله عزّ وجلّ من خلقه فإن بعض من سألته قال : القدرة . وقال بعضهم : العلم ، وقال بعضهم : الروح . فقال أبو جعفر عليه السلام : **(ما قالوا شيئاً ، أخبرك أن الله علا ذكره كان ولا شيء غيره وكان عزيزاً ولا عزّ لأنه كان قبل عزّه وذلك قوله : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصّافات : ١٨٠] وكان خالقاً ولا مخلوق فأول شيء خلقه من خلقه الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء)** فقال السائل : فالشيء خلقه من شيء أو من لا شيء ؟
فقال : **(خلق الشيء لا من شيء كان قبله ولو خلق الشيء من شيء إذا لم يكن له انقطاع أبداً ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ولكن كان الله ولا شيء معه فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء)** .
توحيد الصدوق ، باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٢٠ .

(١) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : **(وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته)** . =

وقال الصادق عليه السلام : **(كان الله عزّ وجلّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم)**(١) .

وأنا أقول بياناً لقولهم عليهم السلام ، إذا كان الحادِث في الأزل يبقى حادثاً مصنوعاً أم يكون أزلياً صانعاً ، وعلى التقديرين هو مغاير بمعنى أن الله تعالى يعلم أنه غيره على أي فرض اعتبر أم لم يعلم قل ما شئت .

= وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤ ، وأولها : **(الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . .)** .
وفيها : **(السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها . .)** إلى قوله عليه السلام : **(فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له)** .
رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : **(دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه)** . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .
ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

(١) تقدم الحديث سابقاً مع تخريجه .

وقوله : أم كيف يكون المتغيّر في نفسه ثابتاً عند ربّه ؟ .

فأقول : يكون ثابتاً عند ربّه على ما هو عليه من التغيّر في ملكه تعالى لا في ذاته .

وقوله : أم كيف يكون الأمر المتكثر المتفرّق وحدانيّاً جميعاً ، نعم يكون في فعله وأمره الأمر المتفرّق وحدانياً جمعيّاً ، لأن الأشياء لها اعتباران من جهة آبائها مجتمعةً اجتماعاً وحدَانيّاً جمعيّاً ، ومن جهةِ أمّهاتها متفرّقةً متكثرة . ولكنه تعالى أحاط بها بفعله وأمره في الحالين .

أمّا من جهة الآباءِ يعني موادها فواحدة ومن الأمهات يعني صورها متكثرة كما مثّلنا بأنه لو حضر عندك باب وسرير وكرسي وسفينة فمادتها كلها الخشب وهو واحد ومن جهة صورتِها متكثّرة ، والمادة والصورة كلاهما عن فعله وأمره فمادّتها أثر فعله وأمره وصورها هيئات قبولها لتلك المواد عن فعله وأمره ، فكلّها متّحدة ومتعددة معلومة له تعالى بأنفسها على ما هي عليه في الحالين عن إحاطة فعله وأمره .

وقوله : أم كيف يكون الأمر الممتدّ أعني الزّمان ؟ ، الخ ، نعم يقع الممتدّ أعني الزمان والمكان وما فيهما في غير الممتدِّ ، أعني غير الممتدّ امتداداً زمانيّاً ولا امتِداداً دهريّاً ، نعم تقع هي في الممتدِّ امتِدَاداً سَرْمَدِيّاً على النحو المذكور . وأمّا على ما يقول فيما يعني فلا معنى له كما سمعتَ .

قال : **فنمثّل له بمثال حسِّي يكسر سَورة استبعاده فإن مثل هذا المعترض لم يتجاوز بعد درجة الحس والمحسوس ، فليأخذ أمراً ممتداً كحبل أو خشب مختلف الأجزاء في اللون ثم ليمرره في محاذاة نملة أو نحوِها مما تضيق حدقته عن الإحاطة بجميع ذلك الامتداد فتكون تلك الألوان المختلفة متعاقبةً في الحُضور لديها تظهر لها شيئاً فشيئاً واحداً بعدَ واحد لضيق نظرها ومتساوية في الحضور لديه يراها كلّها دفعة واحدة لقوّة إِحَاطةِ نظرِه وَسعةِ حدقته ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾**[1] .

أقول : تمثيله هذا كثيراً ما يمثّلون به العُلماء في عدم إحاطة الصَّغير المتناهي الصِغر وضيق البصر للكبير بالنسبة إليهِ الذي لا يقدر الصغير على الإحاطة به إلّا بالتنقل والتدريج مع طول زمان ، ولو كان المدرك له أكبر منه وأوسع بصراً من امتداده ، فإنّه يحيط به دفعة بلا تنقّل أو تدريج أو طول زمان ، بل يقع عليه بصرُه دفعةً فإذاً هو قد أدرك شيئاً بسيطاً وذلك الصغير إنّما أدركه بالتنقل والتدريج في زمان طويل ، فالصغير كالنملة مثَلٌ للمخلوق الذي لا يدرك الأشياء إلّا بالتدريج كذلك ومجموع الخلق في أزمنته المُتَطاوِلة كالشيء ذي الألوان الذي لا يحيط به المخلوق دفعة والكبير الواسع البصر الذي يحيط بصره بذلك الكبير ذي الألوان

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ٧٦ .

دفعةً من غير تنقل ولا تدريج ولا طول زمان ، ولا يكون إدراكه أولها قبل إدراكه آخرها ، مثلٌ للحق ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[1] وهذا مثل يتداولونه وهو ليس بتام ، لأن يكون مثلاً لفعله وأمره ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[2] . وقد قدمتُ لك المراد مكرّراً مردّداً وقوله : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[3] ، يشير إلى ما مثّلنا به من الكبير الذي يحيط بذي الألوان دفعةً إنما قدرته على الإحاطة مستفادة من القادر لذاته .

كيفية إدراك وإحاطة الله تعالى للأشياء

قال : فهو سبحانه أدرك الأشياء جميعاً في الأزل إدراكاً تامّاً وأحاط بها إحاطةً كاملةً ، فهو عالم فيه بأنَّ أي حادث يوجد في أي زمان من الأزمنة وكم يكون بينه وبين الحادث الذي بعده أو قبله من المدّة ولا يحكم بالعدم على شيء من ذلك .

أقول : قوله : أدركَ الأشياء جميعاً في الأزل ، إن أراد بقوله في الأزل : إنه ظرف لأدرك الأشياء ، لزم أن تكون الأشياء في الأزل فلا يصحّ حينئذٍ عالم ولا معلوم لأنَّ أدرك معنى فعلي بخلاف قولك إنه مدرك ، فإنّه معنى ذاتي يتحقّق بغير مدرَك بفتح

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٠ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ٧٤ .
(٣) سورة يوسف ، الآية : ٧٦ .

الراء ، فللعلم معنى ذاتي هو الله تعالى ومعنى حادث هو قولك علم بها ، فإنَّ النسبة تقتضي اجتماع الطرفين في مكان واحد من الإمكان والقدم ، فلمّا امتنع اجتماعهما في القِدم تحقّق في الإمكان ، فإذا أردتَ العِبَارَة عن ذلِكَ فقُل : عالِمٌ في الأزلِ بها في الحدثِ بما هي عليه من القُيودِ .

أمّا إذا قُلتَ : هُوَ عالِمٌ بها في الأزلِ لَزِمَ أن تكون هي بما هي عليه من القيود في الأزل ، بخلافِ ما إذا قلتَ : عالم في الأزل بها في الحدثِ فإنَّ المعنى أنه تعالى عالم في الأزل ولا معلُومَ .

فلمَّا أحدثها لا من شيء كان بها عالماً بها وليس قولي : فلمّا أحدثها إثباتاً لمعنى الزمانِ ، بل العبارة ضيّقة ، وإنّما المرادُ أنّها ليست شيئاً في الأزل لتكون معلومةً لأنَّ الأزل هو الذات ، فلا تكون هناك مذكورة في ذاته إلّا بأحد وجهين : إمّا أن تكون هي بذواتها المكوّنة أو بحقائقها غير المكوّنة كما يزعم ، بحيث يعلم تعالى أنَّ فيه غيره بأي حال فرض أو بُصورها العلميّة في ذاته التي هو الأزل وكلّ شيء من هذه مبنيّة على غير قواعد التوحيد فافهم .

وباقي كلامِه من كونه تعالى عالماً بكلّ شيء من أحوالِها لا شكّ فيه ولا منازعة ، وإنّما الكلام في محل هذا العلم هل هو في ذاته أو خارج ذاته ؟ .

وقوله : ولا يحكم بالعدم على شيء من ذلك ، فيه : أنه إن أراد أنه لا يحكم بالعدم على شيء من ذلك في ذاته فهو باطل ، لأن الحق هو الحكم عليها بالعدم في ذاته ، فليست مذكورة لا بوجود ولا بسبب ولا حقيقة ولا صفة ، وإن أراد به في أماكِنها وأوقاتها فلا إشكال فيه .

قال : بل يدلّ ما يحكم بأن الماضي ليس موجوداً في الحال يحكم هو بأن كلّ موجود في زمان معيّن لا يكون موجوداً في غير ذلك الزمان من الأزمنة التي تكون قبله أو بعده ، وهو عالِم بأن كل شخص في أي جزء يوجد من المكان وأي نسبة تكون بينه وبين ما عداه مما يقع في جميع جهاته ، وكم الأبعاد بينهما على الوجه المطابق للحكم .

أقول : حكمه تعالى عليها بما هي عليه في كلّ رتبة بما منها ، وحكمنا عليها بما حكم لها بحكمها على أنفسها من أنفسها ومنّا ، وباقي كلامه على ظاهره عندنا بمعنى علمه تعالى بها في كلّ رُتبة بما منها فيها ، وذلك الحكم منه تعالى بها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام كما مرّ : (**تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها**)[1] .

---

(١) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ الخطبة : ١٨٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٩٤ ح ٢٦١٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦١ ، وأعلام الدين للديلمي : ٦٧ . =

الله سبحانه ليس بزماني ولا مكاني

قال : ولا يحكم على شيء بأنه موجود الآن أو معدوم أو موجود هناك أو معدوم أو حاضر أو غائب ، لأنّه سبحانه ليس بزماني ولا مكاني بل هو بكلّ شيء محيطٌ أزلاً وأبداً : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾(١) . الخ .

أقول : قوله : ولا يحكم على شيء ، إلخ ، كيف لا يكون كلّ شيء عنده موجوداً في ملكه ولم يفقد من ملكه شيئاً ، وكيف لا يكون كلّ شيء سواه مفقوداً معدوماً في ذاته ورتبته وليس شيء سواه .

وقوله : لأنه سبحانه ليس بزماني ولا مكاني ، الخ ، يريد بهذا أنّ الأشياء في الأزل ليست موجودة ولا معدومة ولا في زمان ولا في مكان ، الخ ، لأنه ليس بزماني ولا مكاني وليس بصحيح ، لأن الأشياء في ملكه لا في ذاته فلا معنى لكلامه ولا لتعليله .

= قال عليه السلام : (واحد لا بعدد ، ودائم لا بأمد ، وقائم لا بعمد ، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره وتشهد له المرائي لا بمحاضره ، لم تحط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها ، ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ، ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً ، بل كبر شأناً وعظم سلطاناً) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

وقوله : بل هو بكلّ شيء محيط أزلاً وأبداً ، فيه : أنَّ الأبدَ والأزل ذاته وقد بيّنا مراراً أنه ليس في ذاته شيء غيره ، إنّما هو هو لا غير ذلك ، نعم يجوز أن تقول هو في الأزل والأبد محيط بها في الملك ، وقوله عليه السلام : (**لم يكن خلواً من ملكه**)(١) ، وقوله : (**أسألك باسمك العظيم وملكك القديم**)(٢) ، معناهما أنه تعالى لم يفقد في الأزل والأبد ، أعني في ذاته بذاته ملكه في الإمكان .

وقوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾(٣) ، يعني كلّ شيء في مكانه ووقته ولا يحيطون بشيء من علمه الإمكاني الذي

---

(١) قال عليه السلام : (**كان خلواً من خلقه وخلقه خلوٌّ منه**) التوحيد : ١٤٢ ـ ١٤٣ ح ٧ .
وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**إنَّ الله خلوٌّ من خلقه وخلقه خلوٌّ منه وكلُّ ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوقٌ ما خلا الله**) . الكافي : ١ / ٨٣ ح ٣ ـ ٥ ، والتوحيد : ١٠٥ ح ٣ ـ ٥ .

(٢) وهو من أدعية الصلاة والتعقيب : (**اللهم إني أسألك باسمك المكنون المخزون الطاهر الطهر المبارك وأسألك باسمك العظيم وسلطانك القديم يا واهب العطايا ويا مطلق الأسارى ويا فكاك الرقاب من النار أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تعتق رقبتي من النار وأخرجني من الدنيا سالماً وأدخلني الجنة آمناً واجعل دعائي أوله فلاحاً وأوسطه نجاحاً وآخره صلاحاً إنك أنت علّام الغيوب**) مصباح المتهجد : ٨٤ ـ ٩٩ ح ١٦٥ ، ومفتاح الفلاح : ١٩٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

هو محلّ مشيئته إلّا بما شاء من علمه الكوني كما تقدم مفصّلاً ، وليس المراد من علمه في الآية الشريفة العلم الذاتي لأنه هو ذاته ، ولا يصح أن يقال : ولا يحيطون بشيء من ذاته إلّا بما شاء منها فإنّهم يحيطون به فيكون المحاط قبل المشيئة قديماً وبعدها حادثاً فيتغيّر ويتبعّض وتختلف أحواله تعالى ، والأصل في الاستعمال الحقيقة فلا يقال : إنه مجاز عما في ذاته من حقائق الممكنات مع ما يلزم من اشتمال ذاته على غيره ، ولا يقال : يجوز أن يكونَ الاستثناء منقطعاً ، لأنَّ الأصلَ فيه أن يكون مُتَّصِلاً مع ما فيه ، أي في كونه منقطعاً .

في ذكر أحوال الذات لذاتها

قال : فصل ـ مَن عرف ما حقّقناه عرف معنى ما ورد عن أهل البيت صلوات الله عليهم في هذا الباب من الروايات كقول أمير المؤمنين عليه السلام : (لم يسبق له حالٌ حالاً فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً)[١] .

أقول : من عرف ما حقّقناه عرف معنى ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام ، فإنَّ قول أمير المؤمنين عليه السلام إنّما هو

(١) نهج البلاغة : ١ / ١١٢ الخطبة : ٦٥ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ٢٨٥ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٤ / ١١ ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٢٦ .

في ذكر أحوال الذات لذاتها ، وهي بعينها نفس الذّات وإنّما تكثّرت أسماؤها لتكثّر المتعلق ، فهو تعالى باعتبار سبقه لكلّ شيء أوّل وباعتبارِ بُعديّته بعد كلّ شيء هو آخر ، وباعتبار كون كلّ شيء أثر فعله ، فهو ظاهر لأنَّ المؤثر أشدّ ظهوراً من الأثَرِ وباعتبار عدم إدراكِ شيء له تعالى هو باطن ، والذي استشهد له ليس علمه بذاته ليكون متّحِداً بذاته كما أشار إليه ، بل هو مغاير لذاته كما بيّنا غير مرّة .

قال : وكقوله عليه السلام : (أحاط بالأشياء علماً قبل كونِها فلم يزد بكونها علماً علمُه بها قبل أن يكوِّنَها كعلمه بها بعد تكونها[1])[2] .

---

(١) في نسخة : تكوينها .

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (. . **الله الواحد الأحد الصمد الذي لم تغيره صروف الأزمان ولم يتكأده صنع شيء كان ، إنما قال لما شاء أن يكون كن فكان ، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب ، وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق ، وكل عالم فمن بعد جهل تعلم والله لم يجهل ولم يتعلم ، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها فلم يزدد بكونها علماً ، علمه بها قبل أن يكونها كعلمه بعد تكوينها ، لم يكوّنها لشدة سلطان ولا خوف من زوال ولا نقصان ولا استعانة على ضد مثاور ولا ندّ مكاثر ولا شريك مكايد ، لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون** . .) .

توحيد الصدوق : ٤٣ ، باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٣ ، وأصول الكافي : ١ / ١٣٥ باب جوامع التوحيد ح ١ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ١٦٤ ح ١٠٣ .

معنى علم وإحاطة الله تعالى للأشياء في الأزل

أقول : أحاط في الأزل بالأشياء علماً في العلم الإمكاني الراجح قبل كونها في العلم الكوني ، أو أحاط بالعلم الإمكاني الراجح بالأشياء فيه قبل كونها في العلم الكوني ، الذي هو الوجود المقيد المتساوي والعلمان هما في الإمكان فلم يزد في ذاته بكونها علماً ، لأنَّ العلم الحاصل بوجودها لا يلحق بذاته فلا تزيد ذاته علماً بوجودها لأنَّ هذا العلم لم يكن تعالى في الأزل فاقداً له في ملكه في الإمكان ، ولو كان مراده عليه السلام أنّه أحاطَ بها في الأزل لكانت حاصلة له في الأزل .

فإن قلتَ : هي حاصلة له في الأزل حصولاً جمعيّاً وحدانيّاً غير متكثر ولا متغيّر كما قاله المصنف قبل وهنا مراده وبعد .

فأقول : هذا الحصول الجمعي هو ذاته أو غيره بمعنى أنّه يعلم أنّ فيه غيره أو لم يعلم ، فإن كان يعلم فهو محدث تعالى الله لأنه ليس بصمد ، بل فيه مدخل لغيره ، وإن كان لا يعلم فلا يكون علمه متعلّقاً بشيء غيره إلّا أن يقول : إنّها عينه تعالى فهو بذاته عالم بذاته وهذا كالأول في الفساد خلافاً لأهل الخلاف القائلين بأنّا عينه تعالى كما قاله ابن عربي[1] في الفصوص في شعره :

---

(١) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي . =

فَلَولاهُ وَلَولانَا لَمَا كَانَ الَّذِي كَانَا
فَإِنَّا أَعبُدٌ حَقّاً وَإِنا اللهُ مَولاَنَا
وَإنا عَينُهُ فَاعلَم إِذَا مَا قِيلَ إِنسَانَا

وأيضاً : إذا حصلت له حصولاً جمعياً وحدانياً وهو علمه بها في الأزل فهل يعلم في الأزل بما نعلمها نحن به ، بأن تكون حاصلةً له حصولاً فرقيّاً متكثراً متغيّراً متبدّلاً كما يحصل لنا أم لا ، فإن حصلت له حصولاً فرقيّاً كذلك فنقول :

أولاً : لِمَ خصصتَ حصولها بالحصول الجمعي وهي حاصلة له بالحصولين ؟

وثانياً : هل هذا الحصول الفرقيّ المتغيّر بمعزل عن ذاته في الأزل أم في ذاته ، فإن كان بمعزل اختلف وإن كان فيه تركب ، وإن لم تحصل له حصولاً فرقيّاً كنّا علِمنَا منها ما لم يعلم منها والله سبحانه أخبر في كتابه بإنكاره على من يظنّ ذلك .

فقال : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(١) ، وقوله عليه السلام : (**علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بها بعد تكونها**) .

= ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .
مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .
انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

(١) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

فإن قيل : إنه عليه السلام أراد بهذا معنى الأوّل على ما توهّمه المصنف ففيه ما تقدم ، وإن كان على ما نقوله ، فالمراد بعلمه بها قبل أن يكوّنها هو العلم الإمكاني الراجح الوجود الذي ذكرناه فيما مضى من كلامنا ، وهو العلمُ المستثنى منه في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾(١) ، وقوله : (**كعلمهِ بها بعد تكوّنها**) في العلم المستثنى في الآية وهو الكوني المتساوي .

ومعنى الكلام أنه يعلمها في العلم الإمكاني ، أي يعلمها بإمكانها يعني أنّها ممكنة ، فعلمه بأنها ممكنة في مشيئته على أي وجه شاء لا أنها واجبة ولا ممتنعة هكذا في إمكانها ، قبل أن يكوّنها وبعد أن كوّنها هي على ما هي عليه قبل التكوين من إمكانها وجريانها وانقيادها لإرادته لم تختلف حالة إمكانها وانقيادها لما يريد بعد تكوينها ، فهي على حالتها الأولى قبل تكوينها فـ (**علمه بها قبل كونها كعلمه بها بَعْدَ كونِها**) .

ووجه آخر : قال العلماءُ العارفون : إنَّ المشبَّه في القرآن وفي كلام أهل العصمة عليهم السلام نفس المشبّه به ، وهو كلام متين قد أقمنا عليه البرهان في مُباحثاتنا بحيث لا يشكّ فيه من له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ، وعليه يكون المعنى أنَّ علمه تعالى

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

بها قبل كونها عينُ علمه بها بعدَ كونِها ، فإذا قلنا : إن المراد من علمه بها قبل كونها هو العلم الإمكاني لا العلم الكوني ، لأنّه أي الكوني لا يوجد إلّا حال كونها كان المعنى أنّ علمه بها قبل كونها هو علمه بها بعد كونها . أي بعدَ فناء كونها لأنّها إذا فَنِيَتْ أكوانُهَا رجعت إلى إمكانها .

أو نقول : إنها حين لم تخرج عن إمكانها ، بل هي على ما هي قبل من الانقياد لأمره ، وفعله فيكون المعنى علمه بها قبل كونها نفسُ علمه بها بعد كونها ، أي بعد أن كوّنها يعني حين كونها مكوّنة .

وقول بعض : إنَّ المعلول الواجب الوجود عند حصول علّته التّامة فهي حين كونها واجبةٌ وإن كان وجوبها بالغير كلام قشري لأنها لا تخرج بذلك عن كونها ممكنة ، انظر إلى قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾[(١)] ، ثابتاً لا يتغيّر وإن تغيرت علّة وجوده لأنّه تعالى سببُ من لا سببَ لَهُ ، وسببُ كلّ ذي سبب ، ومسبّب الأسباب من غير سبب .

فإن قلتَ : هذا ينقض ما قرّرتَ بأنه لا يكون عنه شيء من ذاته بدون فعل .

قلتُ : هذا يقرّر قولي لأنّ قوله عليه السلام : **(يا سببَ من**

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٤٥ .

لا سببَ له)[١] يعني أنه يسبّب الأسباب لمن يشاء من غير أن يكون الشيء مقتضياً للتسبيب ، فإنَّ الشيء قد يكون لذاته غير مقتض لانبعاث سببه بقابليته أو لعدم قابليته ، فإذا شاء تعالى وله الحمد سبّب له سبباً ، فكان الشيء بذلك السبب مقتضياً بقابليته الحاصلة له من نفسه بعلّة حصول السبب له وهو على كلّ شيء قدير .

وأمّا أنّ المفعول يستحيل حصوله عن فاعله بغير فعل ، فممّا لا شكّ فيه ومن الأمور الدالّة على أنّ العلّة الملكيّة والملكوتية والجبروتية إذا كانت تامّة فليست تامّة إلّا بإرادته ، لأن الأشياء حين خلقها سبحانه لم يستقلّ في نفسها وأفعالها بالوجود والبقاء إلّا بأمره ، بل هي في نفس الأمر وما يصدر عنها من الأفعال قائمة بفعل الله سبحانه وإرادته قيامَ صُدور ، فهي أبداً طريّة ومثالها كالصورة في المِرآة ، فإنها قائمة بمدد ظهور المقابل قيام صدور ، فمن ذلك نار النمرود حين ألقى فيها إبراهيم على محمد وآله وعليه السلام لم يمدّ إحراقَها لإبراهيم عليه السلام خاصة وكان

---

(١) في تاريخ علي بن أنجب المعروف بابن الساعي أنه من واظب على هذا الدعاء تيسر له الرزق وتسهلت له أسبابه : **(اللهم يا سبب من لا سبب له يا سبب كل ذي سبب يا مسبب الأسباب من غير سبب صلّ على محمد وآل محمد واغنني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك يا حي يا قيوم)** مصباح الكفعمي : ١٧٠ .

الطائر يمرّ عليها في الهواء فيحترق لمّا قال لها : ﴿ كُونِي بَرْدًا﴾ يعني لم يأذن لها في إحراق إبراهيم عليه السلام حتى أنه لو لم يقل : ﴿ وَسَلَامًا ﴾[1] لأحرقه بردُهَا ولو كان إحراقها بغير الله تعالى أي بغير فعله لاحترق إبراهيم عليه السلام .

فكون الواجب الوجود لوجود علّته لم يخرج بذلك عمّا هو عليه من الإمكان ممّا لا ريبَ فيه ، فليس شيء يصحّ إطلاق الشيء بالذات عليه إلّا الله سبحانه وبالغير إلّا فعله وخلقه ، فالواجب تعالى واجب لذاته والممكن ممكن به تعالى لا بذاته كما يتوهمّه من لم يوجده الله تعالى نفسه .

قال : وكقوله عليه السلام : (علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين وعلمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السفلى)[2] .

أقول : هذا العلم هو العلم الحصولي والحضوري ، فإن كلّ شيء حاصِلٌ له وحاضر لديه ، كلّ فيما أقامَهُ فيه من مكانِه ووقته ، لأنّه لم يكن في الأزل خلواً من ملكه في الإمكان إذ ليس عنده استقبال فهي ملكه يعلمها بما هي عليه وما هي عليه هو علمه بها ، وما هي عليه حالتان :

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٦٩ .

(٢) نهج البلاغة : ٢ / ٦٧ الخطبة ١٦٣ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠٧ ح ٣٥ .

الأولى : كلها واحدة ، وهي كونها خلقه ووجوداتها خلقها من هيئة فعله واخترعها لا من شيء فهي من هذه الجهة شيء واحد .

طور الوجود غير المعروف وكيفية اشتقاق الموجودات

وقولي : شيء واحدٌ أريد به اشتراكها في الوجود اشتراكاً لفظيّاً لأنّ الوجود له طور غير ما يعرفونه ، وأنا أشير إليه على جهة الاختصار لينتفع به أولو الأبصار ، وذلك أنَّ الله سبحانه خلق بفعله الوجود وهو الماء الذي به حياة كلّ شيء وهو نور محمد وأهل بيته الثلاثة عشر عليهم السلام ، لم يخلق منه شيئاً غير هم ولم يبق منه شيء بعد وجودهم . وكان تعالى قد ملأ به العمق الأكبر في المرتبة الثانية من الإمكان ، وهو الوجود الكوني على الحقيقة الأولى ، وخلق تعالى من فاضله يعني من شعاعه نوراً وسمّاه وجوداً . كما سمّى نور الشمس بالشمس وقسمه مئة وأربعة وعشرين ألف قسم[1] ، وذلك بعد خلق الأول بألفِ دهر

---

(١) كما في الحديث الشريف ، ولفظه كما في الاختصاص بإسناده عن محمد بن سنان قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فذكرتُ اختلاف الشيعة فقال : **(إنّ الله لم يزل فرداً متفرداً في الوحدانيّة ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم ما شاء ، وفوّض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرّف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق لأنهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية ، فهم أبوابه ونوّابه وحجّابه يحلّلون ما شاء ويحرّمون ما شاء ، ولا يفعلون إلّا ما شاء ،=**

فجعل كلّ حصة منه روح نبي ورسول ، ثم خلق من فاضل هذا النور يعني من شعاعه نوراً بعده بألف دهر ، فخلق منه أنوار المؤمنين ، ثم خلق من شعاع أنوار المؤمنين وأرواحهم أرواح الملائكة والجانّ من مؤمنيهم ، ثم خلق من شعاعه أرواح الحيوانات ومن فاضل الحيوانات النباتات ومن فاضل النباتات المعادن ومن فاضل المعادن الجمادات ، وخلق من بين كلّ اثنين برزخاً ذا جهتين .

وكما اشتق وجود الأدنى من وجود الأعلى اشتق من اسم الأعلى اسم الأدنى ، فإطلاق الوجود على هذه الألفاظ بأوضاع متعدّدة كلّما وجد واحد وضع له اسم الوجود فأوضاعها حقيقةٌ بعد حقيقة هكذا لا حقيقة ومجاز ولا أن كلها بوضع واحد فيكون اشتراكاً معنوياً لأنَّ الأول وجد وسُمي بهذا الاسم ولم يوجد الثاني ، وحين وجد لم يكن من الأول ليستحق اسمه بالوضع الأول ولا أنّها في مشهد واحد وطينة واحدة ، ليوضع عليها من باب المشكك فافهم .

= ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧] **فهذه الديانة التي مَن تقدّمها غرق في بحر الإفراط ، ومن نقّصهم من هذه المراتب التي رتّبهم الله فيها زهق في بحر التفريط ولم يعرف آل محمّد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم)** الكافي : ١ / ٤٤١ ح ٥ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٩ ح ٢١ ـ ٤٤ ، ومجمع النورين للمرندي : ٢٤ ، وموسوعة أحاديث أهل البيت : ٢ / ١٩٥ ح ١٦٥ .

والحاصل فالحالة الأولى هي كونها خلقه خلقها لا من شيء في كلّ رتبة فكلّها واحدة فيعلمها تعالى هنا بما هي عليه من هذه الوحدة ، كما مثّلنا سابقاً بالسرير والباب والكرسي والسفينة وهي حالة الاجتماع والاتحاد في المادة .

والحالة الثانية : ما هي عليه من حيث قوابلها وقيودها المشخّصة لها من الكم والكيف والمكان والوقت والجهة والرّتبة والوضع وغير ذلك ، فهي متعددة متمايزة فيعلمها تعالى بتعدّدها وتمايزها فالأولى كالحروف في المداد والثانية كالحروف المكتوبة في القرطاس ، فله بها علمان كلّ واحد منهما حصل بحصول رتبته ويعلمها بلا تقدّم وتأخّر وبتقدّم وتأخّر و﴿ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1] .

قال : وكقول الباقر عليه السلام : (كان الله ولا شيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه)[2] .

أقول : بيان هذا يعلم مما قبله .

قال : وكقوله عليه السلام : (لا كان خلواً من الملكِ قبل إنشائه ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه)[3] .

---

(١) سورة هود ، الآية : ٦ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠٧ باب صفات الذات ح ٢ ، وتوحيد الصدوق : ١٤٥ ح ١٢ .

(٣) الكافي : ١ / ٨٩ ح ٣ ، والبحار : ٢٨ / ٢٤٢ ، وج ٥٤ / ١٥٩ ح ٩١ .=

أقول : القَبلية هنا والبعدية راجعة في الحقيقة إليها في أنفسها ، فإنَّ ما سيكون بعد ألف سنة لم يكن عندنا ، لأنَّ زمانه الآن لم نصل إليه ونحن سائرون إلى الآخرة ، ولا بدّ أن نصل إليه أحياء أو أموَاتاً لأنّا في سفينة المكان والسفينة في نهر الزمان ، فهو يسير بنا ونحن قاعدون . أما شعرتَ أن أمسِ الماضي كان هو يومنا ويومنا هذا ونحن في الأمس هو غَدُنا ، فسار بنا نهر

= وتمام الحديث : عن أبي بصير قال : جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له : أخبرني عن ربك متى كان ؟ فقال : (**ويلك إنما يقال لشيء لم يكن : متى كان ، إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كون ، كيف ولا كان له أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لمكانه مكاناً ولا قوي بعد ما كون الأشياء ولا كان ضعيفاً قبل أن يكون شيئاً ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً ولا يشبه شيئاً مذكوراً ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه ، لم يزل حياً بلا حياة وملكاً قادراً قبل أن ينشئ شيئاً وملكاً جباراً بعد إنشائه للكون ، فليس لكونه كيف ولا له أين ولا له حدّ ولا يعرف بشيء يشبهه ولا يهرم لطول البقاء ولا يصعق لشيء بل لخوفه تصعق الأشياء كلها كان حياً بلا حياة حادثة ولا كون موصوف ولا كيف محدود ولا أين موقوف عليه ولا مكان جاور شيئاً ، بل حي يعرف وملك لم يزل له القدرة والملك أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته ، لا يحد ولا يبعض ولا يفنى ، كان أولاً بلا كيف ويكون آخراً بلا أين و﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، ويلك أيها السائل إن ربي لا تغشاه الأوهام ولا تنزل به الشبهات ولا يحار ولا يجاوزه شيء ولا ينزل به الأحداث ولا يسأل عن شيء ولا يندم على شيء ولا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**) .

الزمان عن يومنا حتى كان أمس إلى غدنا حتى كان يومنا ، فالمستقبل عندنا لم يكن وكان عند الله في وقته لا في ذاته تعالى ، كما يتوهمه من لم يفهم أو لم يوفّق لفهمه قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ ﴾(١) ، فالمراد من قبل إنشائه كالغد عندنا وبذهابه كأمس عندنا لا أنّ المراد أنّه يذهب بالكلية أين يذهب لو جاز أن يخرج شيء عن ملكه لذهب ملكه ، قال تعالى : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾(٢) ، والمعنى في كلّ الأحاديث كما سمعت ممّا كتبناه لك فخذ ما آتيتك بقوّة ولا تقل :

وَكلٌّ يَدَّعِي وَصلاً بِلَيلَى ... وَلَيلَى لا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكا

لأنّي أقولُ كَما قال فِي الجواب :

إِذا انبَجَسَت دُمُوعٌ فِي خُدُود ... تَبَيَّنَ مَن بَكَى مِمَّن تَباكَى(٣)

علم الله تعالى ولا معلوم متّحد

قال : وكقول الصادق عليه السلام : (لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور فلمّا أحدث الأشياء وكان

---

(١) سورة المعارج ، الآيتان : ٦ ، ٧ .

(٢) سورة ق ، الآية : ٤ .

(٣) بحار الأنوار : ٣٥ / ٧٧ ح ١ وفيه : إذا انسكبت .

المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور)(١) .

أقول : قد تقدم بعض الكلام على معنى هذا الحديث ، والعجب من الملّا(٢) كيف أورد هذا الحديث الذي بظاهره ينفي ما قرّره ولكنه إنّما أورده لشبهة عرضت له وهي قوله عليه السلام : (**والعلم ذاته**) فإنه فهم منه أن العلم لا معنى له إلّا ما

---

(١) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .
ولفظه في التوحيد : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور**) قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟
قال : (**إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم**) .

(٢) هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ـ كذا قيل ـ ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

كان المعلوم معه أو هو المعلوم ، ولم يتفطن إلى قوله عليه السلام : (**ولا معلوم**) لأنّه فهم من معنى ولا معلوم متعدّد متكثر ، وأمّا المعلوم المتّحد اتّحاداً جمعيّاً فلم ينفه الإمام عليه السلام ، وقد غفل عمّا نبّهنا عليه سابقاً مراراً أنه إن كان يعلم في الأزل المتّحد ولم يعلم المتعدّد لم يكن عالماً مطلقاً في الأزل ، فإمّا أن يعلمهما معاً ولا يوافقه قوله عليه السلام ولا معلوم ، أو لا يعلمهما معاً فلا يكون عالماً ولا يوافقه قوله عليه السلام : (**والعلم ذاته**) فعلى ما ذهب إليه من طريقة المتصوّفة من القول بوحدة الوجود تكون الأشياء كلّها في الأزل باعتبار كما قال شاعرهم :

كُلّ شَيء فِيهِ مَعنًى كُلّ شَيء فَتَفَطَّن وَاصرِف الذِّهنَ إلَيّ
كَثرَةٌ لا تَتَنَاهَى عَدَداً قَد طَوَتها وَحدَةُ الوَاحِدِ طَيّ

ومراده هو مراد الشاعر ، ومثال مرادهم كالشجرة فإنّها باعتبار أنها شجرة واحدة لا تقبل القسمة فهي كالحق ، تعالى عما يقولون علوّاً كبيراً وباعتبار الأصل والأغصان والورق والثمر كثيرة فهي كالخلق ، ولكنّك تقول هذه الشجرة الواحدة فتطوي هذه الوحدة تلك الكثرة طواهم الله في نار جهنّم طيّاً .

وبالجملة : فالحديث لا يناسب له الاستشهاد به ولا ذكره فإنه عليه السلام قال : (**والعلم ذاته ولا معلوم**) .

ثم قال : **(فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم)** ، فلا أدري ما يقول هذا الواقع عليه حين وجد هو ذاتُ الله أم فعله ؟ .

فإن قال : ذاته كفر ، وإن قال فعله بطل جميع ما ذكر ، وإن قال : لم يقع شيء ردّ قول الإمام عليه السلام وهو ردّ لقول الله تعالى ، مع أنّا قدّمنا أنَّ العلم المرتبط بالمعلوم الواقع عليه لا يحصل للعالم إلّا مع المعلوم ، كما نقلنا من التوحيد(١) عن حماد بن عيسى قال : سألتُ أبا عبد الله عليه السلام فقلتُ : لم يزل الله يعلم ؟ .

قال : **(أنّى يكون يعلم ولا معلوم ؟)** .

قال : قلتُ : فلم يزل الله يسمع .

قال : **(أنّى يكون ذلك ولا مسموع ؟)** .

قال : قلتُ فلم يزل يبصر ؟

قال : **(أنّى يكون ذلك ولا مبصر)** ؟ .

---

(١) هو للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

ثمّ قال : (لم يزل الله عليماً سميعاً بصيراً ذات علامة بصيرة)(١) انتهى .

وقد تقدّم ، وهذا ظاهر لمن طلب العلم والهدى .

صفات الربوبيّة والإلهيّة والعالميّة والخالقيّة والسميعيّة عين الذات

قال : **وكقول الكاظم عليه السلام : (لم يزل الله تعالى عالِماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء)(٢) .**

أقول : يراد بهذا العلم المرتبط بالأشياء ، إمّا العلم الذاتي والتعلق في الحدوث بوقوع الفعلي على المعلوم ، فكما قال الصادق عليه السلام : **(كان الله عزّ وجلّ ربنا والعلم ذاته ولا**

---

(١) توحيد الصدوق : ١٣٩ ح ٢ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧٤ ح ١٩ ، وتفسير نور الثقلين : ٣ / ١٣٥ ح ٦١ ، ونور البراهين للجزائري : ١ / ٣٥٣ ح ٢ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ٤ ، وتوحيد الصدوق : ١٤٥ ح ١٣ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٨٨ ح ٢٥ .

ولفظه في التوحيد : عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عزّ وجلّ : أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكوّنها أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عند ما خلق وما كوّن عند ما كون ؟ فوقّع عليه السلام بخطه : **(لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء)** .

معلوم) ، إلى أن قال : **(فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم . . الخ)** ، لأن الوقوع والتعلّق لا يكونان بغير شيء وهو أي الواقع على المعلوم العلم الفعلي الذي في رواية حمّاد بن عيسى في قوله عليه السلام : **(أنّى يكون يعلم ولا معلوم ؟)** وأمّا العلم الإمكاني فكما ذكرنا قبل فراجع .

قال : وكقول الرضا عليه السلام : **(له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب وحقيقة الإلهيّة ولا مألُوه ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق وتأويل السمع ولا مسموع ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائيّة كيف ولا تُعيّنه مذ ولا تدنيه قد ولا تحجبه لعلّ ولا توقّته متى ولا يشمله حين ولا يقارنه مع)**[١] .

أقول : قوله عليه السلام : **(له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب)** ، يراد أنّ الربوبيّة صفة الربّ وهو صفة فعل ، فلا يوصف بالربوبيّة لأنّها محدثة صفة المربّي للشيء والمالك له ، فهي صفة أسمَاء الفاعلين والذات البحت لا توصف بذلك ، نعم توصف بمعناها وهي العلم والقدرة والغنى المطلق وحقيقة الإلهية ، هي معنى

(١) والحديث طويل وفيه : **(. . ولا تشمله حين ولا تقارنه مع إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها ، منعتها منذ القدمة وحمتها قد الأزلية)** انظر توحيد الصدوق : ٣٨ ، ومعاني أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٧ ، وأمالي الطوسي : ٢٣ ح ٢٨ .

الربوبيّة ومعنى العالم إذا أريد منه التعلق والوقوع والمطابقة معنى الربوبية وتأويل السمع ولا مسموع كالعالم ، يعني إذا أريد به ذلك لأن السمع والعلم إذا لم ترد بهما السمع والعلم الفعليّان هما عين الذات بلا تأويل ، كما مثّلنا سابقاً وكذا القدرة .

وأمّا الخالق فاسم فاعل وهو صفة فعل كذلك ولا يصح أن يوصف الواجب تعالى ، نعم يوصف بمعناه وهو معنى الربوبيّة والإلهيّة ، والمراد من كون العلم والقدرة والغنى المطلق معنى صفات الأفعالِ أنَّ الفِعل ينشأ عن العالم به والقادر عليه وذكر الغنى المطلق لبيان أنَّ معنى الربوبية والإلهية والخالقية وما أشبهها إنما توصف بها الذات البحت إذا كان معناها الذي هو العلم والقدرة يراد منه ما هو الغنى المطلق ، إذ قد تكون لنا معنى الخالق مثلاً وهو علمنا وقدرتنا المفتقران إلى الغير ، وهذا المعنى لا يوصف به تعالى وإنّما يوصف به معنى ذلك الذي هو الغنى المطلق ، يعني أنّه تعالى يوصف بعلم هو نور لا ظلمة وقدرة هو نور لا ظلمة فيه وقوله عليه السلام : (**ليس منذ خلق استحق معنى الخالق**) ، يريد أنه تعالى استحقَّ معنى الخالق قبل أن يخلق الخلق ، لأن معنى الخالق هو ذاته ، وخلق إنّما حصل له مع المخلوق وإنْ تقدّمَ عليه ذاتاً .

ومعنى كون العلم والقدرة المطلقَين معنى الخالق ومعنى سائرِ صفاتِ الخلقِ أنّهما منشأُ خلقَ وأنشأ وما أشبههما من صفات

الأفعال كما قال الصادق عليه السلام على ما في الكافي[١] عن عاصم بن حميد في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلتُ لم يزل الله تعالى مريداً ، قال : (**إنَّ المريد لا يكون إلّا المراد معه لم يزل عالماً قادراً ثم أراد**)[٢] انتهى .

فبيّن عليه السلام أنَّ معنى الإرادة العلم والقدرة لأنهما منشأ الإرادة ، لأن المريد لا تكون عنه الإرادة إذا كان عالماً بالمراد قادراً عليه .

وكذلك معنى البرائيّة التي هي صفة موجد أعيان الأشياء ، كما أنَّ الخالقيّة صفة مُوجد أكوان الأشياء ، فإن برأ إنّما اتصف به اتّصافاً فعليّاً لم يحصل له إلّا مع أحداث أعيان الأشياء ، وقوله : (**كيف ولا تعيّنه مذ**) ، أي لا يجوز أن يتّصف بالخالق الذي لا يتعيّن إلّا بالابتداء ولهذا يجوز أن يقال : خلقه مذ أول الدَّهرِ فلا يجوز عليه التوقيت فإذا ثبت أنه خلق دلّ على اتّصافه

---

(١) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور .
كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .
توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠٩ ح ٢ باب الإرادة بأنها من صفات الفعل ، وتوحيد الصدوق : ١٤٦ ح ١٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٣٩٧ ح ٩٧ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٣ / ٢٦٤ ح ١ .

لذاته بالعلم والقدرة اللذين عنهما صدر خلق ، (**ولا تدنيه قد**) لأنها لتحقيق ما لم يكن متحقّقاً قبل ذلك ، (**ولا تحجبه لعلّ**) ، لأن لعلّ للتّرجي الذي هو توقع الاستكمال لمن يمكن له قبل أن يحصل له ، (**ولا توقّته متَى**) لأنّ متى إنّما هي للسؤال عن الوقت والموقّت لذاته متوقّف في وجوده وكماله على ذلك الوقت ، (**ولا يشمله حين**) لأنَّ حين وقت من الدهر فإذا جاز أن يشمله دل على كونه محاطاً بالدهر ، لأن الدّهر قبله وبعده فيكون وجوده مقيداً بذلك ، (**ولا تقارنه مع**) ، لأن المقارن مع شيء يساويه ذلك الشيء ، فيما قارنه فيه وليس كاملاً مطلقاً ، بل بالإضافة إلى غير ذلك الشيء فهو ناقصٌ في حال وهو كونه أكمل من غيره لأنه إذا فرض له جواز أن يكون أكمل ممّن سواه وحصل معه في ذلك غيره نقص عما جاز له من التفرّد بالكمال .

ولمّا كانت هذه الصفات التي هي الربوبيّة والإلهيّة والعالميّة المقترنة والخالقيّة والسميعيّة ، وما أشبَه ذلك من الصفات المقتضية للاقتران والمعيَّة والمطابقة واللزوم لا يجوز إلّا على من تعيّنه الصفة الابتدائية وتقرب منه الهيئة ويحجبه الطلب ويصحبه الوقت ويحيط به الدّهر ويقترن به الغير ، وكان تعالى مبرءً من هذه الصفات ، منزّهاً عن هذه الحالات ، وكان قد صدر عنه مقتضياتها ولوازمها دلّ ذلك على أنه كان متّصفاً بمعانيها التي نشأت هذه المبادىء عنها لذاته .

ولما كان التغاير والاختلاف موجباً للحدوث والفقر والتركيب دلّ على أنّ تلك الصفات التي هي تلك المعاني ليست شيئاً غير ذاته وإلّا لزم الحدث كما دلّ أول هذا الحديث في قوله عليه السلام : (**لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف وشهادة الصفة والموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث**)[1] ، ولمّا كانت تلك الصفات المقتضية للاقتران صادرة عنه تعالى دلّ على أنّها صفات أفعال له لأنه تعالى كان ولا شيء معه وموجب التفرد له تعالى هو ذاته ، فيجب أن يكون أزَلاً وأبداً ، كذلك فكانت المقترنة صفات أفعاله ، فأبان عليه السلام في هذا الحديث الشريف ما هو الواقع ولا يُنبِّئُكَ مثل خبير ، ولو تفطّن الملّا في هذا الحديث ما أوردَهُ لما تضمّن وصرّح بنقض جميع ما أبرم والسلام على من اتبع الهدى .

---

(١) قال عليه السلام في حديث طويل : (**أول الديانة معرفته وكمال المعرفة توحيده وكمال التوحيد نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جميعاً على أنفسهما بالبينة الممتنع منها الأزل ، فمن وصف الله فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن عدّه فقد أبطل أزله ، ومن قال : كيف فقد استوصفه ، ومن قال : على مَ فقد حمّله ، ومن قال : أين فقد أخلى منه ، ومن قال : إلى مَ فقد وقّته ، عالم إذ لا معلوم ، وخالق إذ لا مخلوق ورب إذ لا مربوب وإله إذ لا مألوه ، وكذلك يوصف ربنا وهو فوق ما يصفه الواصفون**) انظر توحيد الصدوق : ٣٤ باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٢ ، وأمالي المفيد : ١٥٤ ح ٤ ، والاحتجاج للطبرسي : ٢ / ١٧٤ .

خاتمة

قال : هذا ما أردنا إيراده في هذا المختصر وهو لباب الكلام في هذا المقام للمتوسطين من ذوي الأفهام ، ومن أراد الزيادة عليه وأعلى منه فليطلبه من كتابنا الموسوم (بعين اليقين) فإنّ فيه أسراراً لا يحتملها الأكثرون ولا يمسّها إلّا المطهرون ، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين .

في نهي الأئمة عليهم السلام عن الكلام في ذاتِ اللّه

أقول : قوله : وهو لباب الكلام في هذا المقام ، يعني لباب كلام الصوفيّة في الكلام على علم الله تعالى الذي هو ذاته ، فإنّهم كيّفوا علمه ووصفوه .

وأمّا أئمتنا عليهم السلام فإنهم نهوا عن الكلام في ذاتِ الله ، ففي التوحيد بسنده عن أبي بصير قال : قال أبو جعفر عليه السلام : (**تكلّموا في خلق الله ولا تكلّموا في الله فإن الكلام في الله لا يزيد إلّا تحيّراً**)[1] .

وفيه بسنده إلى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**تكلموا فيما دون العرش ولا تكلّموا فيما فوق العرش فإنّ**

---

(١) الهداية للصدوق : ١٤ ، وتوحيد الصدوق : ٤٥٤ باب النهي عن الكلام والجدال والمراء في الله عزّ وجلّ ح ١ .

قوماً تكلّموا في الله عزّ وجلّ فتاهوا حتّى كان الرجل يُنادى من بين يديه فيجيبُ من خلفه ويُنادى من خلفِه فيجيبُ من بين يديه)(١) .

وفيه عن عبد الرحيم القصير قال : سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التوحيد فرفع يديه إلى السماء وقال : **(تعالى الجبّار أنّ مَن تعاطَى ما ثَمّ هلك)**(٢) .

وفيه عن فضيل بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : دخل عليه قوم من هؤلاء الذين يتكلّمون في الربوبيّة فقال : **(اتّقوا الله وعظِّموا الله ولا تقولوا ما لا نقول فإنكم إن قلتم وقلنا متّم ومتنا ثم بعثكم الله وبعثَنا فكنتم حيثُ شاء الله وكنّا)**(٣) انتهى .

والأحاديث عنهم عليهم السلام لا تكاد تحصى في ذلك ، والكلام في علم الله الذي هو ذاته فهو كلام في الله فمن علم بذلك وتكلّم في علمه الذي هو ذاته فإنه لم يأتمّ بهم بل جانبهم واتّبع أعداءهم الصوفية كما نطقَت به أحاديثهم .

---

(١) التوحيد : ٣٠٩ ح ٧ باب ٦٧ ، ومحاسن البرقي : ١ / ٢٣٨ ح ٢١١ ، ووسائل الشيعة : ١٦ / ١٩٨ ح ٢١٣٣٩ ، ومستدرك الوسائل : ١٣ / ٢٤٨ ح ١٤٠٢٠ .

(٢) توحيد الصدوق : ٣٠٦ ح ٧ ، وأصول الكافي للكليني : ١ / ٩٤ ح ١٠ ، ووسائل الشيعة : ١٦ / ١٩٦ ح ٢١٣٣٢ .

(٣) توحيد الصدوق : ٣١١ باب النهي عن الكلام والجدال والمراء في الله عزّ وجلّ ح ١٥ .

وقوله : فليطلبه من كتابنا الموسوم بعين اليقين ، الخ .

أقول : هذا الكتاب وغيره من سائر كتبه كلها مثل ما في هذه الرسالة يسقي بماء واحد ليس فيها كلّها شيء ، بل حرفٌ واحد من مذهب أهل البيت عليهم السلام ، بل كلّها من كلام القوم إلّا بعض الأحاديث ينقلها ويصرف معناها إلى مراد القوم ، ولكن يكفيك ما قال أمير المؤمنين عليه السلام : **(ذهب مَن ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضُها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا غايةَ لها ولا نهاية)**[1] انتهى .

---

(١) بصائر الدرجات : ٥١٧ ح ٨ ، والكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩ ، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٢٤٩ ح ٤ .

ونصّه كما في الكافي : . . . عن مقرن قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين : ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ ﴾ [الأعراف : ٤٦] ؟ فقال : **(نحن على الأعراف ، نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يعرفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه . إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا ، فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصم الناس به ، ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها ، لا نفاد لها ولا انقطاع)** .

وأنا أُوصيكَ فيَّ ألّا تَظُنَّ بي أنَّ بيني وبينه شيئاً دعاني إلى الردّ عليه لا ، ولكنّي إذا أردتُ بيان كلامه أُبيِّنُه بما يذهب إليه وإن كنتُ أعتقدُ فسادَهُ أو أُبيِّنُه بما أعتقد ، فإن قلتَ : بل بما تعتقدُ ، فهكذا والله فعلتُ لا غير وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلتُ وإليه أُنيبُ ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلّي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وقع الفراغ من هذه الكلمات ضُحى يوم الجمعة الخامس من شهر ربيع الثاني سنة الثلاثين والمئتين والألف من الهجرة النبوية على مُهَاجرها أفضل الصلاة والسلام بيد مؤلّفها العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي المطيرفي في البَلدِ المحروسة كرمان شاهان ، حامداً مصلياً مستغفراً تائباً .

٢ ـ الرسالة الاعتبارية
في بطلان ما اعتمدوا عليه من الأمور الاعتبارية على جهة القطع واليقين

٢ ـ الرسالة الاعتبارية
في بطلان ما اعتمدوا عليه من الأمور الاعتبارية على جهة القطع واليقين

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد حصل كلام من بعض الطلبة المحصّلين والعلماء العارفين الطالبين للحق واليقين الذين لا يكتفون بالظن والتخمين فيما يذكره أكثر العلماء والحكماء من إثبات الأمور الاعتبارية وغيرها ، وكثرة ما يبرهنون عليها حتى كانت عندهم من المسائل القطعية بحيث كان أكثر من يُعَدّ من المحققين المدققين إذا سمع شيئاً من ذلك أو رآه تلقاه بالقبول ولم ينظر فيه ولم يتدبّر في أدلته ولم يتفهم ذلك ، مع أن تلك المسائل التي اعتمدوا عليها مع أدلتها التي بنوها عليها إذا رجع العاقل إلى الأدلة العقلية والنقلية ، خصوصاً ما دل عليه الكتاب والسنّة من النظر في آيات الله في الآفاق وفي الأنفس وخصوصاً ما أصّله أئمة الهدى محمد وأهل بيته الطاهرون صلى الله عليه وعليهم أجمعين مثل قول الصادق عليه السلام : (**العبودية جوهرة كنهها الربوبية ، فما فُقد في العبودية وجد في الربوبية ، وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية قال الله تعالى** : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[١] **يعني موجود في غيبتك وفي حضرتك**)[٢] انتهى .

وقوله عليه السلام : (**كلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مثلكم مخلوق مردود إليكم**)[٣] [٤] انتهى .

ومثل قول الرضا عليه السلام : (**قد علم أولو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلّا بما هاهنا**)[٥] انتهى .

وأمثال ذلك إذا تدبرها تبين له بطلان ما اعتمدوا عليه على جهة القطع واليقين لا يأبى ذلك إلّا مكابر لعقله أو جامد على ما

---

(١) سورة فصّلت ، الآية : ٥٣ .

(٢) مصباح الشريعة : ٧ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧ ، والأصول الأصيلة للفيض الكاشاني : ١٩٣ ، وتفسير الصافي : ٢ / ١١٢١ تفسير سورة السجدة .

(٣) في نسخة أخرى : (**عليكم**) .

(٤) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨ ، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣ ، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦ ، وكتاب الوافي : ١ / ٨٩ ، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠ ، ولفظه قال عليه السلام : (**هل سمّى عالماً قادراً إلّا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوهّم أن لله زبانيتين لأنّهما كمالها وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له**) .

(٥) توحيد الصدوق : ٤٣٨ ، وعيون الأخبار : ٢ / ١٥٦ ، ونور البراهين : ٢ / ٤٧٩ .

آنست به نفسه ، فأحببت أن أنبّه على ذلك أفهام الغافلين بذكر بعض الأدلة الذوقية التي يقطع بها كلّ منصف طالب للحق إذ ليس بعد الحق إلّا الضلال ، وعلى الله سبحانه قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قول المحقق الطوسي والعلامة الحلي في القدم والحدوث

وممن ذكر ما أشرنا إليه فخر العلماء والحكماء المتألهين المحقق الخواجه نصير الدين قال رحمه الله في التجريد : والقدم والحدوث اعتباران ينقطعان بانقطاع الاعتبار ، وقال العلامة الحلي رحمه الله في شرحه[١] : أقول ذهب المحققون إلى أن القدم والحدوث ليسا من المعاني المحققة في الأعيان ، وذهب عبد الله بن سعيد من الأشعرية إلى أنهما وصفان زايدان على الوجود والحق خلاف ذلك ، وأنهما اعتباران عقليان يعتبرهما الذهن عند مقايسة سبق الغير إليه وعدمه لأنهما لو كانا ثبوتيين لزم التسلسل ، فإن الموجود من كلّ منهما إما أن يكون قديماً أو حادثاً فيكون للقدم قدم وكذا الحدوث هذا خلف ، بل عقليان

(١) هو العلامة الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن محمد بن مطهر الحلي .
ولد في عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وست مئة (٦٤٨ هـ) .
توفي في يوم السبت ٢١ محرم سنة ٧٢٦ هـ .

يعتبرهما العقل وينقطعان بانقطاع الاعتبار العقلي ، وهذا جواب عن سؤال مقدر وهو أن يقال إذا كان القدم والحدوث أمرين ثبوتيين في العقل أمكن عروض القدم والحدوث عليهما ، ويعود المحذور من التسلسل وتقرير الجواب أنهما اعتباران عقليان ينقطعان بانقطاع الاعتبار فلا يلزم التسلسل ، انتهى[١] .

وقال في المتن بعد ذلك : ولا يفتقر الحادث إلى المادة والمدة وإلّا لزم التسلسل .

وقال الشارح : ذهب الفلاسفة إلى أن كلّ حادث مسبوق بمادة ومدة ، لأن كلّ حادث ممكن وإمكانه سابق عليه ، وهو عرض لا بدّ له من محل وليس بمعدوم لانتفائه فهو ثبوتي هو المادة ، ولأن كلّ حادث يسبقه عدمه سبقاً لا يجامعه المتأخر ، فالسبق بالزمان وهو يستدعي ثبوته فهذان الدليلان باطلان لأنه يلزم منهما التسلسل ، لأن المادة ممكنة فمحل إمكانها مغاير لها فتكون لها مادة أخرى على أنا قد بيّنا أن الإمكان عدمي لأنه لو كان ثبوتياً لكان ممكناً فيكون له إمكان ويلزم التسلسل ، والزمان تتقدم أجزاؤه بعضها على بعض بهذا النوع من التقدم فيكون للزمان زمان هذا خلف ، انتهى[٢] .

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للحلي : ٨٨ .
(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للحلي : ١٢٣ .

بيان رأي الشيخ الأوحد في القدم والحدوث

أقول : الحق أن القدم والحدوث من المعاني المحققة في الأعيان ، لأن القديم إن لم يتحقق اتّصافه بالقدم في الخارج لم يكن قديماً ، والحادث إذا لم يتصف في الخارج بالحدوث لم يكن حادثاً ولا يلزم في تحققه كونه منفرداً بنفسه غير منضم في تقوّمه وتحققه إلى غيره ، بل يصدق تحققه وثبوته بوجوده في موصوفه ومعروضه ولو كان لا يتحقق ثبوت الشيء وتحققه في الخارج إلّا إذا كان منفرداً عن غيره مستقلاً بنفسه غير منضمّ إلى غيره ، وإلّا فهو اعتباري كانت جميع صفات الواجب تعالى كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر اعتبارية لا تحقق لها في الخارج ، مع أنها عين ذاته وليست منفردة عن ذاته ، بل هي صفات متحدة بذاته ، مع أنه لا يقول أحد بأن شيئاً من صفاته تعالى الذاتية اعتباري لا تحقق لها في الخارج ، كيف وهي عند الكل موسومة بالثبوتية بمعنى أنها ثابتة له تعالى في الخارج لا في الذهن والاعتبار ، فعلمه وقدمه شيء واحد ، فإن كان لو فرض تحقق قدمه وثبوته في الخارج لزم التسلسل المحال لزم التسلسل أيضاً مع تحقق وجوده إذ يلزم أن يكون للوجود وجود .

فإن قيل : إن الوجود وجود بنفسه فلا يستلزم وجوداً غير نفسه .

قلنا : كذلك القدم فإنه قدم بنفسه فلا يستلزم قدماً غير نفسه وكذلك سائر صفات الأزل من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة وما أشبه ذلك .

واعلم أن الأشياء لا يخرج شيء منها عن أحد اتصافين ، إما اتّصاف بقدم أو اتّصاف بحدوث ، ثم الاتّصاف لا يخلو إما أن يكون الاتصاف بوصف ثبوتي متحقق في الخارج ، أو بوصف اعتباري لا تحقق له في الخارج وإنما يعتبر ثبوته في الذهن ، فإن كان الاتّصاف بوصف ثبوتي متحقق في الخارج كان المتصف بالقدم إذا كان ثابتاً له موجوداً معه قديماً ، ولو كان ما اتّصف به إنما ثبت في نفسه وتحقق ذهناً لا خارجاً لم يكن بذلك الاعتبار قديماً ، بل يكون الذهن كاذباً والموصوف بذلك بخصوص الذهن حادث كما إذا اعتبرت كون زيد قديماً ، فإنه حينئذ متصف بالقدم في الذهن مع أنه حادث لم يجعله اعتبارك قديماً ، وكذلك الكلام في الحادث فإن الإمكان والحدوث إن لم يثبت لزيد مثلاً في الخارج ويتحقق بحيث يكون اتّصافه بالإمكان اتّصافاً حقيقياً وجودياً ويكون للوصف وجود متحقق في الخارج كوجود زيد في مطلق التحقق لم يكن زيد ممكناً ، وإن ثبت له الإمكان في الاعتبار بل يكون قديماً واجباً إذ لا واسطة بين الوجوب والإمكان إلّا على ما ذهب إليه المعتزلة[1] من إثبات أحوال ليست قديمة

---

(١) قال الشيخ الحرّ العاملي : قد رويت أحاديث متعدّدة في لعن القدريّة وذمّهم =

ولا حادثة ، فإذا اعتبر الذهن الإمكان لزيد ولم يكن الإمكان موجوداً له في الخارج كان اعتباره كاذباً كما لو اعتبر له الوجوب ، فإن الذهن إنما كان كاذباً حين اعتبر الوجوب لزيد ، لأن الوجوب لم يثبت لزيد في الخارج وإنما اتّصف به في الذهن خاصة ، فكذلك إذا اعتبر الإمكان ولم يكن موجوداً في الخارج لزيد .

وتوهم لزوم التسلسل إذا فرض تحقق الإمكان والحدوث والقدم وما أشبهها توهم فاسد وخيال كاسد ، إذ لا فرق بين تحقق الحدوث والوجوب والوجود والقدم وسائر الصفات للواجب والحادث كالسمع والبصر والحياة والعلم والقدرة والكتابة والخياطة والحركة والسكون وما أشبه ذلك ، فإن لم يثبت

= وكفرهم ، وهم منسوبون إلى القدر ، فإمّا أن يراد بهم من أثبت القدر على وجه الإفراط وهم أهل الجبر ، أو من نفاه على وجه التفريط وهم أهل التفويض ، وقد فسّره العلماء بالوجهين ، وقد يقرأ بضم القاف وسكون الدال نسبة إلى القدرة ، ويوجّه على الوجهين ، والقسم الأوّل الأشاعرة ، والثاني المعتزلة ، والقسمان منكرون للرجعة ، ولم يقل بها إلّا الإماميّة .

وقال المجلسي : الظاهر أنّ المراد بالقدريّة هنا من يقول : إنّ أفعال العباد ووجودها ليست بقدرة الله وبقدره ، بل باستقلال إرادة العبد به واستواء نسبة الإرادتين إليه ، وصدور أحدهما عنه لا بموجب غير الإرادة ، كما ذهب إليه بعض المعتزلة . لا يقول بقول أهل الجنّة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه ، ولا بقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم ، ولا بقول إبليس من إسناد الإغواء إليه سبحانه) مرآة العقول : ٢ / ١٨٤ ح ٤ .

شيء منها خارجاً ولم يتحقق لم يكن الموصوف به متصفاً بشيء ، لأن ما لم يثبت إلّا في الذهن ليس بشيء في الخارج ، فافهم .

وقول المحقق الطوسي(١) في التجريد والعلامة الحلّي في شرحه : إن القدم والحدوث اعتباريان ينقطعان بانقطاع الاعتبار العقلي وإلّا لزم التسلسل المحال فإن الموجود من كلّ منهما ، إما أن يكون قديماً أو حادثاً فيكون للقدم قدم وكذا الحدوث هذا خلف ، ليس بصحيح لما قدمنا من أنه يلزم ذلك عليهم في الوجود فإنه متحقق في الخارج ثابت بلا أشكال ، فيلزم أن يكون له وجود ولوجوده وجود وهكذا فيتسلسل ، والتزامهم بالاعتباري فراراً من لزوم التسلسل يوقعهم في نظيره في الوجود ولا يقدرون على التزام الاعتبار فيه ولا ينفعهم الاعتبار فيما جوزوه فيه

---

(١) هو المحقق خواجة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي . كان فاضلاً ماهراً عالماً متكلماً محققاً في العقليات . له كتب منها : تجريد الاعتقاد ، والتذكرة في الهيئة ، وتحرير كتاب إقليدس ، وتحرير المجسطي ، وشرح الإشارات ، والفصول النصيرية ، والفرائض النصيرية ، وآداب المتعلمين ، ورسالة الاسطرلاب ، ورسالة الجواهر ، ونقد المحصل ، ورسالة المعينية في الهيئة بالفارسية ، وشرحها بالفارسية ، ورسالة خلق الأعمال ، وشرح رسالة العلم للميثم البحراني ، وغير ذلك . يروي عنه العلامة . ولد في ١١ جمادى الأولى سنة ٥٩٧ بطوس ، وتوفي في يوم الغدير سنة ٦٧٢ ودفن في جوار الإمامين موسى بن جعفر والجواد عليهما السلام في المكان الذي أعدّ للناصر العباسي فلم يدفن فيه . انظر أمل الآمل للحر العاملي : ٢٩٩ ، والكنى والألقاب للقمي : ٣ / ٢٠٨ ـ ٢١٠ .

كالقدم ، لأن القديم تعالى ما اتّصف عندهم بشيء ولو اتّصف بشيء لم ينقطع بتصورهم كما لم ينقطع غنى زيد بانقطاع تصورهم لغناه بأن يكون غنياً ما داموا يتعقلونه فإذا قطعوا التعقل كان زيد فقيراً ، وأما الذي يستغني في عقولهم ويفتقر ليس هو زيداً الموجود خارجاً ، وإنما هو الصورة المنتزعة من زيد الذي في الخارج فإنها هي التي يتصل اتّصافها بالغنى في أذهانهم باتصال تصورها ، وينقطع عنها الغنى بانقطاع تصورها ولا يختلف حال زيد في الغنى والفقر باتصال الاعتبار وانقطاعه .

وقول العلامة في الشرح : أمكن عروض القدم والحدوث عليهما ليس بمستقيم ، لأن المعروض أعني القديم والحادث الذهنيين إذا عرض عليه القدم والحدوث الذهنيان الاعتباريان لا يكون مقتضياً ، لأن يعرض القِدم أو الحدوث الخارجيان على القديم والحادث الخارجيين إلّا إذا كان القدم والحادث الذهنيان ومعروضهما انتزعها الذهن الصادق من أصولها الخارجية التي هي منشأ انتزاعها ليكون ما في الذهن فرعاً مبنياً على أصله الخارجي وظلاً انتزاعياً من شاخصه الخارجي ، وحينئذ تثبت دعوى أن القدم والحدوث وما أشبههما من النسب أمور متحققة في الخارج وجودية لا اعتبارية .

وأيضاً قول المحقق الطوسي رحمه الله في متن التجريد كما تقدم نقله : ولا يفتقر الحادث إلى المادة والمدة ، وإلّا لزم التسلسل .

وقوله[١] : ذهب الفلاسفة إلى أن كلّ حادث مسبوق بمادة ومدة ، لأن كلّ حادث ممكن وإمكانه سابق عليه ، إلى آخر ما نقلناه فيما تقدم مثل الذي قبله في عدم الاستقامة ، لأن قوله رحمه الله في رد كلام الفلاسفة ليس بصحيح ، والدليلان اللذان ذكرهما الفلاسفة ليسا بباطلين وإن كانا مبنيين على البحث الذي مستنده المجادلة بالتي هي أحسن ، فإن قوله يلزم منهما التسلسل ليس بصحيح في دليل الحكمة ، بل وفي دليل المجادلة بالتي هي أحسن لمن لطف حسه وصح تمييزه فإنا قد قلنا : إن المادة أصلها الإمكان كما سيأتيك فيما بعد هذا ، وعلى ظاهر الدليل أن الحادث إنما كان إمكانه سابقاً على مادته في الوجود العلمي لا في الوجود الكوني ، فلما اخترع البارىء عزّ وجل المادة لا من شيء على مقتضى الحكمة ظهرت في الكوني بجميع ما يتوقف عليه تكوينها من الأسباب التي هي أركان ماهيتها أعني صورتها ، لأن الماهية عندنا هي القابلية وهي في الخلق الأول الصورة النوعية بجميع أركانها وحدودها ومتمماتها ومكملاتها ، لأن المادة عندنا هي الوجود وهي الماء الذي جعل تعالى منه كلّ شيء حي وهي آدم الأول عليه السلام من المكونات وخلق منه زوجته وهي حواء ، وهي الإمكان في نفس الأمر بالنسبة إلى المشيئة

(١) أي العلامة الحلي رحمه الله .

الإمكانية فالمادة عندنا هي الأب كما حققناه في الفوائد عقلاً ونقلاً والصورة هي الأم فراجعه هناك بخلاف ما توهمه القائلون بالعكس والصورة النوعية في الخلق الأول هي الإمكان الذي ظهر وصفاً للمادة ، لأنه خلق منها كما خلق الانكسار من الكسر وهو صفة الكسر وجزء ماهية الشيء ، فالإمكان بلحاظ الكُنه هو أصل مادة المكوّن الذي خلقت منه كما ذكرناه في الفائدة الخامسة عشرة من الفوائد وبلحاظ الماهية والهيئة المعبر عنها بالقابلية هو صفة المكوّن كما تقول الوجود بلحاظ كنه الشيء هو أصل مادة المكوّن الذي خلقت المادة منه ، وبلحاظ هيئته وقابليته هو صفته فتقول في لحاظ الكُنه : مادته من الوجود الموصوفي والإمكان الموصوفي ، وفي لحاظ الصفة : موجود وممكن وهو الوجود الوصفي والإمكان الوصفي والأشياء كلها بهذا النمط مثلاً النار أصلها حرارة ويبوسة وصفتها حرارة ويبوسة ، إلّا أن الحرارة واليبوسة الموصوفيين جوهران والحرارة واليبوسة الوصفيين عرضان ، كما أن الوجود والإمكان الذاتيين جوهران ، والوجود والإمكان الوصفيين عرضان ، والجوهر الأول خلق لا من شيء والعرض خلق من الجوهر وأول التعين المشيئة ، وأول صادر عن المشيئة الإمكانية ، الإمكان خلقت بنفسها لا من شيء غير نفسها ، وخلق الإمكان من هيئة المشيئة فهو تأكيد لها مثل ضرباً خلق من ضرب فهو تأكيد له ، وهو وإن كان بمنزلة العرض بالنسبة

إلى المشيئة إلّا أنه ذات بالنسبة إلى من دونه تذوّت من دونه بفاضل تذوته وجميع جزئيات الأشياء كلّ واحد خلقت مادته حصة من نوعه الواقع في رتبته وقابليته خُلقت من نفس مادته من حيث هي هي وسائر صفاته وأفعاله وأقواله وأحواله حدود قابليته التي هي ماهيته بالمعنى الأول وبالمعنى الثاني(١) ، وقد أشرت إلى مأخذ أدلة ما ذكرنا في بعض رسائلنا .

ودليل الشارح رحمه الله في بيان بطلان دليلي الحكماء لأنه يلزم منهما التسلسل ، لأن المادة ممكنة فمحل إمكانها مغاير لها فتكون لها مادة أخرى ، هو الباطل لما بيّنا من أن المادة أصلها الإمكان وهي حصة منه لا أنها محل لإمكانها ، لأن الإمكان الذي هي محله في الحقيقة صفتها ، والصفة متأخرة عن الموصوف ، والسابق على المادة هو الإمكان الجوهري ، والمادة حصة من هذا الجوهري كما تقدم فلا تكون المادة محلاً له .

---

(١) في هامش المخطوط : المعنى الأول على ما اصطلحنا عليه هو أن المراد بالوجود والماهية المادة والصور النوعيتان ، والمعنى الثاني هو أن المراد بالوجود كون الشيء أثر فعل الله وصنع الله ونور الله وما أشبه ذلك ، كما أشار إليه عليه السلام بقوله : (**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**) وبالماهية هو الشيء من حيث هو هو . منه أعلى الله مقامه .

هل الإمكان عدمي أم وجودي ؟

وقوله : على أنا قد بيّنا أن الإمكان عدمي ، إلخ ، وأنا أقول : إنا قد بيّنا أن الإمكان ثبوتي وجودي ممكن متحقق ولا يلزم أنه يكون له إمكان آخر لأنه إمكان بنفسه فلا يلزم التسلسل ، وإنما قلنا إنه إمكان بنفسه لأنه في نفس الأمر هيئة المشيئة وتأكيدها فهو منها وهي شيء به كالكسر والانكسار ، فإمكانه منها لأنها ممكنة بنفسها وهو محلها وإمكانها به لتوقف ظهور كونها عليه كما تقدم .

قال في الشرح المسمى بالمفصل على شرح المحصل لفخر الدين الرازي : اعلم أن المتكلمين أنكروا كون الأعراض النسبية أموراً وجودية ، بل زعموا أنها اعتبارات ذهنية لا وجود لها في الخارج ، أما الإضافة فقد احتجوا على كونها كذلك بوجوه :

الأول : أن الإضافة لو كانت موجودة في الأعيان لكانت حالة في محل ضرورة أنها ليست من الأمور القائمة بأنفسها ، ولو كانت حالة في محل لكان كونها في المحل إضافة أخرى عارضة لها فتحتاج هي أيضاً إلى محل ، والكلام فيها كالكلام في الأولى ويلزم التسلسل وأنه محال .

الثاني : لو كانت الإضافة موجودة في الأعيان لزم أن يكون البارئ تعالى محلاً للحوادث ، وبالتالي باطل فالمقدم مثله بيان

الشرطية هو أن كلّ حادث يحدث فإن الله تعالى يكون موجوداً معه وتلك المعية إضافة ، وهي ما كانت موجودة قبل ذلك الوقت ويزول بعده ، فيكون البارئ تعالى محلاً لتلك المعية الحادثة التي هي إضافة .

الثالث : لو كانت الإضافة موجودة في الأعيان لكانت مشاركة لسائر الموجودات في الوجود ، لما ثبت أن الوجود وصف مشترك بين جميع الموجودات ومتميزة عنها بخصوصياتها وما به الاشتراك مغاير لما به الامتياز ، وإذا كان كذلك كان وجودها غير ماهيتها ، لكن الوجود ما لم يتقيد بتلك الخصوصية لم توجد الإضافة في الأعيان ، ويكون ذلك التقييد سابقاً على وجود الإضافة ، لكن ذلك التقييد فإذن لا توجد الإضافة في الخارج إلّا إذا وجد الإضافة قبلها ، والكلام في الإضافة الثانية كالكلام في الإضافة الأولى فيلزم أن لا توجد الإضافة إلّا بعد وجود الإضافات اللانهاية لها وأنه محال ، ولأنه يلزم أن تكون الإضافة موجودة قبل نفسها وأنه دخل في الاستحالة .

والجواب عن الأول : أن تقول : لا نسلم أن الإضافة لو كانت في محل كان حلولها في المحل إضافة أخرى عارضة لها ، وإنما يلزم ذلك أن لو كانت الإضافة مفهوماً آخر وراء هذا الحلول ، وليس كذلك فإن الأبوة العارضة للموضوع مثلاً مفهومها عين مفهوم العروض للموضوع وليس لها مفهوم آخر وراء

ذلك العروض للموضوع ، وإذا كان كذلك لا يلزم أن يكون للعروض للموضوع عروض آخر للموضوع حتى يلزم التسلسل ، وفيه نظر ، لأن حلولها في المحل مشروط بوجودها ونسبة بينها وبين محلها ، والمشروط مغاير للشرط والنسبة للمنتسب .

وعن الثاني : لأن نقول : لا نسلم صدق الشرطية وإنما تصدق أن لو كان معنى قولنا إن الله تعالى موجود مع الحادث المعين كونه موجوداً معه في الزمان أو في المكان وهو ممنوع ، فإن الله تعالى منزه عن ذلك ، بل معنى ذلك صدق الوجود عليه زمان صدق الوجود على غيره من الحوادث ، وذلك لا يوجب إضافة ولا نسبة فلا يلزم قيام الحوادث بذات الله تعالى .

وعن الثالث : إنا لا نسلم كون الوجود وصفاً مشتركاً بين جميع الموجودات وما ذكر من الدليل عليه فقد أجبنا عنه ، ولئن سلمنا كون الوجود مشتركاً لكن لا نسلم أنه يلزم تقدم الإضافة على نفسها ، وإنما يلزم ذلك أن لو كان مفهوم تقيد الوجود بالخصوصية مغايراً لمفهوم الإضافة وهو ممنوع ، بل عندنا مفهوم الإضافة ومفهوم ذلك التقيد واحد .

وفيه ما مرّ من الجواب عن الوجه الأول ، انتهى كلام المفصل(١) .

---

(١) انظر المحصول للرازي : ٥ / ٢٩٩ ـ ٣٠١ المسألة الخامسة ، وكشف المراد للحلي : ٣٦٥ ، وشرح المقاصد : ١ / ٢٨٣ .

أقول : والنظر المدّعى في الجواب عن الأول لا يتوجّه على الجواب ، لأن المراد بالوجود الذي هو شرط هو وجوده لمحله ، لا الوجود الذي به يتحقق وجوده لمحله هو عين حلوله فيه فلا يكون في الجواب قدح ، وأما على قولنا بأن وجوده الذي به هو فليس مراداً إذ ليس له مدخل في هذه الشرطية التي يلزم منها مع فرض مغايرة الوجود للحلول والتسلسل ، إذ شرطية الوجود الذاتي لا يختص بالنسب فلا يكون مراداً في الشرطية .

وأما الجواب عن الثاني فهو جيد على ظاهر القول ، وأما في حقيقة الأمر فهو مثل الاعتراض الثاني في الفساد ، لأن الاعتراض الثاني مبني على كون القديم تعالى موجوداً في الإمكان وأن وجوده مفهوم مدرك كوجود الحوادث ، ولذا شرك المعترض بين وجوده ووجود غيره من خلقه في نفس الوجود وفي نفس المفهوم لجعله وجود الحق تعالى مفهوماً مدركاً محاطاً ، وفي المعية لأنها متفرعة على ذلك .

ووجه كون الجواب مثل الاعتراض في الفساد من قوله : بل معنى ذلك صدق الوجود عليه زمان صدق الوجود على غيره . فسوّى بين الوجود الحق والوجود الحادث الفاني .

والجواب أن يقال : إنه تعالى لا تصح على ذاته المقدسة مطلق المعية بوجه من الوجوه ، وإنما المراد بالوجود الصادق عليه زمان صدق الوجود على غيره هو المعنى الذي يخاطب به

المكلفون الذي هو المعبّر عنه في الفارسية بهست لأنه هو الذي يدركه المكلفون ، والذي يدركه المكلفون ويفهمون معناه ليس هو الوجود القديم المجهول الكنه لكلّ من سواه ، ومراد المجيب في جوابه أنه هو الواجب الحق ولذا قلنا إنه مثل الاعتراض في الفساد .

ووجه كلامنا أنه تعالى مع كلّ شيء بفعله وقيوميته الفعلية ، والدليل على هذا أنه عزَّ وجلَّ قال في كتابه : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾(١) ولما نظرنا في الآفاق رأينا السراج وقرأنا ما ضرب الله تعالى فيه من الأمثال والآيات ، فإذا جميع أشعته المنبثة في الجدران والبيوت قائمة به قيام صدور وقيام تحقق ركني ، لأن الأشعة كلها منتهية إلى الشعلة المرئية ، والشعلة في الحقيقة دخان من الدهن تكلس بحرارة النار واستنار بمسّ حرارتها أي حرارة فعلها ، فالأشعة قائمة بحرارة فعل النار قيام صدور وبالدخان المستنير بمسّ فعل النار قيام ركني ، فليس في السراج شيء من الأشعة وإنما هي منبثة في الجدر والبيوت لكنها متقوّمة بالشعلة المرئية ، فلا يخلو شيء من الأشعة عن فعل النار طرفة عين وإلّا لعدم واضمحل ولم يكن متقوّماً بنفس النار ، فالنار الجوهر أعني الحرارة واليبوسة الجوهريين آية الأزل عزَّ

---

(١) سورة فصّلت ، الآية : ٥٣ .

وجلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(١) ومسّ النار آية فعل الأزل تعالى والدخان المستنير بمس النار آية نور الأنوار والوجود الممكن الراجح ، والماء الذي جعل منه كلّ شيء حي وهو نور محمد وآله صلى الله عليه وآله ، والأشعة مثال سائر الخلائق ، فالمعيّة التي تتحقق بها النسبة والإضافة إنما هي بين فعل الله وبين سائر الحوادث من الغيب والشهادة وهي نسبة إشراقية تثبت بثبوت المنتسب وتزول بزواله .

وأما الجواب عن الثالث فهو حسن وليس فيه شيء كما توهمه صاحب المفصل .

وأما نسبة الشيء إلى الزمان فهي في الحقيقة كنسبته إلى المكان والاعتراض عليه والجواب عنه يعرف مما تقدم .

وكذلك نسبة التأثير إلى المؤثر فإنه قال في الشرح المسمى بالمفصل : الدليل على أن تأثير الشيء في الشيء ليس أمراً مغايراً لذات المؤثر والأثر هو أنه لو كان كذلك لكان عرضاً قائماً بذات المؤثر والأثر ، ضرورة أنه ليس جوهراً قائماً بنفسه مبايناً عن ذات المؤثر والأثر ، ولو كان كذلك لكان مفتقراً إليه فيكون ممكناً لذاته مفتقر إلى مؤثر فيكون تأثيرُ المؤثر فيه أيضاً أمراً آخر مغايراً له

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٠ .

ولمؤثره ، والكلام فيه كالكلام في الأول فيلزم التسلسل وأنه محال ، انتهى(١) .

أقول : التأثير فعل المؤثر ولا يوجد إلّا عند الشروع في الفعل ، والمؤثر ذات موجودة قائمة بنفسها والتأثير حركته ولا تقوم بنفسها فهي مغايرة للمؤثر ذاتاً واسماً ورتبة فدعوى اتحادهما جهل محض خارجة عن مقتضى العقل ، فإن المؤثر يوجد ولم يكن الأثر ، لأن الأثر مثل القيام والتأثير إحداث الأثر ، فإن كان إحداثك القيام هو أنت كان التأثير هو المؤثر ولا شك في ذلك ، ولكن ثبوت مغايرته للمؤثر لا يستلزم التسلسل لما قررنا مراراً بأنه فعل والفعل يحدثه الفاعل بنفسه أي بنفس الفعل كما قال الصادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة**)(٢) ، والفقهاء قد اتفقوا على أن المصلي يحدث الصلاة بالنية ويحدث النية بنفسها فلا يستلزم مغايرة التأثير للمؤثر والأثر تسلسلاً ولا دوراً ، وقد بيّنا ذلك في الفوائد وشرحها وفي غيره .

---

(١) انظر المحصول للرازي : ٦ / ١١٤ ، وكشف المراد للحلي : ٧٥ .

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) . التوحيد : ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ، والكافي : ١١٠ ح ٤ .

وفي رواية : (**خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة**) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

وكذلك مقولة الانفعال قال في الشرح المذكور : لو كان مقولة أن ينفعل التي هي عبارة من قبول الشيء للشيء أمراً زائداً لكان ذلك القبول قائماً عرضاً قائماً بالمحل فتكون موصوفية ذلك المحل بذلك القبول أمراً زائداً على ذلك القبول والكلام فيها كما في الأول ولزم التسلسل وأنه محال ، فهذا جميع دلائل نفاة الأعراض النسبية ، انتهى .

أقول : قد تقدّم جواب مثل هذا بأن نقول : إن القبول زائد على القابل وليس غير الموصوفية وعلى تسليم الغيرية ، فليس للموصوفية موصوفية غير ما هي به موصوفية كما بيّنا مراراً فلا يلزم التسلسل .

وقال في الشرح المذكور : احتج الحكماء على كون هذه النسب أموراً وجوديةً في الأعيان بأن قالوا كون السماء فوق الأرض إما مجرد اعتبار عقلي أو أمر محقق في الخارج والأول باطل ، لأنه لو كان كذلك لكان هذا الحكم ثابتاً قبل الفرض والاعتبار واللازم كاذب ، لأن هذا المعنى حاصل سواء وجد الفرض والاعتبار أو لم يوجد ، ولأن الفوقية قد تحصل للشيء بعد ما لم تكن حاصلة له والفوقية حصلت إذن بعد عدمها .

والحاصل بعد عدمه لا يكون عدمياً وإلّا لكان نفى النفي عدمياً والثبوت عدماً هذا خلف فعلم أن الفوقية صفة وجودية في

الخارج وليست هي نفس ما عرض له الفوقية وهو الجسم مثلاً من حيث إنه تلك الذات ليس أمراً مقولاً بالقياس إلى غيره .

ومن حيث إنه معروض للفوقية مقول بالقياس إلى الغير والفوقية مغايرة لتلك الذات ، ولأن الفوقية لو كانت نفس ما عرضت له لزال معروضها بزوالها وليس كذلك ، لأن الشيء قد لا يكون فوقاً ثم يصير فوقاً وبالعكس ، وهو أعني معروض الفوقية باق في الحالين والفوقية غير حاصلة حال عدمها ، فالفوقية حاصلة لمعروضها ، هذا تقرير ما ذكره الإمام والحكماء ذكروا لإثبات هذا المطلوب وجهاً آخر ، وهو أن المفهوم من كون الشيء مؤثراً في غيره قابلاً له مغاير لتلك الذات المخصوصة ، لأنه يمكننا تعقل تلك الذات المخصوصة مع الذهول عن كونها مؤثرة في الغير أو قابلة له والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم وليس أمراً عدمياً ، لأن قولنا للشيء إنه مؤثر نقيض لقولنا إنه ليس بمؤثر ، وقولنا ليس بمؤثر عدمي لصدقه على الأمر العدمي وامتناع صدق الموجود على المعدوم فهو إذن وجودي لوجوب كون أحد النقيضين وجودياً وأنت لا يخفى عليك فساد هذا الوجه بعد إحاطتك بما سبق من المباحث ، انتهى(١) .

وأقول : ما ذكره الحكماء والإمام صحيح لا شك فيه ولا

(١) انظر المواقف للإيجي : ٢ / ١٨٩ ـ ١٩١ .

غبار عليه إلّا ما دخل على الخصم من الشبه التي هي كالسراب ، والوجه الأخير الذي ذكره الحكماء أشدّ صحة وأبين وضوحاً ، نعم فيما ذكر الإمام والحكماء لو كانت نفس ما عرضت له لزال معروضها بزوالها اعتراض وهو أنهم عندهم على اصطلاحهم يطلقون الاتحاد على اللازم حال اعتبار اللزوم ، وإن كان في نفسه مغايراً لملزومه ، وهذا وإن كان غلطاً منهم وباطلاً إلّا أن ذلك غير ملزم لهم لأنهم لا يسلمونه ، فإنهم يقولون إنك إذا تصوّرت صورة زيد في خيالك كانت حال تصوّرك لها متحدة بنفسك يمتنع تصور انفكاكها من نفسك ، وإذا ذهلت عنها زالت الصورة عندهم ولا يلزم من زوالها زوال ملزومها الذي كانت هي حال التصوّر نفسه وهذا كلّه باطل ، وما ذكره الإمام والحكماء هنا كلّه حق ، وإن الفوقية إذا كانت نفس ما عرضت له يزول بزوالها ، وإلّا لم تكن نفسه بل هي غيره ، لأن كونها نفسه إن كان في الواقع كذلك فلا ريب أن الشيء إذا زال فقد زال وإن كان لم يزل فإنما زال غيره وغيره لا يكون نفسه ، فيا سبحان الله ما أعمى قلوباً وبصائر عن الحق والطريق القصد الواضح ، وأصل منشأ هذا الاعوجاج ما ذكرناه مراراً في كثير من كتبنا ورسائلنا بأن أصل ذلك من أحد أمور ثلاثة :

أسباب ابتعاد الناس عن الحق

أحدهما : العناد والاستكبار والاستنكاف عن الاعتراف بالحق للأغراض الدنياوية ، وهذا شأن كثير من الناس .

وثانيها : ليس المانع من قبول الحق والاعتراف به ذلك ، ولكن من الناس من سمع شيئاً ولم يفهم أنه باطل واستمر عليه حتى اطمأنت به نفسه وأنست به ، فإذا سمع خلاف ما كان عنده وإن كان حقاً ، بل ربما يظهر له أنه حق أنكره وتكلف ردّه ومعارضته وليس عناداً ولكن نفسه أنست بخلافه فيصعب عليها مفارقته والعدول عنه فيتكلف تصحيح ما أنست به نفسه .

وثالثها : ليس المانع من قبول الحق العناد ولا أنس النفس بخلافه ، ولكنه يستند في جميع ما يصل إليه ويسمعه إلى قواعد اعتمد على صحتها وضوابط قررها يعتقد أنها في كلِّ ما تنطبق عليه وتتناوله حق بقول مطلق ، فإذا سمع شيئاً بخلاف ما عنده أو لم يعلم به عرضه على قواعده ووزنه بعيارها وبميزان عقله وفهمه في انطباقها ، عليه أو عدم انطباقها فإذا رأى ما سمع مخالفاً لقواعده أو لتمشيته إياها إليه أنكره ولم يقبل إلّا ما وافق وزنه بتلك القواعد وتكلف رده ونقضه ، ولعل الغلط في قواعده أو في تطبيقها على ما سمع ، وكلّ واحد من هؤلاء الأصناف الثلاثة إذا أراد الاستدلال على مطلبه وجد له في مطلق الأدلة من الكتاب والسُّنة ، ومن

الأمثال التي ضربها الله سبحانه للناس ومن الآيات التي أراها خلقه في الآفاق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾(١) وذلك في قوله عليه السلام : **(لو خلص الحق لم يخف على ذي حجىً ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك هلك من هلك ، ونجى من سبقت له من الله الحسنى)**(٢) انتهى ، نقلته بالمعنى أو كما قال .

قول معمر بن عباد المعتزلي في الإمكان

واعلم أن معمر بن عباد من المعتزلة وكان سابقاً بالزمان على الأشعري لما تأمل في حجة الفلاسفة في إثبات النسب والإضافات وجدها قوية الأركان مشيدة البنيان واعترف بمقتضاها وقال بكونها وجودية ، ولما ألزمه الخصم بلزوم التسلسل ولم

(١) سورة طه ، الآية : ١٥ .

(٢) في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال : **(خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال : أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ، يتولى فيها رجال رجالاً ، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى)** نهج البلاغة ، الخطبة : ٥٠ ، ومحاسن البرقي : ١ / ٢٠٨ ح ٧٤ ـ ١١٤ ، والكافي : ١ / ٥٤ ح ١ باب البدع والرأي ، وج ٨ / ٥٩ ح ٢١ ، وكتاب سليم : ٢٦١ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٢٩٠ ح ٨ .

يقدر على ردّ ذلك بنحو ما ذكرنا التزم بالتسلسل ومنع استحالته وقال بثبوت أعراض لا نهاية لها يقوم بعضها بالبعض ، فأجاب عنه المتكلمون بوجهين :

الأول : إن كلّ عدد موجود فله نصف بالضرورة ونصفه أقل من كلّه ، وإلّا لزم أن يكون جزء الشيء مساوياً له وهو محال بالضرورة ، وكلّ ما كان أقل من غيره فهو متناه فنصف كلّ عدد متناه ، أما الكبرى فلأنا إذا قابلنا الفرد من الأقل بالفرد من الأكثر فإما أن تثبت هذه المقابلة لكلّ فرد من الأقل لكلّ فرد من الأكثر من غير تكرير أو لا تثبت ؟ فإن ثبت لزم أن تكون أفراد الأقل مساوياً لعدد أفراد الأكثر ، فالأقل مثل الأكثر وهو محال بالضرورة ، وإن لم يثبت يلزم أن يفنى عدد أفراد الأقل فتكون أفراد الأقل متناهية ، وإذا كان نصف كلّ عدد متناهياً كان الكل أيضاً متناهياً ، لأن الزائد على المتناهي بمقدار متناه يكون متناهياً وهو المطلوب .

قال معمر : لا نسلِّم أن كلّ عدد فله نصف بل ذلك عندي من خواص العدد المتناهي لم قلتم بأنه ليس كذلك لا بدّ له من دليل أجاب المتكلمون بأنه لا حاجة لنا إلى هذه المقدمة ، بل نقول كلّ عدد موجود بدون عشرة أفراد منه أقل منه مع تلك الأفراد العشرة والعلم به ضروري ثم تتم الحجة المذكورة إلى آخرها .

ثم أجاب المتكلمون عن منع صغرى القياس .

قال معمر : لا نسلِّم صدق الكبرى وهو قولكم ما كان أقل من غيره فهو متناه ، ومستند المنع هو أن مقدورات الله تعالى أقل من معلوماته لاندراج الواجبات والممتنعات في المعلومات دون المقدورات ، إذ القدرة لا تتعلق إلّا بالممكنات مع أن كلّ واحد من المقدورات والمعلومات لا نهاية لها ، وكذلك تضعيف الألف مراراً لا نهاية لها أقل من الألفين مراراً لا نهاية لها ، مع أن كلّ واحد منهما غير متناه .

أجاب المتكلمون عنه بأن قالوا المدعى في الكبرى أن كلّ عدد موجود هو أقل من عدد آخر موجود فهو متناه لما ذكرناه من البرهان ، وما ذكرتموه من الصورتين فلا نسلم وجودهما في الخارج ، أما الصورة الأولى فلأنا إذا قلنا مقدورات الله تعالى غير متناهية وكذلك معلوماته ليس معناه أنها موجودة ولا نهاية لأفرادها ، بل معناه أن أي ممكن يفرض فالقدرة صالحة ، لأن تتعلق به وأي معلوم يفرض فالعلم صالح ، لأن يعلمه ولا ينتهي العقل عند حدّ يجزم بأنه لا يقدر على الزائد على ذلك الحدّ ولا يعلم الزائد عليه ، مع أن الموجود في الخارج من المقدورات والمعلومات أبداً يكون متناهياً ، وكذلك الجواب عن الصورة الأخرى ، لأن معنى تضعيف الألف مراراً لا نهاية لها أن كلّ حدّ يفرض في التضعيف ، فالعقل يقدر على تضعيفه مرة أخرى ولا ينتهي إلى حدٍّ لا يقدر العقل على تضعيفه بعد ذلك ، وكذلك

تضعيف الألفين مراراً لا نهاية لها إلّا أن تلك الأعداد المضعفة بغير نهاية موجودة في الخارج فإن الموجود منها أبداً متناه ، انتهى[١] .

أقول : قد أشرنا إلى عدم تحقق التسلسل في الممكنات لانقطاع ترامي كلّ ما فرض فيه ذلك بحكم التضايف والمعيّة كما مثلنا فيه بالكسر والانكسار ، وذلك في كلّ ما يفرض فيه الترامي ، هذا فيما تعرفه العقول من حكم ما في الإمكان ، وأما فيما تعرفه الأفئدة فلا امتناع في فرض ترامي أشياء في الخارج لا إلى نهاية ، لأن قدرة الله لا تقدرها عقول الممكنات لما قررنا من أن الأشياء إنما تعرف أشباهها ، وتشير الآلات إلى نظائرها كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام : (**إنما تحدّ الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**)[٢] ، والأزل عزَّ وجلَّ بخلاف ما عليه خلقه في كلّ شيء .

---

(١) انظر الحكمة المتعالية للشيرازي : ٣ / ٢١٧ .

(٢) نهج البلاغة : ١ / ١٢ رقم ١٨٦ ، والاحتجاج : ١ / ٢٩٩ ، وتوحيد الصدوق : ٣٩ ح ٢ باب التوحيد ونفي التشبيه ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ضمن خطبة له ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٧ ورواه عن الإمام الرضا عليه السلام ، وتحف العقول : ٦٦ ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وانظر بحار الأنوار : ٥٤ / ٤٤ ح ١٦ . ولفظه في التوحيد عن علي عليه السلام : (**. . له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا** =

وأما معمر بن عبّاد فمنعه للتسلسل لا عن دليل ولذا استدل بتجويز ترامي أعراض لا إلى نهاية وهو غلط لما قلنا بانحصار الواقع في انتهائها إلى التضايف والمعيّة ، والدليل الحقيقي ما أشرنا إليه سابقاً من أنه ممكن وأن الممتنع ممتنع الفرض إذ لا يوجد لا الواجب والممكن ، والعلة في عدم إيجاد ما أحالته العقول أن كلّ شيء إنما خلقه الله للتعريف والتعرف ولو خلقه تعالى على غير ذلك لم يمكن له المعرفة ولا يمكن لغيره الاستدلال به لأنه خلق على غير مقتضى الحكمة والمخلوق إن خلق على خلاف مقتضى الحكمة كان مخلوقاً على الإهمال فلا يعرف شيئاً إلّابوصف خاص به فيلزم لمعرفة جميع الأشياء لكلّ فرد منها وصف خاص به مميز له فيلزم في تعريف الأشياء أوصاف لا تتناهى ، فلما كان المؤلّف على مقتضى الحكمة لا يعرف إلّا نظيره كان العقل لا يعرف إلّا ما أُلِّف على مقتضى الحكمة لأنه كذلك بخلاف الفؤاد لأنه غير مؤلف ، بل هو بسيط لأنه آية الله سبحانه فهو يدرك أن الذي يحكم عليه العقل بأنه

= **مسموع ، ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية ، كيف ولا تغيّبه مذ ولا تدنيه قد ولا تحجبه لعل ولا توقته متى ، ولا تشمله حين ولا تقارنه مع ، إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها ، منعتها منذ القدمة وحمتها قد الأزلية وجنبتها لولا التكملة . .) .**

ولفظه في الاحتجاج وشرح المشاعر : (. . . **وتشير الآلات إلى نظائرها**) .

ممتنع أنه ممكن في قدرة الله كالتسلسل وأما تجويز معمر له فعن غير دليل .

وأما جواب المتكلمين بأن كلّ عدد موجود فله نصف ونصفه أقل من كلّه في نفي ما لا يتناهى من العدد ، فإن أرادوا أن ما فرض أنه نصف مساو للقسم الآخر فقول معمر : بل ذلك عندي من خواص العدد المتناهي ، متجه ، لأن الطرف الآخر لا يساوي الطرف الأول إلّا في المتناهي ، وإن أرادوا مطلقاً كان كقولهم الآخر أن كلّ عدد موجود بدون عشرة أفراد منه أقل منه مع تلك الأفراد العشرة ، وعلى هذا فلمعمر بن عبّاد أن القلة والكثرة إنما تقال على ما علم آخره ، وأما إذا لم يعلم كما لو كررت عشرة مراراً غير متناهية وألفاً أو ألفين مراراً غير متناهية ، فلا يعقل القلة والكثرة إلّا مع الإحاطة بالمرات المكررة ، وأما مع عدم الإحاطة فإنما يتوهم القلة والكثرة بالنظر إلى العشرة نفسها والألف نفسه مع عدم الالتفات إليهما بعد التكرير وذلك بنظرين : بأن تلتفت النفس إلى العشرة وحدها قبل التكرير ، وإلى الألف وحده قبل التكرير فتدرك قلة العشرة وكثرة الألف ، ثم تلتفت إلى تكرارهما فتتوهم القلة والكثرة الثابتين قبل التكرير بعد التكرير ، ولا شك أن التكرير نفسه لا قلة فيه ولا كثرة وإذا لحقتا ما قبل التكرير إنما لحقت العددين المعينين العشرة والألف وأفرادهما متناهية والأفراد الحاصلة من التكرير إن كانت متناهية كان التكرير متناهياً

وهو خلاف المفروض ، وإن لم تكن متناهية فمن أين تلحقها القلة في بعض والكثرة في بعض وكلّ منهما غير متناه فافهم فإنه دقيق .

ودعوى الضرورة إنما حصلت من نظرين : نظر حصلوا به التناهي والقلة والكثرة من نفس العشرة والألف وحدهما قبل التكرير حال تناهي أفرادهما ثم وصفوا أفرادهما حال اللاتناهي بالقلة والكثرة وهو وصف لغير من هو له ، بل لو طبقت السلسلتين بما فيهما من الأفراد الحاصلة من التكرير إحداهما على الأخرى ما وجدت العقول من القلة والكثرة إلّا ما وجدته في العشرة والألف قبل التكرير أو أن مرّات التكرير محصورة .

وأما ما استند معمر في منعه إلى أن معلومات الله أكثر من مقدوراته تعالى مع عدم تناهيهما وما أجابه المتكلمون عن ذلك كما تقدم فكلاهما غير مستقيم ، أما قول معمر فلما قررنا من عدم كون الممتنع شيئاً معلوماً ولو كان الممتنع شيئاً لكان معلوماً ، ولو كان معلوماً لكان مقدوراً ، لأن العلم والقدرة ليسا شيئين بل هما شيء واحد وكيف يكون شيء لا يعلمه الله ، ولذا لما ادعوا شريكاً له تعالى قال : ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾(١) فإذا كان لا يعلمه دل على أن الممتنع ليس شيئاً ، وعلى أن العلم مساو للقدرة لأنهم يريدون بالممتنع شريك

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨ .

الباريء تعالى ، ولو صح علم الممتنع لما قال : ﴿ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ﴾ وقد برهنا في الفوائد وفي شرحها على أن الممتنع ليس شيئاً وإنما هو ممكن سميتموه بممتنع ، فإذا نظرت ما ذكرنا ثبت عندك أنه لا يعقل إلّا ممكن أو واجب بآياته ، وإذا ثبت ذلك عندك ثبت عندك أن قدرة الله ليست أقل من علمه .

على أن العلم إذا كان أكثر[١] من القدرة اختلفا فلا يكون المختلف بسيطاً .

والحاصل الكلام على ما ذكروه من أدلتهم يطول فلا فائدة فيه عظيمة بعد ظهور المدعى ، وكذا ذكر ما قالوا نعم قد أذكر بعضاً وقد أتكلم على بعض ما أذكر إذا توقف عليه ظهور المدعى .

اعتراض فخر الدين الرازي على الحكماء في الإمكان

وفخر الدين الرازي اعترض على الحكماء القائلين بكون النسب وجودية متحققة في الخارج لا أنها أمور اعتبارية فقال : إن إثبات النسب يقتضي كون التقدم والتأخر صفتين موجودتين وذلك محال ، وتقريره من وجهين :

الأول : إن ما ذكرتم من الدليل لو صح جميع مقدماته لزم أن يكون التقدم والتأخر صفتين موجودتين في الخارج زائد[٢] على

(١) في نسخة : إذا كثر .
(٢) في نسخة : زائداً .

ذات المتقدم والمتأخر وذلك محال ، أما الشرطية فلأن كون الشيء متقدماً على غيره ليس من الأمور الفرضية والاعتبارية ، فإن كون آدم عليه السلام قبلي أمر محقق سواء وجد الفرض والاعتبار أم لم يوجد ، وليس أمراً عدمياً ، لأن القبلية والبعدية يعرضان للشيء بعد إن لم يكن كذلك .

والحاصل بعد عدمه ثبوتي وليس نفس ذات المتقدم والمتأخر من حيث إنه تلك الذات غير مقوّل بالقياس إلى الغير ، ومن حيث إنه متقدم ومتأخر مقول بالقياس إلى الغير ، وأما استحالة الثاني[١] فلأن من خاصية المتضائفين أن يكونا متساويين في الذهن وفي الخارج على معنى أنه إذا وجد أحدهما بأحد الوجودين وجد الآخر بذلك الوجود ، وإذا زال أحد الوجودين عن أحدهما زال ذلك الوجود عن الآخر ، وذلك ظاهر ، والأمثلة أيضاً شاهدة[٢] به إذ الأبوة مساوية للبنوة والأخوة للأخوة على ما ذكرنا من التفسير .

إذا عرفت هذا فنقول : لو كان التقدم أمراً موجوداً في الخارج لزم من وجوده فيه[٣] وجود التأخر فيكونان معاً موجودين في الخارج ، وحينئذ إن وجد معهما محلاهما لزم وجود المتأخر في

(١) في نسخة : التالي .
(٢) في نسخة : مشاهدة .
(٣) في نسخة : يلزم من .

الخارج في جميع زمان وجود المتقدم فيه ، فلا يكون المتقدم متقدماً هذا خلف وإن لم يوجد محلاهما[(١)] لزم تحقق الصفة الإضافية في الخارج بدون معروضه وذلك محال ، انتهى[(٢)] .

أقول : إذا كان التقدم والتأخر موجودين كما هو المتحقق لا يلزم منه محال[(٣)] ولا تناف لأنهما إذا وجدا في محليهما كان كلّ منهما مع محله في رتبته ، لأن المتقدم سواء كان التقدم الذي اتصف به موجودياً[(٤)] أم عدمياً هو متقدم في رتبته والمتأخر متأخر ، فلا يكون المتقدم بكون صفته اعتبارية متأخراً ولا غير متقدم والمتأخر كذلك ، فلا يختلف الحال بالوجود والاعتبار وأيضاً على فرض الاعتباري يكون الوجود ليس إلّا المتقدم والمتأخر فيلزم أيضاً اجتماعهما في زمان واحد ، فلا يكون المتقدم متقدماً إذ اعتبار كونه متقدماً ممتنع مع اعتبار التساوق والاجتماع بين المعروضين فهو أحق وأولى بالاجتماع ، والتساوق منه مع ثبوت التحقق وزيادته على المعروض في الخارج ، لأنك إذا أثبت وجود التقدم وزيادته على معروضه كان الاجتماع والتساوق إنما يعتبر في المعروضين .

---

(١) في نسخة : محلاً لهما .
(٢) انظر المواقف للإيجي : ١ / ٣٨١ .
(٣) في نسخة : مجال .
(٤) في نسخة : وجودياً .

وأما العارضان فالتقدم اتّصف به آدم عليه السلام قبل أن يتصف شيث عليه السلام بالتأخّر وذلك فيهما مقول بالقياس إلى الغير ، وإن لزم فيهما التضايف إذ لو لم يعتبر السبق في الاتصاف لم يعقل شيء منهما ، فلا يتميز السابق من اللاحق على الفرضين ، لأن التقدم والتأخر أحد جزئي مفهوم الصفة الفاعلية كالضرب في ضارب الذي هو اسم الفاعل وصدورها من الفعل زماني أي مقترن بالزمان فقد تحقق التقدم بسبق وجود المتقدم بذاته ، أو بما نسب التقدم به إليه كمجيئه وذهابه وما أشبههما ، فهو مع وجود المتأخر معه في وقت واحد متصف بسبق ملحوظ فيه تحققه وتقدمه على اتصاف المتأخر بالتأخر[١] بذاته أو بما نسب التأخر به إليه ، فالاتصافان والوصفان لم يجمعهما زمان وإن جمع الزمان محلهما فإنما جمعهما لا من حيث الاتصاف فلا يلزم محال بوجه [من][٢] الوجوه .

وجواب الشيخ في الشفاء بعدم تسليم كون التقدم والتأخر وجوديين غير شاف ولا مفيد لحقّ وفرقه بينهما وبين فوقية السماء وتحتية الأرض لا معنى له وتعليله وجودية الفوقية والتحتية بأن هذين صفة ثبوتية لا تتوقف على اعتبار ، لأن السماء والأرض لما كانا موجودين في الخارج كانت فوقية أحدهما للآخر صفة

(١) في نسخة : بالتأخير .

(٢) زيادة من نسخة أخرى .

وجودية جار في المدعى بل في جميع النسب بعين ما ذكر من غير فرق في شيء من النسب .

وتقرير الوجه الثاني الذي ذكره الرازي من الاعتراض على حجة الحكماء القائلين بوجود النسب أن يقال : لو صح ما ذكرتم من الحجة لزم قيام الصفة الوجودية بالأمر العدمي وأنه محال ، بيان الشرطية : وهو أنا نحكم في اليوم الحاضر على الأمس بكونه ماضياً ، والمفهوم من كونه الأمس ماضياً إما أن يكون أمراً وجودياً أو أمراً عدمياً والثاني محال ، لأن الأمس صار ماضياً بعد أن لم يكن ماضياً وتبدل العدم بالعدم غير معقول فهو إذن وجودي ، وحينئذ إما أن يكون ثبوته في الذهن فقط أو فيه في(١) الخارج ، والأول محال لأنا لو فرضنا عدم الفرض والاعتبار ، فذلك اليوم أعني أمس ماض في نفسه فهو إذن موجود في الخارج ، وحينئذ إما أن يكون نفس ذلك اليوم أو يكون أمراً زائداً عليه والأول محال ، لأنه لو كان نفس ذلك اليوم لتحقق الماضي حيث تحقق ذلك اليوم لكن ذلك اليوم حين كان حاضراً ولم يكن(٢) ماضياً فهو إذن أمر زائد عليه ، ولو كان كذلك يلزم قيام الصفة الوجودية بالأمر العدمي فعلم أن ما ذكرتم من الحجة يقتضي هذا المحال فتكون باطلة .

---

(١) في نسخة : وفي الخارج .
(٢) في نسخة : حاضراً لم يكن .

أجاب الحكماء عنه بأن قالوا : لِمَ قلتم بأن المفهوم من كون الأمس ماضياً ليس أمراً عدمياً ؟ قوله : صار ماضياً بعد أن لم يكن ماضياً وتبدل العدم غير معقول .

قلنا : كلّ واحدة من هاتين المقدمتين مسلّم ، ولكن لِمَ قلتم بأنه يلزم منهما أن يكون المفهوم من كونه ماضياً أمراً وجودياً وإنما يلزم ذلك أن لو كان المفهوم من كونه ليس بماض أمراً عدمياً وهو ممنوع ، لأن المفهوم من كونه أمراً ماضياً هو غير المفهوم من كونه حالاً والمفهوم من كونه حالاً أمر وجودي ، وإذا كان كذلك كان ذلك تبدلاً للأمر الوجودي بالأمر العدمي ، وهذا التبدل يقتضي كون الحاصل بعده عدمياً لا وجودياً فهذا تحقيق ما ذكره الحكماء في جواب هذا الوجه ، ولا يتأتى مثل ذلك في كون السماء فوق الأرض فيتمم[١] الحجة هنا دون هاهنا ، انتهى كلام المفصل .

أقول : الاعتراض والجواب كلاهما يرد عليه النقض المتقدم أو ما[٢] يتفرع عليه فإذا تأملت ما ذكرنا هناك[٣] تبيّن لك ما فيهما هنا من الخلاف ، فإن حكمنا في اليوم الحاضر على الأمس بكونه ماضياً حكم مطابق للواقع لأنه حكم بما هو واقع في الخارج ، لأن كون الأمس ماضياً حصل بعد أن لم يكن .

---

(١) في نسخة : فيتم .

(٢) في نسخة : وما .

(٣) في نسخة : هنا .

والحاصل بعد أن لم يحصل[١] لا يكون إلّا ثانياً[٢] كما ذكره المعترض ، ولا شك أن ثبوته في الخارج لتحققه مع عدم الاعتبار ، وأيضاً لا شك في أن كونه ماضياً زائد على نفس ذلك اليوم فكلام المعترض كلّه صحيح إلّا ما توهمه هو وأكثر الناس من أن الأمس في هذا اليوم معدوم فإنه باطل ، وكيف يكون معدوماً وأنت تتخيله وتتصوره في ذهنك ؟

وقد بيّنا في مواضع كثيرة من كتبنا أن الذهن في الحقيقة مرآة تنطبع فيها الصور إذا كانت مقابلة لذي الصورة ، لأن المرآة إنما تنطبع فيها صورة الشاخص المقابل لها فلو لم تقابله شيئاً[٣] لم ينطبع فيها شيء ، وقد بيّنا برهان ذلك وأيضاً إذا ثبت أنه كان موجوداً حال كونه حاضراً وأنه أي هذا اليوم داخل في ملك الله سبحانه ، فإذا جاء الغد وكان اليوم أمس أين يذهب هل يخرج من ملك الله بعدما دخل فيه ؟ وإنما انتقل من مكان إلى مكان ؟ بل في الحقيقة هو في مكانه منذ خلقه الله وإنما الخلائق كلهم يسبحون في بحر الزمان من المشرق إلى المغرب إلى أن يصلي[٤] الآخرة فيأتيك

---

(١) في نسخة : أن يحصل .
(٢) في نسخة : ثابتاً .
(٣) في نسخة : فلو لم يقابلها .
(٤) في نسخة : يصل .

أمسك بعينه ويومك بعينه وغدك بعينه فتشهد[١] عليك أو لك وكذلك بقاع الأرض والأرض[٢] لم يفن ، وإنما أنت الذي سرت عنه وغبت عنه ومثاله حين خرجت من خراسان وأتيت إلى أصفهان لم تكن خراسان حين سرت عنها وغبت عنها عدماً بل هي موجودة كحالها حين كنت فيها ، فلما خرجت عنها بقيت صورتها في خيالك ولو رجعت إليها أو سارت إليك رأيتها بعينها ، كذلك أمس حين سرت عنه وصلت إلى اليوم الحاضر وأنت وصفاتك[٣] والزمان والمكان شيء واحد في حكم البقاء والفناء والحشر وما بعده ، فكون أمس ماضياً صفة وجودية قامت بوجود .

ومن تتبع أخبار أهل العصمة عليهم السلام وتدبرها وآمن بما نطقت به وجد جميع ما نطقت به موجوداً فيها مراداً بها لا يخالف منها حرفاً إلّا فيما لم يكن من طوري مما لم أصل إليه ، فإن ذلك لهم لا لي ولا لأبناء صنفي[٤] صلّى الله عليهم أجمعين .

وأما جواب الحكماء في قولهم : لِمَ قلتم بأن المفهوم من كون الأمس ماضياً ليس أمراً عدمياً ؟ فليس بصحيح إذ[٥] لهم أن

---

(١) في نسخة : فيشهد .
(٢) في نسخة : الأمس .
(٣) في نسخة : وجسمك وصفاتك .
(٤) في نسخة : لابناه حقيقي .
(٥) في نسخة : أن .

يقولوا إنما قلنا بأنه وجودي لحصوله بعد أن لم يكن ، فإن العدم لا يحصل إذ لا حصول له .

وقولهم ، لأن المفهوم من كونه أمراً ماضياً هو غير المفهوم من كونه حالاً ، والمفهوم من كونه حالاً أمر وجودي إلخ ، ليس بصحيح ، لأن النظر الذي يقتضي كون المفهوم من كونه حالاً وجودياً يقتضي كون المفهوم من كونه ماضياً أمراً وجودياً بالطريق الأولى فالحق الصريح البين أن الكل وجودياً[١] وأن التبدل الوجودي بالوجودي ولا محذور ، بل هو المعروف عند أولي الحجى الطالبين للحق المبين ، وهذا يأتي في كون السماء فوق الأرض وغيرها من النسب كالألوان والأصوات والأضواء والأنوار والبريق والصقالة والصلاية[٢] واللين والخشونة والملاسة والتلزز والتفشي والتحلل والحركة والسكون .

والحاصل : جميع الصفات اللاحقة بكلّ شيء من عالم الملك والملكوت والجبروت القائمة بموصوفها قيام صدور أو ظهور أو قيام تحقق أو عروض وما أشبه ذلك كلها أمور وجودية قد دلت على ثبوتها ووجودها ما دل على وجود ما تقدم وثبوته على أن المثبتين للأمور الاعتبارية القول بأن أكثر ما في ملك الله ليس من صنع الله وليس في ملك الله .

---

(١) في نسخة : وجودي .

(٢) في نسخة : الصلابة .

وإنما هو من ابتداع نفوسهم حتى أن بعض الأشياء أخبر سبحانه أنه خلقه وهم يقولون ليس بشيء مثل ما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾[١] فإنهم يتلون قوله : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ ﴾ ومع هذا يقولون إن الموت أمر اعتباري لا تحقق له في الخارج لأنه عبارة عن عدم الحياة ، فإذا كان هذا كلامهم وهم يقرؤون كلام الله بخلاف قولهم ولم يرجعوا عن قولهم فكيف ينتفعون بقول قائل أو يسمعون عذل عاذل والنظر الصحيح المستند إلى معرفة آيات الله في الآفاق وفي الأنفس مع توفيق الله وهدايته لسبله[٢] لمن جاهد في الله وأحسن المجاهدة بالإيمان الصادق وطلب محض[٣] لله عزَّ وجلَّ قد أعطى صاحبه أن كلّ ما سوى الله عزَّ وجلَّ فإن لله سبحانه خلقه وجعل وجوده الذي به قوامه وجوداً تعلقياً لا تحقق له بنفسه ولا تقوّم له إلّا بغيره ، لأن وجوده الذي به يتقوّم جعله متقوماً بفعله تقوّم صدور ، لأنه اخترعه لا من شيء وليس له أصل أحدثه منه إلّا فعله ، لأن الفعل حين الإيجاد إحداث ومفعوله تأكيد له .

فالوجود المخترع في حقيقته وكنهه تأكيد للأحداث والفاعل تعالى اخترعه تأكيداً لفعله وأقامه بدوام الاختراع واتصاله فتقومه

---

(١) سورة الملك ، الآية : ٢ .

(٢) في نسخة : لسبيله .

(٣) في نسخة : محض الحق .

بجهة دوام الاختراع واتصاله تقوم صدور وبجهة متعلق الاختراع المتصل تقوم تحقق تقوّماً ركنياً فحقيقة وجوده وأصله تأكيد لفعل الخالق تعالى بالإحداث والإمداد بأثره وهو مرادنا بالتعلقي ، يعني أن وجود الحادث من فعل الخالق تعالى كوجود الصورة التي في المرآة في مقابلة الشاخص ، وكالنور في الكثيف من المنير ، فوجود زيد متقوّم بفعل الله تقوّم صدور وبأثر فعل الله أي متعلقه وتأكيده تقوّماً ركنياً تقوّم تحقق وهذا حكم ما[١] سوى الله مما صدر عن فعل الله عزَّ وجلَّ من جميع الأشياء من الذوات والصفات من العقول والعقلانيات والنفوس والنفسانيات والأجسام والجسمانيات مما دخل في واحد[٢] الظروف الثلاثة : ظرف الخارج ، وظرف الذهن ، وظرف نفس الأمر أعني ما قام عليه الدليل القطعي مما طابق الخارجي أو الذهني أو لا ، وضابط ما يجري فيه الحكم المشار إليه هو ما وضع بإزائه لفظ يدل عليه أو ما صح فرض وقوعه و[٣] ما أمكن تصوره أو ما لحقه التجويز والاحتمال وصح اعتباره وتوهمه ، فإن كلّ شيء من ذلك فوجوده أثر فعل الله أو من أثر فعل الله .

ومرادي بوجوده مادته إذ لا معنى للوجود المخترع المحدث

(١) في نسخة : حكم كلّ ما .
(٢) في نسخة : أحد .
(٣) في نسخة : أو ما .

إلّا المادة وهي في كلّ شيء بحسبه وأعلاه نور الأنوار والنور الذي تنوّرت منه الأنوار وهو الماء الذي منه كلّ شيء حتى صلى الله عليه وآله الطاهرين وصورة كلّ شيء خلقها الله من نفس مادته من حيث هي هي ، وذلك أيضاً في كلّ شيء بحسبه ولا يكون شيء من خلق الله بسيطاً ، بل كلّ شيء غير المعبود بالحق عزَّ وجلَّ مركب قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١) .

وقال الرضا عليه السلام : (**إن الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته دون غيره للذي أراد من الدلالة عليه وإثبات وجوده**)(٢) انتهى ، ثم استشهد عليه السلام بالآية والعقل يقطع هذا ، لأن كلّ شيء مصنوع لا بدّ أن يكون له اعتباران : اعتبار من ربّه وهو وجوده أعني مادته ، واعتبار من نفسه وهو ماهيته أعني صورته وقابليته وجميع الأشياء اشتقها عزَّ وجلَّ بقدرته من إشراقات نور الأنوار وإشراقات إشراقاته وإمداداته وإمدادات إمداداته ولم يخلق شيئاً من الأشياء من ذات نور الأنوار صلى الله عليه وآله قط ، وإنما قسمه تعالى أربعة عشر جزءاً فبقيت تلك الأجزاء أشباحاً يسبّحون الله ويحمدونه ويهلّلونه ويكبّرونه ألف دهر كلّ دهر على ما فهمته مئة ألف سنة ، والذي أتاني به وارد الوقت ناقلاً لي عن

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٤٩ .

(٢) توحيد الصدوق : ٤٣٩ ، وبحار الأنوار : ١٠٠ / ٣١٧ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦ باب ١٢ ح ١ والحديث طويل .

بعض الروايات أن هذه السنين كلّ سنة ثمانون شهراً ، كلّ شهر ثمانون جمعة ، كلّ جمعة ثمانون يوماً ، كلّ يوم ثمانون ساعة ، كلّ ساعة كألف سنة مما تعدون ، فعلى هذا يكون سبق تلك الأشباح في الوجود قبل جميع الخلائق بأربعة آلاف ألف ألف ألف ألف سنة[١] وستة وتسعون ألف ألف ألف[٢] سنة من سني الدنيا .

ثم نظر تلك الأنوار الأربعة عشر بعين الهيبة فعرقت فخلق الله تعالى من عرقها مئة[٣] وأربعة وعشرين ألف قطرة فخلق تعالى من كلّ قطرة روح نبيّ فبقيت أرواح الأنبياء عليهم السلام يسبّحون الله تعالى ويحمدونه ويهلّلونه ويكبّرونه ألف دهر كلّ دهر مئة ألف سنة والوقت الأول وقت الستر[٤] ، والوقت الثاني وقت الحجاب وإلى الوقتين أشار بعض أهل التأويل بأن الألف اللينة هي هيولى سائر الحروف وأن طولها ألف ألف قامة ، والألف المتحركة هي أول الحروف وطولها ألف ألف ذراع .

ثم إنه تعالى نظر إلى الأنوار المئة وأربعة[٥] والعشرين الألف

---

(١) في نسخة : ألف ألف ألف سنة وسنة .
(٢) في نسخة : تسعون ألف ألف ألف .
(٣) في نسخة : مئة ألف .
(٤) في نسخة : السّرّ .
(٥) في نسخة : المئة الألف والأربعة .

بعين الهيبة فعرقت فخلق الله من عرقها أرواح المؤمنين وإلى هذا أشر[١] فيما قبل أن الباء الموحدة من تحت طولها ألف ألف شبر ، ثم خلق من عرقها أرواح الملائكة وإلى هذا أشير بأن الجيم طولها ألف ألف أصبع وإلى سبق نور الأنوار على سائر الخلق أشار أمير المؤمنين عليه السلام لأهل الإشارة في جوابه لمن سأله كم بقي العرش على الماء قبل خلق السماوات والأرض ؟

فقال عليه السلام ما معناه : (**أتحسن أن تحسب**[٢] ؟) .

فقال : نعم .

فقال : (**أخشى ألا تحسن**) .

قال : بلى .

قال : (**انظر لو صب حب خردل حتى سدّ الفضاء وملأ ما بين الأرض والسماء ثم عمّر لك مع ضعفك أن تنقله حبة حبة من المشرق إلى المغرب حتى ينفد لكان ذلك أقل من جزء من مئة ألف جزء من مثقال الذر مما بقي العرش على الماء قبل خلق السماوات والأرض واستغفر الله عن التحديد بالقليل**)[٣] انتهى ،

---

(١) في نسخة : أشير .

(٢) في نسخة : (أن تجب) .

(٣) لم نجده فيما توفّر لدينا من مصادر .

وهذا النور أعني نور الأنوار هو نور العالين الذين لم يسجدوا لآدم عليه السلام إنما سجدت الملائكة أجمعون لسطوعه في صلب آدم عليه السلام ، وهو نور الستر المذكور في صحيحة علي ابن عاصم والأنوار المخلوقة من عرقه أنوار الكروبيين ، وهم قوم من شيعة علي عليه السلام من الخلق الأول جعلهم الله سبحانه خلف العرش ووراءه ، والنور المتجلّي للجبل لموسى عليه السلام واحد منهم وهؤلاء حجاب الستر .

والحاصل ليس وجودات جميع الأشياء شيئاً واحداً تجمعه حقيقة واحدة في رتبة واحدة ، ومواد الأشياء كلها من الغيب والشهادة حصص من تلك الحقيقة كما توهمه الأكثرون ، بل كلّ رتبة لأهلها لا يشاركهم فيها غيرهم ، فالنور الذي تنوّرت منه الأنوار خلق منه شبح[1] واحد صلى الله عليه وآله وأخذ منه ثلاثة عشر شبحاً صلى الله عليهم أجمعين كأخذ السراج من السراج ، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : (**أنا من محمد كالضوء من الضوء صلى الله على محمد وآله**)[2] ، ولم يخلق الله عزَّ وجلَّ

(١) في نسخة : شبه .

(٢) بحار الأنوار ٣٨ / ٧٩ـ ٨٢ ، ومعاني الأخبار : ٣٥٠ـ٣٥٢ ، وغاية المرام : ١ / ٣٤ باب ٢ ح ١ ، وأمالي الصدوق : ٤١٥ مجلس ٧٧ ح ١٠ والطرائف لابن طاوس : ٥١٩ ، والخصائص الفاطمية : ٢ / ٦٠٩ ، واللّمعة البيضاء : ٦٤ . =

من ذلك النور غيرهم ، ولم يفضل منه شيء عن موادهم ثم خلق أنوار الكروبيين من فاضل النور الذي تنورت منه الأنوار يعني من شعاعه وإشراقه ، والمراد بالفاضل هو الشعاع ولا نعني بالفاضل بقية الشيء لا في الأخبار ولا في ما نصطلح عليه في سائر كتبنا ، ومنه ما في حديث النخلة في قوله عليه السلام : (**وإنما سميت النخلة نخلة لأنها خلقت من نخالة طين آدم عليه السلام**)(١) ، فإن المراد بالنخالة الشعاع الجسماني فافهم .

كلام الشيرازي في أن العلم أعمّ من القدرة

واعلم أن كثيراً من الناس يتكلم بما لا يفهمه ، ومن ذلك أن كثيراً من المتكلمين يقولون : إن صفاته عين ذاته تعالى ، ويقولون مع ذلك : إن العلم أعم من القدرة ، لأن العلم يتعلق بالممكن والممتنع ، وأما القدرة فإنها لا تتعلق بالممتنع فيلزمهم أن العلم غير القدرة في الذات ، ويلزمهم إما أنهما غير الذات وإما أن الذات مركبة متعددة مختلفة لتركبها من المختلفة المتغايرة ، ومثل

= قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**والله ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً ؛ بقوة جسدية ولا حركة غذائية ، لكن أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة ، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء**) أمالي الصدوق : ٤١٥ مجلس ٧٧ ح ١٠ .

(١) لم نجده فيما توفّر لدينا من مصادر .

هؤلاء في الخطأ والغلط من جعلها متغايرة في معانيها ومفهوماتها وهي عين ذاته تعالى كالملا صدر الدين الشيرازي[١] كما ذكره في سائر كتبه ، ومنها ما ذكره في الأسفار وأنا أنقل لك كلامه وأجعله كالمتن وجوابه والرَّدُّ عليه كالشرح .

هل صفات الله الحقيقية كلها ذات واحدة ؟

قال : فصل : في إيضاح القول بأن صفات الله تعالى الحقيقية كلها ذات واحدة لكنها مفهومات كثيرة .

أقول : يريد أنها عين ذاته في الوجود ومعانيها ومفهوماتها مختلفة متغايرة ، وهذا هو ما ذكرنا مما يلزمه من كون الذات مركبة من الأمور المختلفة لا مناص له عن ذلك .

قال : واعلم أن كثيراً من العقلاء المدققين ظنوا أن معنى كون صفاته عين ذاته هو أن معانيها ومفهوماتها ليست مغايرة ، بل

---

(١) هو محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) حكيم ، من أهل شيراز . توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .
رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية .
انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ ـ ٣٨١ ، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩ .

كلها ترجع إلى معنى واحد وهذا ظن فاسد ووهم كاسد ، وإلّا لكانت ألفاظ العلم والقدرة والإرادة والحياة وغيرها في حقه تعالى ألفاظاً مترادفة يفهم من كلّ معنى منها ما يفهم من الآخر ، فلا فائدة من إطلاق شيء منها بعد إطلاق أحدها وهذا ظاهر الفساد مؤد إلى التعطيل والإلحاد .

معنى كون صفات الله تعالى عين ذاته

أقول : ما ذكره هؤلاء المدققون هو الحق الذي جاءت به الشرائع وشهد بصحته العقل الكامل البارع ، لأنها إذا تغايرت معانيها دل ذلك على أنها صفات أفعال ، لأن الأفعال هي المتغايرة فتتغاير صفاتها والذات لا تغاير فيها ، ولو تغيرت صفاتها تغيرت في حدِّ ذاتها ، لأن الذات إنما هي هي بصفاتها حتى لو فرض اتحاد الصفات المتغيرة المتخالفة بالذات وثبت حينئذ عدم تغير الذات واختلافها حصل لنا القطع بعدم اتّحادها بالصفات المختلفة ، وإن الصفات المختلفة صفات أفعال لأنا لا نريد بكونها عين ذاته تعالى اتحاد نسبة بأن يكون أحدهما عبارة عن الآخر فيما ينسب إليه من فعل بأن يكون فاعلاً عنه أو به بالنيابة أو القيام مقامه أو من صفة بأن يكون وصفهما واحداً ولا اتّحاد تداخل كاتّحاد نور الشمس ونور السراج ، ولا اتّحاد تمازج كاتّحاد الماء الحار بالماء البارد لفنائهما ووجود ثالث ، ولا

اتّحاد استهلاك لفناء أحدهما فتنتفي العينية والاتّحاد ، وإنما نريد بالعينية أن أحدهما هو الآخر لا يراد منه غير نفس الآخر لا في الخارج ولا في الذهن . ولا في نفس الأمر ، لا بالاحتمال ولا بالفرض ولا بالتجويز والإمكان ولا مغايرة حيثية ولا فرق مطلقاً لا في إمكان ولا وجوب فحاصل ما نريد ونعني بهذه الألفاظ الكثيرة وما نفهم منها شيء واحد بكلّ احتمال وبكلّ اعتبار ، فلو فهم من واحد منها غير ما يفهم من الآخر لم يكن هو واحداً بل هما اثنان اتّحدا بأحد أنواع ما أشرنا إليه من الاتّحاد وما أشبهها فيلزم مما قلنا كونها ألفاظاً مترادفة لا يمكن غير الترادف ، لأن المفهومات المتغايرة لا تخلو إما أن تكون اختلافها بلحاظ اختلافها في حقائقها أو بلحاظ اختلاف ظهوراتها بآثارها في أفعالها ، فإن أريد الأول لم تكن الصفات اللاتي تفهم حقائقها ومعانيها عين ذاته تعالى ، لأن ما هو عين ذاته لا يكون مفهوماً لغيره ولا مدركاً لأحد من الحادثين لأنه ذاته تعالى ولا يحيطون به علماً ، والمفهومات اللاتي تدركون معانيها حادثة ولا تكون الحوادث عين ذاته .

وإنما الصفات المفهومة صفات أفعاله تعالى ، وإن أريد الثاني وهو أن اختلاف تلك المفاهيم راجع إلى اختلاف آثار تلك الصفات وهي في نفسها شيء واحد لم يفهم منها جميعها إلّا ما يفهم من ذات الله عزَّ وجلَّ بأنه المجهول المطلق الذي لا يعرف

إلّا من حيث لا يعرف ، وإنما عرفوه ، تعالى بما وصف نفسه لهم وذلك الوصف وصف استدلال عليه لا وصف يكشف له وجعل بلطفه وكرمه ورحمته ذلك الوصف حقيقة من أراد أنه يعرفه ليعرفه بنفسه ، فقال سفيره الداعي إليه صلى الله عليه وآله : (**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه**)[١] .

وقال وصيه وخليفته صلى الله عليهما وآلهما : (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**)[٢] انتهى ، ومعنى المراد الأول العلم بالمعلوم والسمع للمسموع والبصر للمبصر والقدرة على المقدور[٣] ، فالعلم المقترن بالمعلوم المطابق له بل المتحد به لا يكون هو عين

---

(١) مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي : ٢٩٧ ، والاقتصاد للطوسي : ١٤ ، وروضة الواعظين للفتال : ٢٠ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧٠ .

(٢) انظر شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ ـ ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة ـ البحث الروائي .

(٣) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .
ولفظه في التوحيد : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور**) قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟
قال : (**إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم**) .

ذاته تعالى وإلّا لكانت ذاته مقترنة بك لأنك معلومه ومطابقة لك بل متحدة بك بمعنى أنها أنت ، لأن العلم عين المعلوم كما هو الحق .

ومعنى الثاني أن العلم والسمع والبصر والقدرة وباقي الصفات يراد منها محض الذات خاصة ، وإنما اختلفت الألفاظ حتى توهم أنها موضوعة بإزاء معان متعددة مختلفة الحقائق مع أن المراد منها معنىً واحد ، لأن الألفاظ وضعت بإزاء مبادئ آثار أفعال الذات فحملت تلك الألفاظ باعتبار الآثار التي هي أركان لما تقوّمت بها من تلك الأفعال على الذات حملاً صناعياً بالحمل المتعارف الشائع وحمل ما يراد منها من الصفات على الذات حملاً أولياً ذاتياً ، مثال ذلك ما أراك الله سبحانه من آياته الدالة بصحيح البيان وصريح المشاهدة والعيان في ما تحقق لك مما تشاهده في نفسك بيقين الوجدان أنك أنت السميع قبل أن يتكلم أحد ، فلما تكلم زيد أقبلت أنت بنفسك على كلامه وأشرفت عليه من باب أذنك فأدركت كلامه وأنت البصير قبل أن يحضر لديك لون أو صورة فلما حضر لديك أقبلت أنت عليه بنفسك وأشرفت عليه من باب بصرك فأدركته فأنت بنفسك السميع والبصير أدركت الكلام من باب أذنك وأدركت اللون من باب بصرك بجهة واحدة منك من غير مغايرة حصلت لك ، لا في وجود ولا في مفهوم بحال من الأحوال .

وإنما الاختلاف والمغايرة إنما هو فيما أدركته وفي طرقه وجهاته ، فحمل السميع عليك وسُميت به باعتبار ما تقوم به إدراكك للمسموع من أركانه التي هي آثار فعلك بالحمل المتعارف الشائع ، وكذلك الكلام في البصير والقدير وسائر الصفات ، فالسميع والبصير والقدير والحي هو أنت بجهة واحدة منك لأنك أنت تبصر وأنت تسمع وأنت حي وإنما كثرت أسماؤك بكثرة آثار أفعالها خاصة إذ لست تسمع بغير ما تبصر به لتختلف معاني صفاتك ومفاهيمها ، بل أنت تسمع أنت تبصر فأنت حين تسمع غيرك حين تبصر حتى تكون معانيك مختلفة متغايرة لأنك لو اختلفت مفاهيم صفاتك ومعانيها كان البصير حين تكون سميعاً غيرك وبالعكس ، فقول الملّا صدرا : وإلّا لكانت ألفاظ العلم والقدرة والإرادة والحياة وغيرها في حقه تعالى ألفاظاً مترادفة يفهم من كلٍّ منها ما يفهم من الآخر فلا فائدة في إطلاق شيء منها بعد إطلاق أحدها وهذا ظاهر الفساد ، إلخ . ظاهر الفساد ، لأن إطلاق كلّ منها لا فائدة فيه ترجع إلى كشف معنى من الذات ولا من الصفات التي هي الذات ، وإنما الفائدة في إطلاق واحد منها بيان أثر فعل من أفعاله فإذا أطلقت واحداً لبيان أثر فعل جاز إطلاق آخر لبيان أثر فعل آخر ، فيا سبحان الله ما أعجب غفلة هؤلاء الأعلام المحققين الذين أفنوا أعمارهم في طلب الحكمة والمعرفة حتى كان ثمرة زرعهم وتعبهم مثل ما سمعت وتسمع ،

ولكن السبب في ذلك ظاهر لكلّ مؤمن وهو في قول سيد الوصيين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : (**ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها**)(١) انتهى .

قال : بل الحق في معنى كون صفاته عين ذاته أن هذه المعاني المتكثرة الكمالية كلها موجودة بوجود ذاته الأحدية(٢) بمعنى أنه ليس في الوجود ذاته تعالى متميزاً عن صفته بحيث يكون كلّ منهما شخصاً ، ولا صفة منه متميزة عن صفة أخرى له بالحيثية المذكورة ، بل هو قادر بنفس ذاته وعالم بعين ذاته أي

---

(١) بصائر الدرجات : ٥١٧ ح ٨ ، والكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩ ، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٢٤٩ ح ٤ .

ونصّه كما في الكافي : . . . عن مقرن قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ [الأعراف : ٤٦] ؟ فقال : (**نحن على الأعراف ، نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يعرفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه . إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا ، فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصم الناس به ، ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها ، لا نفاد لها ولا انقطاع**) .

(٢) في الحكمة المتعالية المطبوعة : الذات الأحدية .

بعلم هو نفس ذاته المنكشفة عنده بذاتها ومريد بإرادتها التي هي نفس ذاته ، بل نفس علمه المتعلق بنظام الوجود وسلسلة الأكوان من حيث إنها ينبغي أن توجد(١) .

ردّ الشيخ الأوحد على كلام الشيرازي حول كون الصفات عين الذات

أقول : قوله : بل الحق في معنى كون صفاته عين ذاته أن هذه المعاني المتكثرة ، إلى قوله : الأحدية ، باطل ، لأن الحق في معنى كون صفاته عين ذاته أن جميع هذه الصفات معناها واحد هو ذاته ، لأنها إذا فرض معانيها متكثرة كانت متغايرة مختلفة والمتغايرة المختلفة في نفس الأمر لا تكون واحداً لا كثرة فيه ولا تعدد ولا تركيب لأنها إذا كانت عين ذاته كانت ذاته مجموع معان مختلفة وإن فرض كون جميع تلك المعاني المتغايرة موجودة بوجود واحد إذ كونها موجودة بوجود واحد لا يخرجها عن التغاير والاختلاف .

وقوله : في تفسير تلك العينية بمعنى أنه ليس في الوجود ذاته تعالى متميزاً عن صفته ، غلط ، لأن البسيط البحت والمختلف المتغاير إذا جمعهما وجود واحد لا بدَّ أن يتميز من المختلف إلّا

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية للشيرازي : ٨ / ١٤٥ ـ ١٤٦ الفصل الخامس .

أن يتركب البسيط من المختلفات فيكون مثلها أو ينسلخ الاختلاف منها ، فتكون إياه بمعنى نفي المغايرة بينها وبينه فيكون المراد من الكل شيئاً واحداً بكلّ اعتبار في الذات وفي الصفات وفي الأفعال وفي النسب وفي الأسماء وفي المعنى وفي المفهوم ، حيث يصح استعماله وفي الإرادة والقصد وفي العنوان وفي المعرفة وفي التعرف بالوصف الاستدلالي وما أشبه ذلك .

وأما إذا وسم تلك الصفات باختلاف مفاهيمها وتغاير معانيها تمايزت عن ذاته ، وتميز بعضها عن بعض لأنه هو مقتضى الاختلاف والمغايرة نعم إذا جعل معناها ومفهومها هو معنى ذاته بحيث تكون تلك الألفاظ المترادفة وإنما تكثرت الألفاظ واختلفت وتغايرت لاختلاف آثار أفعالها وتغايرها كما تقول : هو تعالى غفور رحيم جواد كريم رازق سميع عليم ، صح له قوله ، بل هو قادر بنفس ذاته وعالم بعين ذاته أي بعلم هو نفس ذاته ولو أراد بهذا العلم العلم المغاير مفهومه لذاته لم يكن نفس ذاته ، لأن العلم المفهوم لا يكون نفس المجهول المطلق ، وإلّا لكانت ذاته مفهومة قد أحاطوا بها علماً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله : ومريد بإرادتها التي هي نفس ذاته ، إلخ ، غلط لأنا قد قررنا في سائر كتبنا وأجوبتنا أنه ليس لله سبحانه إرادة هي عين ذاته ، لأن الإرادة من صفات الأفعال ، ولهذا يوصف تعالى بها وبضدها فتقول : أراد ولم يرد وليست علماً ولا كالعلم إذ تقول :

أفعل ذلك إن شاء الله ، وإن أراد الله ولا تقول : أفعل ذلك إن علم الله ، لأن العلم صفة ذات لا يوصف به وبضده ، فتقول : علم الله ولا تقول : لم يعلم الله ، كما تقول : لم يرد الله ، وقد تواترت أخبار أئمة الهدى عليهم السلام على حدوث الإرادة والمشيئة وأنه ليس لله سبحانه إرادة قديمة ، ولم يرد خبر عنهم عليهم السلام يدل على قدمها ، بل روى الصدوق[1] في توحيده عن الرضا عليه السلام أنه قال : (**المشيئة والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل شائياً مريداً فليس بموحّد**)[2] انتهى .

والملّا في كتابه الكبير الأسفار استدل على قدم الإرادة وعلى أنها هي علمه وهي عين ذاته إلى أن قال : فعلم من هذه الآيات ونظائرها أن إرادته تعالى للأشياء هي عين علمه بها وهما عين ذاته تعالى ، وأما الحديث فمن الأحاديث المروية عن أئمتنا وساداتنا عليهم السلام في الكافي وغيره في باب الإرادة ما ذكر في

---

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) التوحيد : ٣٣٨ ح ٥ باب المشيئة والإرادة ، ومستدرك الوسائل : ١٨ / ١٨٢ ح ٢٢٤٤٩ ، ونور البراهين : ٢ / ٢٤٣ ح ٥ ، ومختصر البصائر : ١٤٣ .

الصحيح عن صفوان بن يحيى قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق فقال : (**الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله فإرادته إحداثه لا غير ذلك ، لأنه لا يروّى ولا يهم ولا يفكر ، وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق فإرادة الله الفعل لا غير ذلك ، يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له**)(١) انتهى . لعل المراد من الضمير تصور الفعل وما يبدو بعد ذلك واعتقاد النفع فيه ثم انبعاث الشوق من القوة الشوقية ثم تأكده واشتداده إلى حيث يحصل الإجماع المسمّى بالإرادة فتلك مبادئ الأفعال الإرادية القصدية فينا والله سبحانه مقدس عن ذلك كلّه ، انتهى ما أردت نقله من كلامه(٢) .

فبالله عليك تأمل حال هذا الرجل وأتباعه في زعمهم أن الإرادة قديمة وهي عين ذات الله سبحانه ، وانظر كيف يستدلون على تلك الدعوى بمثل هذا الحديث الصحيح الصريح في خلاف دعواهم ، فإنه عليه السلام قال : (**وأما من الله فإرادته إحداثه لا**

(١) أصول الكافي للكليني : ١ / ١٠٩ ح ٣ ، ومستدرك البحار : ٤ / ٢٤٧ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٣٩٧ ح ٩٨ .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية للشيرازي : ٨ / ٣٥٦ الفصل الثامن .

غير ذلك) وهذا الكلام عند الملّا هو معنى أن إرادة الله قديمة وأنها عين ذاته كما ذهب إليه الصوفية وأتباعهم مع أن أهل البيت عليهم السلام لم يرد عنهم حديث يوهم كونها قديمة وإنما ذلك مذهب أعدائهم وأئمة الضلال ، ومن قال من فقهائنا بقدمها لم يستند إلى حديث قط ، وإنما نظر في كتب المتكلمين وليس فيها إلّا قال الحسن البصري وقال النظام وقال الجبائي وقالت الكرامية وقال محمد بن عبد الوهاب القطان وأمثالهم ، ولم يراجع آية ولا رواية قط فإذا قيل لأحدهم في ذلك قال : هذه اعتقادات وليس لها دليل إلّا من العقول .

وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم ، ولا شك أن أفضل الأعمال انتظار الفرج من الله سبحانه اللهم عجّل فرج ولي الفرج ومقيم العوج ، اللهم أقم به الدين وانصر به المؤمنين إنك أرحم الراحمين .

ثم إن الملّا ذكر كلاماً طويلاً بعد ما نقلته وأريد أن أنقله وإن لم أتكلم على كلّ ما فيه لعدم خصوص الفائدة في هذا المقام ولو اقتضى بعض منه بياناً ذكرته .

قال[1] : وينبعث من كلّ الصفات صفات أُخر مثل كونه

---

(١) أي الملا صدرا في الحكمة المتعالية .

حكيماً وغفوراً خالقاً رؤوفاً رازقاً رحيماً مبدئاً ومعيداً مصوراً منشئاً محيياً مميتاً إلى غير ذلك فإنها من فروع كونه قادراً على جميع المقدورات بحيث لا يدخل ذرات من ذرات الممكنات والمعاني في الوجود بأية حيثية كانت من الحيثيات إلّا بقدرته وإفاضته بوسط أو بغير وسط ومثل كونه سميعاً وبصيراً ومدركاً وخبيراً وغير ذلك مما يتفرع ويتشعب من كونه عليماً ، وكذلك قياس سائر الأسماء والصفات غير المتناهية الحاصلة من تراكيب هذه الأسماء والصفات كتركيب الأنواع والأصناف والأشخاص من معاني ذاته كالأجناس والفصول الداخلية ، أو عرضيته كاللوازم والأعراض العامة والخاصة الخارجية فإن من الأسماء والصفات ما هي جنسية ، ومنها ما هي فصلية ونوعية ، ومنها ما هي شخصية كخالقية زيد والعالمية لعمرو ، وكلّ هذه الأسماء والصفات يستدعي مظاهر ومجالي مناسبة إياها بها يظهر أثر ذلك الاسم والصفة فيه ، فكلّ صفة من صفات الله العظمى واسم من أسماء الله العليا يقتضي إيجاد مخلوق من المخلوقات يدل ذلك المخلوق على ذلك الاسم كما تدل الأشباح على الأرواح ، والأظلال على الأشخاص ، والمظاهر على البواطن والمرايا على الحقائق ، فالعالم الربوبي من جهة كثرة المعاني الأسمائية والصفات عالم عظيم جدّاً مع أن كلّ ما فيه موجود بوجود واحد بسيط من كلّ وجه ، وهذا من العجائب التي يختص بدركها

الراسخون في العلم فلذلك أوجد البارئ جلّ ذكره ما سواه ليكون مظاهراً لأسمائه الحسنى ومجالياً لصفاته العليا . .[١] .

أقول : إذا كانت كلّ صفة وكلّ اسم يقتضي إيجاد مخلوق غير ما يقتضيه الآخر دل على تغاير الصفات والأسماء في ذواتها ، وتغاير الأشياء يدل على تركيب كلّ واحد منها مما به الاشتراك ومما به الامتياز ، والنقل والعقل دالان على أن التعدد والكثرة لا تكون إلّا بالتركيب وما لا تركيب فيه ولا اختلاف لا يكون فيه كثرة ، وإذا كانت الأشياء المتعددة بوجود واحد فذلك ما به الاشتراك فإن وجد ما به الامتياز تكثرت وتعددت واختلفت وتغايرت في ذواتها ولزمها التركيب مجتمعة ومتفرقة ، وإن لم يوجد ما به الامتياز كانت شيئاً واحداً في ذاتها لا تعدد فيها ولا تركيب ولا اختلاف ولا تغاير ، وإن لم يوجد ما به الامتياز في ذواتها ووجد في آثار أفعالها كانت في نفسها شيئاً واحداً لا كثرة فيه بوجه من الوجوه وكان التعدد والكثرة والاختلاف في تعلق أفعالها بآثارها مثل الشمس إذا أشرقت على الزجاجات المختلفة فإن إشراقها في نفسه شيء واحد وينعكس عن الزجاجات المختلفة ، مختلفاً متعدداً متغيراً ثم على قولنا أن الوجود لا معنى له إلّا أحد أمرين :

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية للشيرازي : ٨ / ١٤٦ ـ ١٤٧ الفصل الخامس .

الأول : الوجود عبارة عن المادة .

والثاني : أنه عبارة عن المعنى المعبر عنه في الفارسية بهست ، وهذا صفة تابعة لموصوفها في الثبوت ومرتبة التحقق على تحقق الموصوف ، وعلى قولهم الوجود شيء سار في الأشياء كسريان الروح في الجسم يطرد عنها العدم وهو حقيقة الشيء وما سواه من الشيء أمور موهومة لا تحقق لها ، فعلى قولنا لا يكون الشيئان موجودين بوجود واحد إلّا إذا كانا حصتين من حقيقة واحدة كحصتين للباب وللسرير من الخشب فإذا كانا كذلك لم تتحقق فيهما الاثنينية إلّا إذا تركب كلّ منهما من الخشب ومن الصورة الشخصية ، وحينئذ لا يكون أحدهما عين الآخر كما لا تكون الفرس عين الكلب ولا تتميز الحصتان من ذواتهما بدون مشخص وجودي متحقق لم يكن منهما وإلّا لامتنع أن يدخلا تحت حقيقة واحدة كالمتباينين مثل النور والظلمة ، وعلى قولهم يلزم التنافي والتدافع ، لأن ذلك الساري في الشيء إن تقوّم به الشيء تقوّماً ركنياً كتقوم السرير بالخشب فليس إلّا ما قلنا من المادة ، إذ لا يلزم أن تكون المادة من التراب أو من العناصر أو من الطبائع كالأفلاك ، بل المراد من المادة ما تقوّم به الشيء من المعروضات وهي في كلّ شيء بحسبه ، فمادة الأفئدة من الأسرار ، ومادة العقول من الأنوار ، ومادة الأرواح من الهواء الدهري ، ومادة النفوس من الماء الدهري ، ومادة الطبائع

من النار الدهرية ، ومادة الهباء من الذر الدهري ، ومادة المثال من الأظلة البرزخية ، ومادة الأفلاك من الطبائع الجوهرية ، ومادة العالم السفلي من العناصر .

والحاصل ضابط المادة ما يدخل على اسمها لفظ من التبعيضية تقول صغت الخاتم من فضة ، والباب صنعته من الخشب قال الصادق عليه السلام : (**إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته**[١] **فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة**)[٢] الحديث .

فكما لا يلزم أن تكون المادة لكلّ شيء من العناصر بل هي في كلّ شيء بنسبة رتبته من الكون ، كذلك لا يلزم أن يكون الوجود لكلّ شيء من النور بل نقول وجود الباب من الخشب يعني أن كلّ شيء مركب من وجود وماهية ، فالباب وجوده حصة من الخشب وماهيته صورته التي تميز بها عن السرير وهذا على ما نريد من معنى الوجود والماهية بالمعنى الأول بمعنى أن الوجود بالمعنى الأول لكلّ شيء حصة من ذلك النوع الذي صنع منه ، وماهيته بالمعنى الأول حصة من الفصل الذي تقوم به ذلك النوع ،

---

(١) في المصادر المذكورة زيادة : (**وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية**) .

(٢) محاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وبصائر الدرجات للصفار : ١٠٠ باب ١٢ ح ١ و٢ ، وبحار الأنوار : ٦٤ / ٧٣ ح ٢ .

فإن أريد بوجود الشيء ما تقوّم به تقوماً ركنياً فهو حصة معروضة من النوع الذي صيغ منه ذلك الشيء كما ذكرنا .

وإن أريد به ما تقوّم به ذلك الشيء المخلوق تقوّم صدور فهو رأس مختص بإيجاده وإحداثه من فعل الله وهو عبارة باللسان الظاهر عن الحركة الإيجادية والمخلوق لا يتركب من فعل خالقه وإن صدر عنه كما لا تتركب الكتابة من حركة يد الكاتب وإن صدرت عنها ، فإن أريد بالوجود ما قلنا فهو المادة ، وإن أريد به المعنى الثاني فلم يكن وجوداً للشيء وإنما هو إيجاد له والإيجاد فعل الفاعل وفعل الفاعل لا يكون جزءاً من مفعوله إلّا على قول ضرار بن عمر[1] فإنه يقول : إن مشيئة الله تأكل وتشرب وتنكح وتموت وهو قول بعض من الصوفية فإن بعضهم ذهب إلى أن الوجود الذي هو جزء المخلوق هو مشيئة الله تعالى ، وهو قول باطل ظاهر الفساد ، لأن فعل الله الذي هو مشيئته وإرادته إنما قامت به الأشياء قيام صدور فهو مفيض موادّها وإمداداتها وبه وبآثاره التي هي موادها ومنها إمدادها قيوميتها .

وإن أرادوا غير هذين فمن أين وإلى أين ؟ أي فمن أين يأخذون وإلى أين يذهبون ؟ فعلى ما هو الحق المبين كما ذكرنا لطالبي النور واليقين يكون معنى أن صفاته عين ذاته إنها هي وذاته

(١) ضرار بن عمر : من مشاهير المعتزلة وإليه تنسب فرقة الضرارية .

متحدة في الوجود بمعنى أن حقيقة الكل واحدة بسيطة بكلّ معنى وبكلّ اعتبار .

فإذا عرفت كما تقدم أن التعدد والتغاير مطلقاً لا يكون في حقيقة واحدة بسيطة إلّا إذا كانت حصصاً وتمايزت الحصص بالمشخصات والمميزات الغريبة الأجنبية سواء كان في مفهوم أم معنى أم وجود ظهر لك تنافي قولهم وتعارض بعضه بعضاً وتصادمه ولم يرد عليهم ذلك إلّا لأنهم شبهوه بخلقه كما قال الصادق عليه السلام في دعاء الوتيرة بعد العشاء كما رواه الشيخ(١) في المصباح قال عليه السلام : (**بدت قدرتك يا إلهي ولم تَبْدُ هيئة يا سيدي فشبهوك واتخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك**)(٢) الدعاء ، حتى أن الملّا بنفسه نقل في

(١) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، من تلاميذ الشيخ المفيد . ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ توفي في سنة ٤٦٠ هـ وقيل سنة ٤٥٨ .

(٢) مصباح المتهجد : ١١٥ ، وتوحيد الصدوق : ١٢٤ ، وبشارة المصطفى : ٣١٩ ، وأمالي الصدوق : ٧٠٧ ح ٩٧٠ ، والإرشاد للمفيد : ٢ / ١٥٣ ، وبحار الأنوار : ٨٤ / ١١٠ ح ٦ ، ولفظه في المصباح : (**اللهم يا رب الأرباب ويا معتق الرقاب أنت الله الذي لا تزول ولا تبيد ولا تغيرك الدهور والأزمان بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة فشبهوك يا سيدي واتخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك يا إلهي ، وأنا يا إلهي بريء إليك في هذه الليلة من الذين بالشبهات طلبوك وبريء إليك من الذين شبهوك وجهلوك ، يا إلهي أنا بريء من الذين بصفات عبادك وصفوك بل أنا بريء من الذين جحدوك ولم يعبدوك وأنا بريء من الذين في أفعالهم جوروك ، إلهي أنا بريء من الذين** =

كتابه الأسفار قال : قال العلامة الطوسي في شرح رسالة مسألة العلم : (إن تكثر العلم والقدرة إنما حصل في الموجودات الممكنة فقاست العقول مبدأها الأول عليها ووصفه بالعلم والقدرة والتنزيه أن يقال : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(١) انتهى .

وأقول : لقد صدق الطوسي العلامة في كلّ ما قال إلّا في حرف وهو قوله : مبدأها الأول ، فإن هذا غلط وباطل فإن العقول مبدؤها العقل الكلي ، والعقل الكلي مبدؤه نور الأنوار أعني حقيقة محمد صلى الله عليه وآله وحقيقة محمد صلى الله عليه وآله بُدِئَت عن فعل الله عزَّ وجلَّ لا من شيء .

فقول الملّا صدرا فالعالم الربوبي من جهة كثرة المعاني الأسمائية والصفات عالم عظيم جداً مع أن كلّ ما فيه موجود بوجود واحد بسيط من كلّ وجه يدل على أن تلك المعاني الأسمائية كثيرة ولا تكون كثيرة إلّا بتغايرها ، ولا تتغاير إلّا

= بقبائح أفعالهم نحلوك وأنا بريء من الذين عما نزهوا عنه آباءهم وأمهاتهم ما نزهوك ، وأبرأ إليك من الذين في مخالفة نبيك وآله عليه وعليهم السلام خالفوك ، وأنا بريء إليك من الذين في محاربة أوليائك حاربوك وأنا بريء إليك من الذين في معاندة آل الرسول عليهم السلام عاندوك ، اللهم صلّ على محمد وآله واجعلني من الذين عرفوك فوحدوك . .) .

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٨٠ .

باختلاف مشخصاتها وتباينها ، لأن ما يجمعه وجود واحد بسيط إن أُريد بهذا الوجود الجامع حصولها وثبوتها الذي هو الوجود الوصفي كان خارجاً عن حقائقها غير مخرج لها عن تباين ذواتها كما تقول : وجد عندي فرس وعصاً دفعة واحدة وإن أُريد به معنى الإيجاد فكذلك .

وإن أريد به ما به الحصول والكون في الأعيان فليس إلّا حقيقة الشيء وعلى إرادة هذا المعنى تكون أفراد تلك الحقيقة البسيطة حصصاً منها تغايرت وتمايزت بالمشخصات فكلّ واحد منها مركب من الجامع والمائز ، والمركب منها مركب بكلّ اعتبار ، لأن الراسخين في العلم إذا أدركوا تغايرها في معانيها وأدركوا لها وجوداً بسيطاً جامعاً لها ليس إلّا ما بيناه لك من لزوم التركيب ، ومن أن المدرك للحادثين لا يكون قديماً ، لأن القديم لا يدركه الحادث ولا يحيط به علماً إذ ما أدركته لا يكون إلّا حادثاً (**إنما تحدّ الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**)(١) .

---

(١) نهج البلاغة : ١ / ١٢ رقم ١٨٦ ، والاحتجاج : ١ / ٢٩٩ ، وتوحيد الصدوق : ٣٩ ح ٢ باب التوحيد ونفي التشبيه ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ضمن خطبة له ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٧ ورواه عن الإمام الرضا عليه السلام ، وتحف العقول : ٦٦ ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وانظر بحار الأنوار : ٥٤ / ٤٤ ح ١٦ . ولفظه في التوحيد عن علي عليه السلام : (**. . له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا** =

قال(١) : فلما كان قهاراً أوجد المظاهر القهرية التي يترتب عليها آثار القهر من الجحيم ودركاتها وعقاربها وحياتها وعقوباتها وأصحاب سلاسلها وأغلالها من الشياطين والكفار وسائر الأشرار ، ولما كان رحيماً غفوراً أوجد مجالي الرحمة والغفران كالعرش وما حواه من ملائكة الرحمة وكالجنة وأصحابها من المقربين والسعداء والأخيار وهكذا القياس في سائر الأسماء ومظاهرها ومشاهدها والصفات ومجاليها ومحاكيها . واعتبر من أحوال نفسك الناطقة المفطورة على صورة الرحمن وهي حجة الله على الخلق ، فاعرف أن كلّ ما يصدر عنك من الأقوال والأفعال والحركات والسكنات والأفكار والتخيلات هي مظاهر ما كمن في ذاتك من الصفات والأسماء ، فإنك إذا أحببت أحداً واليته(٢) دعتك تلك المحبة إلى أن يظهر منك ما يدل على محبتك إياه من المدح والتعظيم والبسط والتكريم والدعاء له وإظهار الفرح

= مسموع ، ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية ، كيف ولا تغيّبه مذ ولا تدنيه قد ولا تحجبه لعل ولا توقته متى ، ولا تشمله حين ولا تقارنه مع ، إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها ، منعتها منذ القدمة وحمتها قد الأزلية وجنبتها لولا التكملة . .) .

ولفظه في الاحتجاج وشرح المشاعر : (. . . وتشير الآلات إلى نظائرها) .

(١) أي الملا صدرا في الحكمة المتعالية .

(٢) في الحكمة المطبوعة : وواليته دعتك .

والنشاط والتبسم والمطايبة ، ولو لم تكن أحببته لما ظهر منك شيء من هذه الأسماء والأمور والآثار والنتائج مظاهر لصفة المحبة التي فيك ، فإذا عاديت أحداً ظهر منك من الأقوال والحركات والآثار ما يدل على معاداتك إياه كالشتم والضرب والذم وإظهار الوحشة والكراهة له وتمني زواله وتشهي نكاله فهذه الآثار مظاهر لصفة العداوة التي فيك وقس على ذلك نظائره(١) .

أقول : قوله : واعتبر من أحوال نفسك الناطقة المفطورة على صورة الرحمن وهي حجة الله على الخلق ، وإن كان في نفسه في الجملة متسقاً لكنه لا يقاس عليه القديم ، لأن القديم لا يقاس بالحادث .

وأما كون الصورة الإنسانية خلقت على صورة الرحمن فليس المراد به أنها خلقت على صورة الذات الحق تعالى إذ ليس للحق عزَّ وجلَّ صورة ، وإنما المراد أنها خلقت على صورة فعل الرحمن لأنه تعالى تجلى برحمانيّته على عرشه فأعطى كلّ ذي حقّ حقّه وساق إلى كلّ مخلوق رزقه وذلك ما أظهر من أركان الوجود الأربعة : الخلق والرزق والموت والحياة ، فاخترع بمشيئته أكوانها الأربعة الكلية وبإرادته أعيانها ، والنفس وجميع ما يصدر عنها من الأقوال والأفعال والحركات والسكنات والأفكار

---

(١) الحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ١٤٧ الفصل الخامس .

والتخيلات مما هو آثار صفاتها الفعلية آيات لفعل الله ولما صدر عنه من الآثار فإنها خلقت على صورة الفعل كما خلقت الكتابة على صورة هيئة حركة يد الكاتب لا على صورة الكاتب ، فإن الكتابة لو خلقت على صورة الكاتب لدلت عليه من شقاوة أو سعادة ومن حسن أو قبح ، ولكنها لا تدل على شيء من ذلك ، وإنما تدل على هيئة حركة يد الكاتب من اعتدال واستقامة أو خلاف ذلك وإنما كانت الصورة الإنسانية على هيئة صورة الفعل ، لأن الفعل من نوع الممكنات وإنما قال عليه السلام : (**من عرف نفسه فقد عرف ربَّه**)[1] انتهى .

لأنه سلام الله عليه يريد معرفة استدلال عليه لا معرفة تكشف له لأنك إنما تعرف نفسك إذا جردتها عن جميع السبحات حتى النسب والإضافات وعن التجريد ، فإنك تجد ما بقي بعد التجريد الكلي نقشاً فهوانياً وأنموذجاً بحتاً ليس كمثله شيء وهذا باق من المصنوع بعد التجريد الكلي فيكون آية تعرف الله بها بأنه تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[2] ، فذلك الوصف الذي ليس كمثله شيء على وجود موصوف ليس كمثله شيء ، كما تدل الكتابة على

(١) انظر شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ ـ ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة ـ البحث الروائي .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

وجود كاتب ، والأثر على وجود مؤثر ، والنور على وجود منير ، والصفة على وجود موصوف فحيث كان الدال ليس كمثله شيء ولا كيف له كان المدلول عليه ليس كمثله شيء ولا كيف له .

قال : فهذه الأسماء والصفات وإن كانت متحدة مع ذاته تعالى بحسب الوجود والهوية فهي متغايرة بحسب المعنى والمفهوم ، ومن هنا يثبت ويتحقق بطلان ما ذهب إليه أكثر المتأخرين من اعتبارات الوجود وكونه أمراً انتزاعياً لا هوية له في الخارج ولا حقيقة له كسائر المفهومات المصدرية كالإمكان والشيئية والكلية والجزئية ولا يكون متكثراً إلّا بتكثر ما نسب إليها من المعاني والماهيات فيلزم عليهم كون صفاته تعالى موجودات متعددة متكثرة حسب تكثر معانيها وهذا فاسد قبيح جداً ، ولأجل هذا الإلزام ذهبوا إلى أن مفادها ومعناها أمر واحد وكلها ترجع إلى مفهوم واحد ، وكادوا أن يقولوا بأن ألفاظها مترادفة في حقّه وقد علمت فساده .

بل التحقيق كما مرّ مراراً أن الوجود وهو الأصل في الموجودية وهو مما يتفاوت كمالاً ونقصاً وشدة وضعفاً وكلما كان الوجود أكمل وأقوى وأشرف كان مصداقاً لمعان ونعوت كمالية أكثر ومبدأ الآثار والأفاعيل أكثر ، بل كلما كان أكمل وأشرف كان مع أكثرية صفاته ونعوته أشد بساطة وفرادنية ، وكلما صار أنقص وأضعف كان أقل نعوتاً وأوصافاً وكان أقرب إلى

قبول التكثر والتضاد حتى أنه يصير تغاير المعاني المتكثرة التي تكون في الوجود القوي الشديد موجباً لتضاد تلك المعاني في حق هذا الوجود الضعيف ، فتغاير الأسماء المتقابلة له تعالى كالمضل والهادي والمحيي والمميت والقابض والباسط والأول والآخر والغفار والقهار سبباً لتضاد الموجودات وتعاند المكونات التي هي آثارها ومظاهرها كالهداية والضلالة ، بل كالملك والشيطان والحياة والموت ، بل كالأرواح والأبدان ، انتهى ما نقلت من كلامه(١) .

أقول : قوله : فهذه الأسماء والصفات وإن كانت متحدة مع ذاته تعالى بحسب الوجود والهوية ، قد تقدم الكلام فيه ، ومما فيه أن الأسماء لا تكون في رتبة المسمى بل رتبتها بعد رتبة المسمى فلا تتحد معه في الوجود والمعنى الذي يثبتون به الاتّحاد على بعض أفراد الاتّحاد وهو ما عنوه هنا حيث قالوا : إن الشخص إذا تصور صورة فإنها حال تصوره لها لا تنفك عن نفسه فهي حينئذ متحدة بنفسه في الوجود ، وإن كانت نفسه سابقة في الوجود على الصورة فاتحادها بنفسه في الوجود لأنها لا وجود لها إلّا وجود تصوره لها ، ولا وجود لتصوره لها إلّا وجود نفسه فالثلاثة حال تصوره للصورة موجودة بوجود واحد ، وهذا النمط من الاتحاد مبني على

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية للشيرازي : ٨ / ١٤٩ الفصل الخامس .

مجازفة الإفهام وعدم فهم الوجود وحقيقته الموجودة في أفراد الموجودات ، لأنهم فهموا أن الوجود الذي تقوّمت به أفراد الموجودات من نور محمد صلى الله عليه وآله فنازلاً إلى التراب بجميع مراتبه في الكائنات طينة واحدة وحقيقة واحدة بسيطة مختلفة الحصص في الشدة والضعف فهو كنور السراج كلّما قرب منه كان أنور ، وكلما قرب من التراب كان أضعف فنور محمد صلى الله عليه وآله وحقيقته وحقيقة التراب والجمادات شيء واحد من طينة واحدة فيكون وجود الجواهر المجردة والمادية ووجود الأعراض والهيئات الخارجية والذهنية شيئاً واحداً وحقيقة واحدة عندهم .

ولو أرادوا بالاتّحاد بين الأسماء والصفات وبين الذات والأفعال والمفعولات هذا الاتحاد الذي ذكرنا لكان له وجه وإن لم نقبله ولم نقبل أصله الذي قالوا من أن وجود جميع الحوادث على اختلاف حصصه في القوة والضعف والقرب والبعد شيء واحد بسيط ، وإنما يريدون أن الفعل وجوده هو وجود الفاعل ، إذ ليس شيئاً بذاته وإنما هو شيء بفاعله فشيئيته شيئية فاعله ، إذ لا شيئية للفعل والمفعول لا وجود له إلّا وجود الفعل ولا شيئية له إلّا شيئية الفعل فقد اتّحد المفعول بالفعل في الوجود واتّحد الفعل بالفاعل فهذا الاتّحاد هو الذي يريدونه بالاتّحاد في الوجود ، وهذا ليس بصحيح ، لأن وجود الفاعل هو ذاته وهو قديم .

ووجود الفعل هو ذات الفعل وهو حادث بنفسه لا من شيء

بل وجوده الذي تقوّم به تقوّمَ صدور وتقوّماً ركنياً هو نفسه المبتدعة وذاته المخترعة لا من شيء ، ووجود المفعول الذي تقوّم به تقوّماً ركنياً هو أثر الفعل وتأكيده لا نفس وجود الفعل ولا من نفسه ، فإن وجود الأثر ليس من وجود المؤثر ، ووجود النور ليس من وجود المنير إذ الأثر من هيئة فعل المؤثر والنور من هيئة فعل المنير ، وذلك لأن الصفة لا تتحد بالموصوف في الوجود الذاتي وأن جمعهما الوجود المعنوي المصدري المعبر عنه في اللغة الفارسية بِهَسْت أعني الكون في الأعيان .

وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذا الوجود إذا جمع اثنين لا يكون منه اتحادهما كما هو المدعى بأن يكونا شيئاً واحداً في الذات ولا في الرتبة إذا كان أحدهما معروضاً والآخر عرضاً .

وأما الاتّحاد الذي نعني فإنه تعبير عن المتحد في نفس الأمر لأنه واحد حقيقي سمّي بأسماء كثيرة باعتبار أفعاله المتكثرة كما تسمّي زيداً ضارباً وقائماً وقاعداً وماشياً ومتحركاً وساكناً ، هذا إذا سميته باعتبار أفعاله .

وإن سميته باعتبار مفعولاته قلت عالماً وسميعاً وبصيراً بمعنى ما ذكرنا فيما تقدم في المثال بك فإنك سميع باعتبار إدراكك للمسموع ، وبصير باعتبار إدراكك للمبصر ، وعالم باعتبار إدراكك للمعلوم واشتق لك من لفظ أسماء ما أدركته أسماء والمسمى منك بكلّ واحد منها شيئاً واحداً وهو أنت ، لأنك أنت

المدرك للمسموع ، وأنت المدرك للمبصر ، وأنت المدرك للمعلوم فتعددت الجهات من جهة المفعولات المتعددة وإذا لحظت منشأ الإدراك لهذه المفعولات وجدته شيئاً واحداً من كلّ جهة وبكلّ اعتبار ، فإذا سميته بتلك الأسماء وجب اتحاد معانيها ومفاهيمها وعدم تغايرها وإلّا كان ذات جهات وحيثيات ، فإذا اتحدث معانيها ومفاهيمها بأن كانت معنىً واحداً ومفهوماً واحداً كانت مترادفة فكان إطلاق الأسماء بلحاظين :

أحدهما : إن أطلقت بلحاظ المفعولات والأفعال التي أحدثت بها كانت مختلفة المعاني والمفاهيم وكانت صفات أفعال ولم تكن حينئذ عين ذاته تعالى ، بل هي حادثة بالفعل الحادث .

وثانيهما : إن أطلقت بلحاظ ما صدرت عنه الأفعال كانت متحدة المعاني والمفاهيم وكانت صفات ذات واحدة بسيطة غير مختلفة بحيثية ولا جهة ولا اعتبار ، وحينئذ تكون هي عين ذاته تعالى إذ لا معنى لها ولا يراد منها غير محض الذات فلا تكون إلّا مترادفة ، لأن المراد بقول عليه السلام : (**وكمال توحيده نفي الصفات عنه**)[1] انتهى ، نفي التعدد والكثرة بكلّ اعتبار لا نفي

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**وكمال توحيده نفي الصّفات عنه لشهادة أنّ كلّ صفة غير موصوف ، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث الممتنع من الأزل ، الممتنع من الحدث**) أصول الكافي : ١ / ١٤٠ ح ٦ ، ونهج البلاغة : ١ / ١٥ ، وشرح أصول الكافي : ٢ / ٢٠١ ، والاحتجاج : ١ / ٢٩٦ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ١٦٦ ح ١٠٦ .

نفس الصفات بأن يقال : لا علم ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ، بل صفات موجودة ولكن الصفة هي الموصوف فالعلم هو الذات بمعنى هو العالم والقدرة هي العلم وهي الذات والسمع هو السميع وهو الذات والبصر هو البصير وهو الذات وهكذا ، وليس بقولنا العلم هو العالمُ وهو الذات أن العلم هو الذات المتصفة بالعلم ولا هو الذات بدون الصفة أي بدون العلم ، بل المراد أن المسمّى بالعلم هو المسمّى بالقدرة بجهة ما سمي بالعلم وبسائر الصفات ، فالمسمّى بالعلم هو الذات العالمة وتلك الذات العالمة هي الذات القادرة وهي الذات السميعة البصيرة فذلك الشيء الحقي المنفرد البسيط هو المسمّى بالله والرحمن والرحيم والعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والمعبود الحق وواجب الوجود والذات البحت ومجهول النعت واللاتعين وما أشبه ذلك .

فإن كان الاسم الذي أطلق عليه له مفهوم معلوم كان مفهومه منسوباً إلى فعله تعالى والمقصود منه الذات الحق تعالى ، وصح إطلاقه عليه وتسميته به لاختصاصه تعالى بذلك الفعل المنسوب إليه ذلك الاسم مثل خالق السماوات والأرض وعالم الغيب والشهادة والرحمن الرحيم .

وإن لم يكن له مفهوم معلوم كان في نفس الأمر جارياً على العنوان ، والمقصود منه الذات الحق تعالى مثل الذات البحت والمجهول النعت واللاتعين فرجع الحاصل من أسماء صفات

الذات إذا أريد منها عينية الذات البحت إلى أنها مترادفة ، وإن فهم منها تغاير المفاهيم والمعاني كانت أسماء أفعال فافهم ، فإن فهمت وإلّا ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾(١) . والسلام على من اتبع الهدى .

وقوله : ومن هنا يثبت ويتحقق بطلان ما ذهب إليه أكثر المتأخرين من اعتبارات الوجود ، إلى قوله : وهذا فاسد قبيح ، فاسد قبيح ، لأن إبطاله ما ذهبوا إليه مبني على ثبوت تغاير مفاهيم الصفات التي هي عين الذات البحت واختلاف معانيها ، وهذا فاسد قبيح كما قلنا مراراً أن ما هو الذات لا يجوز فرض تغايره واختلافه فضلاً عن وقوعه لا بحسب المفهوم ولا بحسب المعنى ولا بحسب الوجود ، لأن مفهوم الذات البحت ومعناها ووجودها شيء واحد ولا يراد مما هو عين الذات البحت شيء غير الذات ، واختلاف الألفاظ راجع إلى اختلاف معاني آثار أفعالها كما نسمي إيجاده تعالى للأكوان أي مواد أنواع الأشياء بخلق وشاء وإيجاده للأعيان أي الصور النوعية ببرأ وأراد وإيجاده للهيئات الشخصية وحدودها بصوَّرَ وقدَّر وإيجاده لتركيب ما قدر بقَضَى وأمضى ، والإيجاد في الأطوار الأربعة واحد سُمّي في كلّ طور ورتبة بغير ما سُمّي به في الأخرى ونحن نريد تبعاً لإرادة موالينا

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٣٦ .

وساداتنا محمد وآله صلى الله عليه وآله أن تلك الصفات هي الذات .

ولا نريد أن الذات خالية من تلك الصفات ، لأن نفي الصفات العينية نفي الذات ، ولا نريد أن الذات متصفة بصفات ملحوظ فيها صفة وموصوف ، لأن الصفة غير الموصوف ولو نسب إلى الذات شيء ذو جهتين جهة بها الاتحاد وجهة بها الافتراق والتغاير كما يقول الملّا وأتباعه لكانت الذات مركبة ذات جهة وجهة وحيث وحيث ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً لأنه إذا قال بأن العلم والقدرة مثلاً متغايران في المفهوم والمعنى كانا مغايرين للذات في المعنى والمفهوم ، وإذا اتّحدا بالذات في الوجود وأراد بالوجود نفس الذات كان المختلف المتغاير في جهة متحداً بالبسيط البحت بذاته فيلزم التركيب في جهة المغايرة مع ما قلنا من أن المفهوم المدرك مفهومه ومعناه بدليل الحكم بالتغاير مدرك محاط به والمحاط به لمثل الملّا حادث ولا يتحد الحادث بالقديم .

وقوله : ومن هنا أي ومن جهة كون صفاته تعالى متحدة بذاته في الوجود مع تغاير معانيها واختلافها تبين بطلان كلام القائلين بكون الوجود اعتبارياً انتزاعياً لأنه إنما صح عينية صفاته تعالى مع تغاير مفهوماتها لأجل كون الوجود ثابتاً متحققاً في الخارج ولو كان اعتبارياً غير متحقق في الخارج لما أمكن فرض اتحادها ،

لأن مفاهيمها ومعانيها متغايرة ولا جامع لها إلّا الوجود ، فإذا كان اعتبارياً كان عدمياً والعدمي لا يكون جامعاً لأشياء متفرقة وجودية .

وأقول : قد بيّنا أن الوجود نفسه لا يجمع المتفرقات لأنه إن كان يراد منه ما تتقوم به الأشياء تقوماً ركنياً لم يلزم منه الاتحاد ، لأن الأشياء التي جمعها تتعدد وتتكثر بالمشخصات كالخشب الجامع للباب والسرير مع تعددهما لتمايزهما بالمشخصات ، فلو فرض كون الوجود جامعاً لها لم يلزم اتحادها بالذات وكونها عين الذات لثبوت تغايرها ، وإن كان يراد منه الكون في الأعيان أعني المعنى المصدري فلا يكون منه الاتحاد بالطريق الأولى فلا يلزمهم بما ذكروا كون صفاته تعالى موجودات متعددة متكثرة حسب تكثر معانيها .

ثم قال : ولأجل هذا الإلزام ، إلى قوله : مترادفة في حقه يعني لأجل أنهم قالوا بأن الوجود اعتباري انتزاعي ويلزمهم عدم عينية الصفات إذا قالوا بتغايرها ذهبوا إلى أن مفادها واحد حتى كادوا يقولون بترادف ألفاظها لتحصل العينية والاتحاد ، ونحن قد بيّنا لك ما في كلامه .

وأما كلامهم فترادف الألفاظ إذا أريد بالصفات صفات الذات مما لا يرتاب فيه من عرفه ، وأما اعتبارية الوجود فإن أريد به ما نريده نحن من أن المراد منه المادة فقولهم بالاعتباري غلط .

وإن أريد به شيء غير المادة والصورة سواء أريد به الكون في الأعيان أو ما به الكون في الأعيان على رأيهم فلو كنا نثبت شيئاً من الأشياء اعتبارياً لكان قولهم بكون الوجود أمراً اعتبارياً انتزاعياً متجهاً ، ولكنا لا نقول بخلاف العقلي والنقلي :

فأما العقلي فإن الشيء المخلوق الذي خلقه الله لا بدّ وأن يكون متحققاً ثابتاً وهذا مما لا إشكال فيه ، فإن كان موجوداً في الخارج كان متحققاً سواء كان صفة أم موصوفاً ، والصفة قد تكون قائمة بموصوفها قيام صدور كالكلام ، وقد تكون قائمة به قيام عروض كالحمرة في الثوب ، وقد تكون قائمة به قيام تحقق كالمشخصات المميزة للأفراد كالحدود والصور والهيئات فإنها لو لم تكن متحققة في الخارج لم يتميز بين أنواع الجنس وأشخاص النوع بعضها من بعض ، ألا ترى أنك إذا اعتبرت أن زيداً الطباخ للسلطان هو الملك لم يكن ملكاً باعتبارك ما لم تتحقق الصفة في الخارج .

وإن كان موجوداً في الذهن خاصة لم يظهر مقتضاه في الخارج ، فلو كان الإمكان أمراً اعتبارياً ولم تكن له هوية في الخارج وإنما توجد في الذهن لكان زيد الموصوف بالإمكان قديماً ، لأنه لا واسطة بين القديم والممكن فإذا لم يتصف في الخارج بالإمكان كان قديماً ، ولو كانت شيئية زيد غير متحققة في الخارج ولم يتصف زيد بها إلّا ذهناً لم يكن زيد شيئاً وكذا الكلية والجزئية .

وإن كنتم لا تطلقون المتحقق إلّا على الشيء القائم بنفسه ، وأما الصفة المتقوّمة بموصوفها التي لا يمكن قيامها بذاتها فلا تطلقون عليها التحقق لم تكن حركة الحيوان عندكم متحققة في الخارج ولا العلم والقدرة وأمثال ذلك إذ لا يتقوّم منها شيء بنفسه فلا يكون متحققاً بل هو اعتباري والله سبحانه يقول : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾(١) وأنتم تقولون : الموت اعتباري لا تحقق له في الخارج لأنه عدم الحياة عما من شأنه الحياة ، والظلمة اعتبارية لأنها عدم النور عما من شأنه النور مع أنكم ترونها بأبصاركم فكيف تدرك أبصاركم ما هو غير ثابت ولا متحقق في الخارج ؟ فإذا سلكتم هذا المسلك كنتم قد نفيتم الوجود عن نصف العالم ، لأن نصف الممكنات كلها بهذه الطريقة ليس فيها ثخين إلّا نفس الجمادات خاصة فاعتبروا يا أولي الأبصار .

وأما النقلي فمنه قول الصادق عليه السلام : (**كلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مثلكم مخلوق مردود إليكم**)(٢) انتهى .

---

(١) سورة الملك ، الآية : ٢ .

(٢) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨ ، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣ ، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦ ، وكتاب الوافي : ١ / ٨٩ ، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨/ ٤٢٠ ، ولفظه =

وفي كتاب العلل للصدوق رحمه الله في باب علة خلق الخلق بإسناده إلى الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : لِمَ خلق الله عزَّ وجلَّ الخلق على أنواع شتى ، ولم يخلقه نوعاً واحداً ؟

فقال : **(لئلا يقع في الأوهام على أنه عاجز ولا تقع صورة في وَهْمَ أحد[1] إلّا وقد خلق الله عزَّ وجلَّ عليها خلقاً لئلا يقول قائل : هل يقدر الله عزَّ وجلَّ على أن يخلق صورة كذا وكذا لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلّا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كلّ شيء قدير ؟)**[2] انتهى .

وقوله : بل التحقيق كما مرّ مراراً أن الوجود هو الأصل في الموجودية وهو مما يتفاوت كمالاً ونقصاً وشدة وضعفاً إلخ ، يريد به أن الوجود لما كان أصلاً في موجودية الأشياء كلها كان

= قال عليه السلام : **(هل سمّى عالماً قادراً إلّا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوهّم أن لله زبانيتين لأنّهما كمالها وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له)** .

(١) في المصادر المذكورة : **(وَهْمَ مُلحد)** .

(٢) علل الشرائع : ١ / ١٤ ح ١٣ باب (٩) علة خلق الخلق واختلاف أحوالهم ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٨١ ح ١ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٤١ ح ١٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥١ ح ٦٢ .

أكمل وأشرف وأقوى ، وما كان كذلك كان جامعاً لكلّ كمال وصفة حميدة ، وما كان كذلك كان أكثرها نعوتاً ومعان كمالية ، وما كان كذلك كان أكثرها أفاعيل وآثاراً .

وما كان كذلك كان أشدها بساطة وتوحّداً ، لأن المتكثر الجهات إن لم يكن شديد البساطة عاقته الكثرة الذاتية عن الأفاعيل الكثيرة والآثار العديدة ، وإذا اشتدت بساطته طوت الكثرة وحدته لعدم الموانع والعوائق ، ولذا قال تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾(١) وقال : ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾(٢) فكثرة مفاهيم الصفات وتغاير معانيها لا تنافي الوحدة والبساطة لشدة بساطة الجهة الجامعة للمختلفة المتكثرة وهي الوجود الجامع لها .

والجواب : إن البساطة التي طوت الكثرات إنما هي لخلوص وحدتها وتجردها عن مطلق الاختلاف والتغاير الذي به كان غير متناهي الكمال والشرف والغنى المطلق إذ الغنى المطلق ينافيه مطلق التغاير والاختلاف إذ أدنى ما فيه من المنافي اعتبار عدم المنافاة والاحتياج إليه وهو كاف في المنافاة وظهور كثرة الأفاعيل والآثار غير المتناهية فيما هو كلمح البصر أو هو أقرب شاهد

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة القمر ، الآية : ٥٠ .

صدق ومقتضى حقّ بانتفاء تغاير مفاهيم الصفات ومعانيها ، إذ الوحدة الحقية والغنى المطلق لا يجامعهما تغاير المفاهيم والمعاني ولو بالفرض في حال من الأحوال في الأماكن الثلاثة في الخارج وفي نفس الأمر وفي الذهن والتعقل ، ولا في ظلمات الرابع من التوهم والتجويز والشك ، ثم لا مناص عن القول بالترادف أو إرجاع التغاير إلى متعلقات الأفعال من الآثار المختلفة باختلاف رتبها وقوابلها حال التعلق أو أنها صفات أفعال ابتداءً وليس ثبوت هذه القدرة والقهر للذات إلّا لتحقق البساطة والغنى المطلق ، وما يتحقق ذلك إلّا لعدم وقوع التغاير المفروض وقوعه ولو ثبت التغاير تحقق لازمه وهو النقص والضعف والحاجة المنافية للبساطة والغنى المطلق ، وليس كثرة الآثار والمظاهر وتعددها لأجل وجود التغاير واختلاف المفاهيم والمعاني المتحققين في الصفات الذاتية كما يشير إليه كلام الملا ، وإنما التعدد والتغاير والاختلاف الواقعة في الأشياء لتعدد الأفعال وتغايرها وتضادها وذلك لاختلاف القوابل والمشخصات والقوابل وحدودها ومشخصاتها خلقت من المقبولات وبالمقبولات ، بل سبب تعدد الأفعال هو تعدد القوابل والمشخصات وترجيح الفاعل لمفعولاته بترجحها في نفسها حين تكوينها لا قبله ولا بعده إذ لا وجود لها قبل تكوينها ولا ذكر ،

وإنما خلقت القوابل من المقبولات ، والمقبولات لا وجود لها ولا تحقق قبل قوابلها فخلق تعالى شرط وجودها وظهورها منها كما خلق الانكسار من الكسر والانكسار شرط وجود الكسر وظهوره .

ونحن نقول : الماهية شرط وجود الوجود وظهوره وهي خُلِقَت من الوجود من نفسه من حيث هو هو لا من حيث كونه أثراً لفعل الفاعل ، والماهية هي القابلية والوجود هو المقبول ، والوجود بالمعنى الأول على ما اصطلحنا عليه هو المادة وهو حصة من الجنس كالحصة من الحيوان التي هي مادة النوع تختص بالإنسان إذا حمل عليها الفصل الإنسان أعني الناطق وهو الصورة النوعية والوجود بالمعنى الثاني هو كون الشيء أثر فعل الله وصنع الله ونور الله والماهية هي الشيء من حيث هو هو .

وقوله : حتى أنه يصير تغاير المعاني المتكثرة التي تكون في الوجود القوي الشديد موجباً لتضاد تلك المعاني في حق هذا الوجود الضعيف إلى آخر كلامه ، غلط فاحش ، لأن تغاير المعاني المتكثرة الذي هو تغاير الأسماء المتقابلة كالهادي والمضل والمحيي والمميت ليس منسوباً إلى الذات الذي هو الوجود القوي الشديد ، وإنما ذلك راجع إلى فعله الذي هو الوجود الضعيف القابل للتضاد وليس في الوحدة الحقية تغاير ولا تقابل ، وإنما التغاير والتقابل حاصل للفعل المتعدد المتكثر

المتعاقب باعتبار تعلقه وارتباطه بآثاره المتغايرة المتكثرة المتعاقبة وكلّه بجميع أنواعه وأفراده من الوجود الضعيف الحادث ولم يكن سبباً لتضاد الموجودات وتعاندها وتغايرها وكثرتها إلّا إرادة الفاعل المختار التي هي فعله لا غير ذلك ، وإنما صح صدور الأمور المتعددة غير المتناهية وهو صدور الأفعال المتعددة غير المتناهية من أنفسها وصدور المفعولات المتعددة غير المتناهية من تلك الأفعال بقدرة الفاعل عزَّ وجلَّ مع عدم التعدد في ذاته ولا في جهته لا واقعاً ولا تعقلاً ولا في نفس الأمر ولا فرضاً ولا تجويزاً ، لأن توحّد ذاته وبساطته وغناه هو نفس ذاته البحت غير المتناهية في حال فلا يكون لتوحده وبساطته وغناه حدٌّ بحال ففرض استغناء شيء عنه أو مشاركة غيره له في الاحتياج إليه مناف للوحدة والبساطة والغنى المطلق فللوحدة المطلقة والبساطة الحقة والغنى المطلق استوى من كلّ شيء في كلّ شيء ، إذ ذلك هو الموجب للإحاطة بكلّ شيء في كلّ شيء[١] .

(١) إلى هنا وجد في النسخة الأصلية وغيرها من النسخ .

٣ ــ رسالة حياة النفس في حضرة القدس في بعض ما يجب على المكلفين من معرفة أصول الدين

٣ ـ رسالة حياة النفس في حضرة القدس
في بعض ما يجب على المكلفين من معرفة أصول الدين

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد التمس مني بعض الإخوان الذين تجب طاعتهم أن أكتب لهم رسالة في بعض ما يجب على المكلفين من معرفة أصول الدين ؛ أعني : التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد وما يلحق بها بالدليل ولو إجمالاً لا بالتقليد ، على ما يظهر من ذلك مما يحتمله عوام الناس ، فأجبتهم إلى ذلك على ما أنا عليه من كثرة الأشغال ودواعي الأعراض وملازمة الأمراض ، إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور .

وسمّيت هذه الرسالة (حياة النفس في حضرة القدس) .

ورتبتها على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة كلّ باب يشتمل على فصول .

الاعتقاد بأن الله تعالى لم يخلق العباد عبثاً لحكمته

أما المقدمة ، فاعلم[١] أن الله سبحانه لم يخلق العباد عبثاً لأنه حكيم ، والحكيم لا يفعل ما لا فائدة فيه ، ولما كان غنياً غير محتاج ، لأن المحتاج محدث كانت فائدة خلقه للخلق راجعة إليهم ليوصلهم إلى السعادة الأبدية وذلك متوقف على تكليفهم بما يكون سبباً لاستحقاق السعادة الأبدية ، ولو لم يكلفهم لما استحقوا شيئاً ، ولو أعطاهم بغير عمل[٢] كان عبثاً وقد ثبت أنه حكيم لا يفعل العبث قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[٣] .

ولما أراد خلقهم أنعم عليهم كرماً ، لأنهم لا يكونون شيئاً إلّا بنعمته[٤] ، فلما أنعم عليهم وجب عليهم شُكر النِّعم ، ولا يمكنهم شكر نِعمه حتى يعرفوه لئلا يفعلوا ما لا يجوز عليه ، فشكر نعمه متوقف على معرفته ، ومعرفته متوقفة على النظر والتفكر في آثار صنعه ، والنظر والتفكر متوقف على الصمت ، يعني الأعراض بالقلب عن الخلق ، فأول الواجبات على

---

(١) في نسخة : اعلم .
(٢) في نسخة : بغيره .
(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥ .
(٤) في نسخة : بنعمه .

المكلفين الصمت كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام[١] ، فإذا صمت عن الخلق تمكن من النظر وهو الواجب الثاني ، وبه يتمكن من المعرفة فمن ترك الواجب الأول من المكلفين فقد ترك الواجب الثاني ، ومن تركه فقد ترك معرفة الله وتوحيده وعدله ونبوة أنبيائه وإمامة خلفاء أنبيائه عليهم السلام ، ومعرفة المعاد ورجوع الأرواح إلى الأجساد ، ومن ترك ذلك فليس بمؤمن بل ولا مسلم ، وكان في زمرة الكافرين واستحق العذاب الأليم الدائم المقيم .

والمراد بالمعرفة التي لا يثبت الإسلام إلّا بها ، اعتقاد وجود صانع ليس بمصنوع وإلّا لكان له صانع ومعرفة الصفات التي تثبت لذاته وهي ذاته ، وإلّا لتعددت القدماء والصفات التي تثبت لأفعاله ومعرفة الصفات التي لا تجوز عليه ، لأنها صفات خلقه والصفات التي لا تجوز على أفعاله لأنها صفات أفعال خلقه ومعرفة عدله ، لأنه سبحانه غني مطلق فلا يحتاج إلى شيء ، وعالم مطلق ، فلا يجهل شيئاً ، ومعرفة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله ونبوة جميع الأنبياء عليهم السلام ، لأنهم الوسائط بين الله سبحانه وبين عباده والمبلغون عنه تعالى إليهم ومعرفة خلفائهم عليهم السلام ، لأنهم حفظة شرائعهم ، فهم حجج الله بعدهم

(١) قال عليه السلام : (**الصَّمتُ رَوضَةُ الفِكرِ**) غرر الحكم : ٥٤٦ .

ومعرفة بعث المكلفين وحشرهم إلى مالك يوم الدين ، وذلك على ما نذكره من تعليم الله تعالى لعباده معرفة ذلك على ألسن حججه عليهم السلام ، كلّ ذلك بالدليل ولو مجملاً ، كما يأتي إن شاء الله تعالى .

الباب الأول
في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى موجود

يجب على كلّ مكلف أن يعرف أن الله سبحانه موجود ، لأنه أوجد العالم ، ولو كان معدوماً لم يوجد غيره وأنه سبحانه باق لاستمرار تجدد آثاره ، والأثر لا يحدث بنفسه إلّا بمؤثر يحدثه ، فالأثر يدل على المؤثر وهو الله سبحانه ولا يصح تغيره تعالى عن حاله وهو كونه موجوداً باقياً مؤثراً فيما سواه وإلّا لكان كسائر خلقه يتغير ويفنى فيكون وجوده من غيره ، فيكون حادثاً يحتاج إلى من يحدثه ، فلما وجدنا الآثار وجدناها تدل على وجود مؤثر وهو الله سبحانه ، ومثال الاستدلال بذلك مثل أشعة السراج فإنها ما دامت موجودة تدل على وجود محدث لها وهو السراج ، ولو لم يكن موجوداً لم يوجد شيئاً[١] منها ، والدليل على أن السراج دائم الإحداث للأشعة وأنها محتاجة إليه في كلّ حال لا تستغني[٢] عنه لحظة أنها لا توجد بدونه ولا تفقد عند ظهوره ،

---

(١) في نسخة : شيء .

(٢) في نسخة : لا يستغني .

كذلك جميع الخلق التي هي آثاره تعالى بالنسبة إلى صنعه على هذا النحو ، ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[١] .

فصل
في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى قديم

ويجب على كلّ مكلف أن يعتقد أنه عزّ وجلّ قديم بذاته ، لم يجر عليه العدم في حال ولا يكون مسبوقاً بالغير ، لأنه إذا لم يكن قديماً كان حادثاً ، إذ لا واسطة بين القدم والحدوث معقولة ، وقد ثبت أنه ليس بحادث لاستلزام الحادث وجود محدث له ، ولأنه لو لم يكن قديماً لجرى عليه العدم في بعض الأحوال فتختلف أحواله ، ومن اختلفت[٢] أحواله ، فهو حادث يحتاج إلى من يحدثه ، ولأنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً مسبوقاً بمن يحدثه تعالى الله عن ذلك ، ولأنه لو لم يكن قديماً بذاته لكان وجوده مستفاداً من غيره فيكون محتاجاً إلى ذلك الغير .

(١) سورة الروم ، الآية : ٢٧ .
(٢) في نسخة : اختلف .

فصل

في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى دائم أبدي

ويجب أن يعتقد أنه تعالى دائم أبدي لأنه عزّ وجلّ واجب الوجود لذاته ، بمعنى أنه وجوده هو ذاته بلا مغايرة ، فوجوب الوجود بالذات يستلزم الدوام الأبدي ، لأن القدم والأزل والدوام والأبد والأولية بلا أول بالذات ، والآخرية بلا آخر بالذات شيء واحد بلا مغايرة ، لا في الذات ولا في الواقع ، ولا في المفهوم ، وإلّا لكان تعالى شأنه متعدداً مختلفاً فيكون حادثاً ، وأما اختلافها في المفهوم فهو المفهوم اللفظي الظاهري المستعمل لتفهيم عوام المكلفين ، ولا يراد من هذه الألفاظ المتعددة المختلفة إلّا مفهوم واحد يقصد منه معنى واحد وإلّا لكان معروفاً بالكثرة والاختلاف ومن كان كذلك فهو حادث ، فقولي : يستلزم الدوام ، عبارة لفظية لأجل التفهيم فنريد من كلّ واحد منها نفس ما تريد من الآخر ، وإلّا فقد وصفته بالصفات المختلفة ومن كان كذلك فهو حادث .

فصل
في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى حيّ

ويجب أن يُعتقد أنه عزّ وجلّ حيٌّ لأنه أحدث الحياة وأحدث الإحياء ، ويستحيل في العقول أن يحدث الحياة والإحياء من ليس بحيّ ، فلما رأينا من بعض مصنوعاته الحياة والإحياء المتصفين بها ، علمنا أن صانعها حيّ ، وقد ثبت أنه قديم ، فحياته إن كانت حادثة لم يكن هو حياً قبل حدوثها وتكون حينئذ مستفادة من الغير ، وذلك حال المصنوع فثبت أنها قديمة ، ثم إن كانت حياته مغايرة لذاته ولو بالفرض تعددت القدماء ـ وهو باطل كما يأتي في دليل التوحيد إن شاء الله تعالى ـ فيجب[1] أن تكون حياته عين ذاته ، إذ لا واسطة بين كونها عين ذاته وبين كونها غير ذاته فإذا انتفى التعدد والمغايرة ثبتت[2] الوحدة .

---

(١) في نسخة : فوجب .
(٢) في نسخة : تثبت .

فصل
في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى عالم

ويجب أن يعتقد أنه عزّ وجلّ عالم ، بدليل أنه خلق العلم في بعض خلقه والعالم المتصف به ، ومن لم يكن عالماً ، لم يصح أن يصنع من هو عالم بما يصنع فيه من العلم ، ولأنه صنع الأفعال المحكمة المتقنة الجارية على مقتضى غاية الحكمة ونهاية الاستقامة ، ومن لم يكن عالماً لم يصدر عنه مثل ذلك .

بيان العلم القديم والعلم الحادث

وعلمه قسمان : علم قديم هو ذاته ، وعلم حادث وهو ألواح المخلوقات ، كالقلم واللوح وأنفس الخلائق .

فأما العلم القديم فهو ذاته تعالى بلا مغايرة ولو بالاعتبار ، لأن هذا العلم لو كان حادثاً كان تعالى خالياً منه قبل حدوثه فيجب أن يكون قديماً ثم لا يخلو ، إما أن يكون هو ذاته بلا مغايرة أو لا ، فإن كان هو ذاته بلا مغايرة ثبت المطلوب ، وإن كان غير ذاته تعددت القدماء وهو باطل .

وأما العلم الحادث فهو حادث بحدوث المعلوم لأنه لو كان

قبل المعلوم لم يكن علماً ، لأن العلم الحادث شرط تحققه وتعلقه[1] وأن يكون مطابقاً للمعلوم ، وإذا لم يوجد المعلوم لم تحصل المطابقة التي هي شرطه وأن يكون مقترناً بالمعلوم وقبله لم يتحقق الاقتران ، وأن يكون واقعاً على المعلوم وقبله لم يتحقق الوقوع ، وهذا العلم الحادث هو فعله ومن فعله وهو من جملة مخلوقاته ، وسميناه علماً لله تبعاً لأئمتنا عليهم السلام ، واقتداءً بكتاب الله حيث : ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[2] وقال : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾[3] .

---

(١) في نسخة : تعقله .

(٢) سورة طه ، الآية : ٥٢ .

(٣) سورة ق ، الآية : ٤ .

فصل
في وجوب الاعتقاد بقدرة الله واختياره

ويجب أن يعتقد أنه عزّ وجلّ قادر مختار .

أما أنه تعالى قادر فلأنه تعالى غني مطلق وكلّ ما سواه محتاج إليه في كلّ شيء لتوقف وجودها على فعله ، إذ لا وجود لها من نفسها وإلّا لاستغنت عنه دائماً ، ولأجل كونه قادراً على كلّ شيء أعطاها[١] ما سألته بلسان استعدادها ، ولو لم يكن قادراً ، لما أعطى كلّ شيء خلقه لعجزه عما يحتاج[٢] إليه أو بعضه ، والعاجز محتاج إلى القادر ؛ فيكون محدثاً تعالى عن ذلك .

وأما أنه مختار فلأنه خلق الاختيار والمختار ومن ليس بمختار لا يصدر عنه من هو مختار ، ولأنه أخّر بعض مصنوعاته عن بعض مع قدرته على تقديم ما أخّر وتأخير ما قدم لنسبة ذاته إلى جميع الأشياء على السواء ، ولو كان موجباً لم يتخلف شيء من آثاره عنه .

---

(١) في نسخة : أعطاها على .

(٢) في نسخة : تحتاج .

فصل
في وجوب الاعتقاد بعلم الله تعالى لكل شيء

ويجب أن يعتقد أنه تعالى عالم بكلّ معلوم ، وقادر على كلّ مقدور ، لأن نسبة جميع المعلومات والمقدورات في الاحتياج إليه على السواء ، وغنى ذاته عن كلّ ما سواه فلا تكون بشيء أولى منها بآخر ، ولو كان تعالى عالماً بشيء دون آخر وقادراً على شيء دون آخر لاختلفت[1] نسبته إليها ، والمختلف أحواله ونسبه حادث متغير[2] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

---

(١) في نسخة : لاختلف .
(٢) في نسخة : فيتغير .

فصل
في وجوب الاعتقاد بأن الله سميع بغير آلة بصير بلا جارحة

ويجب أن يعتقد أنه سبحانه سميع بغير آلة بصير بلا جارحة :

أما أنه سميع فلأن كلّ ما سواه متقوم بأمره صادر عن صنعه ، إما بالذات أو بالتقدير ، ومن جملتها المسموعات فهي حاضرة عنده في ملكه الذي أقامه بقيمومة أمره وفعله كما قال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾[1] فسمعه للمسموعات عبارة عن حضورها لديه ، وعلمه بها على ما هي عليه ، وليس ذلك حاصلاً له بواسطة آلة ، وإلّا لكان محتاجاً إليها في إدراكه المسموعات ، وقد ثبت أنه غني مطلق ، وإنما حصل له ذلك بحضورها لديه حال كونها قائمة بأمره ، وليس لها حال غير ذلك وإلّا لتقومت بنفسها من دون أمره وهو باطل ، وهذا الحضور هو علمه بها الحضوري وهو سمعه الحضوري ، وأما سمعه القديم فهو ذاته ويحيط بها في أماكنها لا في ذاته ، تعالى أن يكون محلاً للحوادث .

---

(١) سورة الملك ، الآيتان : ١٣ ـ ١٤ .

والكلام في بصره تعالى وإدراكه للمبصرات كالكلام في السمع في[1] جميع الأحوال .

وسمعه وبصره القديمان عين ذاته بلا تعدد إلّا في اللفظ كما تقدم في العلم ، لأن السمع والبصر والعلم شيء واحد ومتعلقهما[2] متعدد ، فإن المسموع هو الأصوات ، والمبصر هو الألوان والأعراض ، والمعلوم هو الموجود .

---

(١) في نسخة : من .
(٢) في نسخة : متعلقها .

فصل
في وجوب الاعتقاد بتوحيد الله تعالى

ويجب أن يعتقد أنه تعالى واحد لا شريك له ، لأنه كامل مطلق وغني مطلق ، فيكون كلّ ما سواه محتاجاً إليه ، فيكون متفرداً بالألوهية ولو فرض معه إله وجب أن يكون مستغنياً عنه تعالى ، وإلّا لم يكن إلهاً ، ولو كان من فرض شريكاً له تعالى محتاجاً إليه عزّ وجلّ لكان أكمل لكماله المطلق من كون ذلك الشريك مستغنياً عنه تعالى ، وأتم لغناه المطلق ، ففرض وجود شريك مستغن عنه تعالى نقص في كماله وغناه ، فلا يكون له شريك لاستلزام التعدد حصول النقص في الكمال المستلزم للحدوث .

ولأنه لو كان له شريك في أزليته لوجب أن يكون بينهما فرجة قديمة وجودية لتحقق الإثنينية فيكونون ثلاثة ، وتلزم الفرج القديمة بينهم فيكونون خمسة ، وهكذا بلا نهاية وهو باطل .

ولأنه لو كان معه شريك في أزليته لاشتركا في الأزل واختص كلّ واحد بما يميزه عن الآخر فيتركب كلّ واحد منهما مما اشتركا فيه ومما تميز به والمركب حادث .

ولأنه لو كان معه شريك في أزليته لميز كلّ واحد صنعه عن صنع غيره وإلّا لم تثبت الشركة ولاقتضت ذات كلّ منهما العلو على الآخر ، وإلّا لم يكن إلهاً ، وذلك كما قال تعالى : ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(1) .

مراتب التوحيد الأربع

واعلم أنه واحد في أربعة(2) مراتب لا شريك له فيها :

الأولى : لا شريك له في ذاته وقال الله : ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾(3) .

والثانية : لا شريك له في صفاته قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(4) .

والثالثة : لا شريك له في صنعه قال تعالى : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾(5) .

والرابعة : لا شريك له في عبادته قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾(6) .

---

(1) سورة المؤمنون ، الآية : ٩١ .

(2) في نسخة : أربع .

(3) سورة النحل ، الآية : ٥١ .

(4) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(5) سورة لقمان ، الآية : ١١ .

(6) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

فصل

في الاعتقاد بأن الله تعالى مدرك

ويجب أن يعتقد أنه تعالى مدرك ، بمعنى أنه محيط بكلّ شيء متسلط على كلّ شيء ، وذلك هو العلم والقدرة ، لأنه قد وصف نفسه بذلك قال تعالى : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[١] فاللطيف إشارة إلى القدرة[٢] والخبير إشارة إلى العلم ، فالإدراك[٣] هو الذات الأزلي على نحو ما قيل في العلم والقدرة والإدراك المقارن للحوادث من صفات الأفعال ، ثم هو سبحانه في الأزل كما هو عالم ولا معلوم ، كذلك هو مدرك ولا مدرك؛ وهذا حكم صفات الذات لأنها نفس الذات بلا مغايرة .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

(٢) في نسخة : فاللطيف إلى القدرة إشارة .

(٣) في نسخة : فالإدراك القديم .

فصل
في بيان أن الله سبحانه مريد

ويجب الإيمان والاعتقاد بأنه سبحانه مريد ، لأنه سبحانه وصف نفسه بذلك ، فلما وجدنا أن الإرادة لا تكون إلّا والمراد معها لأنها لا تنفك عنه ، علمنا بأنه تعالى وصف نفسه بأنه مريد بواسطة فعله ، وهذا يدل على أنها من صفات الأفعال ، ولو كانت من صفات الذات لكانت هي الذات لعدم التعدد في الذات ، ولو كانت كذلك لما جاز نفيها ، لأن نفيها إذا كانت هي الذات أو من صفات الذات نفي للذات مع أنه تعالى وصف نفسه بنفيها عنه ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾[١] فلو كانت الإرادة هي الذات لكان نفي الإرادة نفي الذات .

وأيضاً الصفة إن كانت توصف الذات بها وبضدها فهي من صفات الأفعال ، لأن الأفعال لها ضد وصفاتها[٢] ضد فإن[٣]

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤١ .
(٢) في نسخة : صفاتها لها .
(٣) في نسخة : وإن .

كانت لا توصف الذات بها وبضدها فهي من صفات الذات ، لأن الذات لا ضد لها ، فالأول مثل الإرادة والكراهة فإنه يقال : هو مريد وكاره فتكونان من صفات الأفعال ، والثاني مثل العلم والقدرة فإنه لا يقال عالم وجاهل وقادر وعاجز فيكونان من صفات الذات ، فالقول بحدوث الإرادة هو مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وعليه إجماعهم ، وهو الحق ، فالإرادة هي فعله تعالى ، وكذلك الكراهة فإنها صفة فعله قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٦ .

فصل
في الاعتقاد بأن الله تعالى متكلم

ويجب الإيمان بأنه تعالى متكلم ، لأنه وصف نفسه بذلك قال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾(١) فلما وجدنا أن الحكيم لا يخاطب بما لا يعرف(٢) المخاطب ونحن لا نفهم من الكلام إلّا أنه الحروف والأصوات المسموعة المنتظمة المركبة ، وقد أجمع أهل اللغة على أن ذلك هو معنى الكلام ، وهي(٣) الأصوات والحروف المؤلفة المتجددة المتصرمة وقد وصف نفسه بذلك ، قطعنا بأنه تعالى إنما أسنده إلى نفسه بواسطة الفعل بحدثه(٤) فيما شاء من خلقه من حيوان ونبات وجماد ، وهو حادث لأنه مركب مؤلف وكلّ مركب فهو حادث ، ولقوله تعالى : ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ ﴾(٥) الآية .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٦٤ .
(٢) في نسخة : لا يعرفه .
(٣) في نسخة : هو .
(٤) في نسخة : بالفعل يحدثه .
(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ٢ .

فصل
في الاعتقاد بأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١]

ويجب على كلّ مكلف أن يعتقد أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ، فليس بجسم ولا عرض ولا جوهر ولا مركب ولا مختلف ولا في حيز ولا في جهة ، لأن هذه صفات الخلق ، ولا يصح على الخالق سبحانه ، أما أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فلأن وجود المشابه يستلزم أن يكون شريكاً له في الصفات الذاتية ، وذلك يقتضي النقص في ذاته تعالى ، لأن عدم النظير أكمل فيكون وجوده نقصاً ومن يجوز عليه النقص يجوز[٢] عليه الزيادة ، ومن كان كذلك فهو متغير أو ممكن التغير فيكون حادثاً ، وأما أنه ليس بجسم فلأن الجسم مركب محتاج إلى أجزائه وإلى محل يحل فيه والمحتاج حادث مصنوع ، وأما أنه ليس بعرض فلأن العرض يحتاج في تحققه وقيامه إلى الجوهر أو الجسم ولا يستغني عنه والمحتاج حادث مصنوع ، وأما أنه ليس بجوهر فلأن الجوهر سواء كان جوهراً فرداً على قول من أثبته

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٢) في نسخة : تجوز .

وهو الذي لا يقبل القسمة طولاً وعرضاً وعمقاً[(١)] محتاج إلى المحل ويلزمه الحركة بالانتقال عنه ، و[(٢)]السكون باللبث فيه وكلّ ذلك حوادث لا يحل[(٣)] إلا في الحوادث ، وأما أنه ليس بمركب فلأن المركب محتاج إلى أجزائه والمحتاج حادث ، وأما أنه ليس بمختلف فلأن المختلف إنما يكون كذلك بتباين أجزائه أو أحوال ذاته ، وكلا الأمرين موجب للتركيب المستلزم للحدوث ، وأما أنه ليس في حيز فلأن من هو في حيز مشابه[(٤)] للحيز فهو من جنسه فيكون حادثاً ولأنه إما لابث فيه فيكون ساكناً أو منتقل عنه فيكون متحركاً ، وكلّ من كان كذلك فهو حادث لاستلزام كلّ منهما له المسبوقية بالآخر ، وأما أنه ليس في جهة فلأن من كان في جهة يلزمه السكون أو الحركة ويلزمه الحواية والتحديد والحصر في بعض دون بعض ، والخلو منه في غير تلك الجهة وكونه شاغلاً للجهة التي هو فيها وكلّ من يلزمه شيء من هذه الأمور فهو حادث .

---

(١) في نسخة (طولاً ولا عرضاً ولا عمقاً أو خطاً وهو الذي يقبل القسمة طولاً أو سطحاً وهو يقبل القسمة طولاً وعرضاً أو جسماً وهو الذي يقبل القسمة طولاً وعرضاً وعمقاً) .

(٢) في نسخة : أو .

(٣) في نسخة : لا تحل .

(٤) في نسخة : متشابه .

فصل

في أن الله لا في شيء ولا منه شيء

ويجب أن يعتقد أنه سبحانه لا في شيء [ولا فيه شيء][١] ، ولا من شيء ولا منه شيء ، ولا على شيء ولا عليه شيء ولا فوق شيء ولا تحت شيء ، ولا ينسب إلى شيء ولا ينسب إليه شيء ، لأن ذلك كلّه صفات الحوادث :

أما أنه لا في شيء فلأنه لو كان في شيء لكان محصوراً والمحصور حادث ، ولكان إما لابثاً فيه فيكون ساكناً ، وإما منتقلاً[٢] فيكون متحركاً .

وأما أنه لا فيه شيء فلأنه لو كان فيه شيء لكان محلاً لغيره ، سواء إن كان ذلك الغير قديماً أم[٣] حادثاً فيكون مشغولاً بالغير ، والمشغول بالغير حادث .

وأما أنه لا من شيء فلأنه لو كان من شيء لكان جزء من ذلك الشيء فيكون مولوداً والمولود حادث[٤] .

---

(١) زيادة من نسخة أخرى .

(٢) في نسخة : منتقلاً عنه .

(٣) في نسخة : أو .

(٤) في نسخة : فيكون مولوداً حادثاً .

وأما أنه لا منه شيء فلأنه لو كان منه شيء لكان ذلك الشيء جزءاً منه فيكون والداً له فيكون حادثاً .

وأما أنه لا على شيء فلأنه لو كان على شيء لكان الشيء حاملاً له فيكون أقوى منه .

وأما أنه لا عليه شيء فلأنه لو كان عليه شيء لكان أعلى منه فيكون أقوى .

وأما أنه لا فوق شيء فمثل كونه في شيء .

وأما أنه لا تحت شيء فكمثل كون شيء فيه .

وأما أنه لا ينسب إلى شيء ولا ينسب إليه شيء فلأن النسبة على الفرضين اقتران ممتنع من الأزل لأنه من صفات المصنوعين .

فصل
في أن الله لا يحل في شيء ولا يتحد بغيره

ويجب أن يعتقد أنه سبحانه لا يحل في شيء ولا يتحد بغيره :

أما أنه سبحانه لا يحل في شيء فلأن الحلول عبارة عن قيام موجود بموجود آخر على سبيل التبعية كقيام الأعراض بالأجسام ، أو على سبيل الظهور كقيام الأرواح بالأجسام ، فلو فرض أنه حالّ بشيء لكان محتاجاً إليه ومتقوماً به فيكون حادثاً .

وأما أنه سبحانه لا يتحد بغيره فلأن الاتحاد : إن فسر بما أحاله العقل كما قالوا وهو أن يصير الشيئان الموجودان شيئاً[١] من غير زيادة ولا نقصان ، والانفعال[٢] من أحد منهما فهو محال حصوله فكيف يوصف به الوجوب الحق ؟ .

وإن فسر بصيرورة الشيء شيئاً آخر فانقلاب[٣] واستحالة فهذا

---

(١) في نسخة : شيئاً واحداً .
(٢) في نسخة : لا انفعال .
(٣) في نسخة : بانقلاب .

وإن جاز في الممكن ، إلّا أنه يستحيل في الواجب تعالى لأنه تحول الشيء من حالة إلى أخرى والواجب عزّ وجلّ لا يتحول عن حالة والذي يتحول حادث متغير .

فصل
في استحالة رؤية الله تعالى

ويجب أن يعتقد أنه تعالى تستحيل عليه الرؤية في الدنيا والآخرة ، لأن الرؤية إن كانت بالقلب وأريد بالمرئي هو الذات البحت فهو باطل ، لأن الذات البحت لا تدركها البصائر لأنها لا تحوم حول حجاب عظمته تعالى ، فلا يدركه لذاته إلّا هو عزّ وجلّ .

وإن أريد بالمرئي آياته وآثار أفعاله فالقلوب تدرك آياته لأنه تعالى تجلى للقلوب بعظمته فتعرف الدليل عليه ، وإن كانت الرؤية بالبصر الحسي فـ : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾(١) ، لأن شرط إدراك البصر للأشياء أن يكون المرئي مقابلاً أو في حكم المقابل كالرؤية بالمرآة وأن لا يكون(٢) بعيداً(٣) قريباً بعداً وقرباً مفرطين ، وأن يكون مستنيراً وأن يكون في جهة ، والله سبحانه ليس معزولاً عن شيء فلا يكون مقابلاً ،

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

(٢) في نسخة : إلا يكون .

(٣) في نسخة : بعيداً أو .

ولا في حكم المقابل ، وليس الله بقريب ولا ببعيد[١] بل هو أبعد من كلّ شيء وأقرب من كلّ شيء ، وبعده وقربه غير متناهيين فهما فوق الإفراط وليس مستنيراً من غيره ولا في غيره ولتكن ذاته مدركة بل ظهوره يمحو ما سواه ، فإن تجلى محا ما سواه وإن لم يتجل لم يقدر أحد أن يراه ، وليس في جهة فيكون محصوراً فيها فلا تمكن رؤيته ، لأن شروط الرؤية لا تجري عليه تعالى ، ولأن ما سواه في الإمكان في الدنيا والآخرة ، ومن[٢] الإمكان لا يدرك من[٣] الأزل فلا يصح رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة .

---

(١) في نسخة : بعيد .
(٢) في نسخة : من كان في .
(٣) في نسخة : من في .

فصل
في الاعتقاد أن الله لا يدرك بشيء من الحواس الظاهرة

ويجب أن يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا يدرك بشيء من الحواس الظاهرة : السمع والبصر والذوق والشم واللمس ، ولا من الحواس الباطنة الحس المشترك والخيال والمتصرفة والواهمة والحافظة ، لأنه عزّ وجلّ لا يشابه شيئاً منها ولا يجانسه والشيء إنما يدرك ما هو من جنسه ويشابهه كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : (**إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**)[1] وقال تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ

(١) نهج البلاغة : ١ / ١٢ رقم ١٨٦ ، والاحتجاج : ١ / ٢٩٩ ، وتوحيد الصدوق : ٣٩ ح ٢ باب التوحيد ونفي التشبيه ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ضمن خطبة له ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٧ ورواه عن الإمام الرضا عليه السلام ، وتحف العقول : ٦٦ ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وانظر بحار الأنوار : ٥٤ / ٤٤ ح ١٦ . ولفظه في التوحيد عن علي عليه السلام : (**. . له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية ، كيف ولا تغيّبه مذ ولا تدنيه قد ولا تحجبه لعل ولا توقته متى ، ولا** =

ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[١] وذلك لأن الحواس الظاهرة والباطنة إنما تدرك المحدود والمكيف والمصور والمميز ، وهو عزّ وجلّ لا حدّ له ، ولا كيف له ، ولا صورة له ، ولا مميز له ، تعالى الله عن جميع صفات خلقه علواً كبيراً .

= تشمله حين ولا تقارنه مع ، إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها ، منعتها منذ القدمة وحمتها قد الأزلية وجنبتها لولا التكملة . .) .

ولفظه في الاحتجاج وشرح المشاعر : (. . . وتشير الآلات إلى نظائرها) .

(١) سورة طه ، الآية : ١١٠ .

الباب الثاني

في بيان معنى العدل

في الأصل الثاني وهو العدل ، وهو عبارة عن أفعال الله عزّ وجلّ[١] العامة المنوطة بالمكلفين في دار التكليف من الأوامر والنواهي وفي دار الجزاء من الثواب والعقاب .

والعدل لغة ضد الجور وهو عبارة عن التساوي فأفعاله تعالى تتعلق بالمكلفين في الدنيا على جهة العدل ، بمعنى أنه لا يكلفهم إلّا بما يطيقون مما فيه صلاحهم بأن يكون جزاؤهم يزيد على قدر التكليف في الطاعة وقدر[٢] فعل المكلف في المعصية لتحصيل[٣] فائدة في تكليفهم وفي خلقهم فيها منفعتهم ، لأنه تعالى غنيّ عن كلّ ما سواه ، وإنما ترجع فائدة التكليف إليهم ، ولما كان عزّ وجلّ لا تجري عليها أحوال خلقه ، كان رضاه عبارة عن فضله ، وكان غضبه عبارة عن عدله ، لأنه لم يغضب على من عصاه لأجل أنه عصاه فهو يتشفى ممن عصاه ، وإنما غضبه في الحقيقة

(١) في نسخة : وهو عبارة عن حكم ما يؤول إلى أفعاله عزّ وجلّ .
(٢) في نسخة : بقدر .
(٣) في نسخة : لتحصل .

عبارة عن إيجاد[١] المسببات بأسبابها فالمعصية سبب تام لإيجاد العقوبة الخاصة بها فيوجد الله سبحانه تلك العقوبة بمقتضى تلك المعصية ، إلّا أن يعفو إذا شاء ، ولأن عفوه مانع من ذلك المقتضى ، فإذا لم يحصل مانع من عفوه تعالى تمّت سببية المعصية فخلق[٢] بها تلك العقوبة وهو حقيقة غضبه ، وليس غضبه كغضب خلقه من غليان دم القلب فينبعث عنه الانتقام لتشفي المخلوق وهو تعالى عن صفات خلقه .

حكم أفعال العباد

وأما حكم أفعال العباد[٣] الاختيارية فهي التي في إمكان المكلف وقدرته أن يفعله ويفعل ضده ، فاعلم أن الأشياء كلها من جميع المخلوقات من الذوات والصفات والأفعال ، إنما تتقوم وتكون شيئاً بأمر الله سبحانه ، فليس شيء منها يستقل من نفسه[٤] ولا في فعله ، ولما أراد من العباد طاعته وامتثال أمره ، ولم يتمكن المكلف من فعل الطاعة إلّا إذا كان متمكناً من تركها فيفعلها باختياره خلقه من نور ظلمة وجعله منهما متمكناً من[٥]

---

(١) في نسخة : إيجاده .
(٢) في نسخة : فخلق الله .
(٣) في نسخة : حكم أفعال الاختيارية .
(٤) في نسخة : بنفسه لا في ذاته .
(٥) في نسخة : من فعل .

الطاعة والمعصية ، فالعبد وأفعاله قائمة بأمر الله سبحانه ، فليست شيئاً إلّا بأمر الله إلّا أنه هو فاعل فعله من غير أن يكون مشاركاً فيه ، فمن قال : بأن الفاعل للفعل الصادر من العبد هو الله سبحانه من خير وشرّ ، ليس للعبد في شيء من أفعاله مدخل ولا سبب بل هو فاعل لفعل العبد وسببه كما خلق[١] العبد كذلك[٢] خالق أفعاله كما تقول[٣] الأشاعرة[٤] ، فقد نسب الله تعالى إلى الظلم ، حيث يلزمهم أنه هو أجبرهم على المعاصي وعاقبهم عليها .

---

(١) في نسخة : فكما هو خالق .

(٢) في نسخة : كذلك هو .

(٣) في نسخة : تقوله .

(٤) قال الشيخ الحرّ العاملي : قد رويت أحاديث متعدّدة في لعن القدريّة وذمّهم وكفرهم ، وهم منسوبون إلى القدر ، فإمّا أن يراد بهم من أثبت القدر على وجه الإفراط وهم أهل الجبر ، أو من نفاه على وجه التفريط وهم أهل التفويض ، وقد فسّره العلماء بالوجهين ، وقد يقرأ بضم القاف وسكون الدال نسبة إلى القدرة ، ويوجّه على الوجهين ، والقسم الأوّل الأشاعرة ، والثاني المعتزلة ، والقسمان منكرون للرجعة ، ولم يقل بها إلّا الإماميّة .

قال المجلسي : الظاهر أنّ المراد بالقدريّة هنا من يقول : إنّ أفعال العباد ووجودها ليست بقدرة الله وبقدره ، بل باستقلال إرادة العبد به واستواء نسبة الإرادتين إليه ، وصدور أحدهما عنه لا بموجب غير الإرادة ، كما ذهب إليه بعض المعتزلة . لا يقول بقول أهل الجنّة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه ، ولا بقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم ، ولا بقول إبليس من إسناد الإغواء إليه سبحانه) مرآة العقول : ٢ / ١٨٤ ح ٤ .

ومن قال : بأن العبد هو فاعل فعله من غير مدخل لغيره في شيء من ذلك بل هو مستقل بفعله لا مانع له منه ولا صاد عنه ، وإلّا لما استحق ثواباً ولا استوجب عقاباً ؛ فقد عزل الله سبحانه عن ملكه وأخرجه عن سلطانه ، كما تقول[١] المفوضة من المعتزلة .

والفريقان خارجان عن طريق الحق والصراط المستقيم ، فإن الأولين مفرطون ، والآخرين مفرطون ، والحق في القول بالحكم الأوسط كما قال جعفر بن محمد عليهما السلام ، (**لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين**)[٢] ، يعني لا جبر بأن يقال : إن الله عزّ وجلّ أجبر العباد على المعاصي ، فإنه لو كان كذلك لما جاز أن يعذبهم على معاصيهم ، وإلّا لكان ظالماً : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[٣] ، ولا تفويض بأن يقال : إنه سبحانه فوض إلى العباد وليس له أمر في أفعالهم ، فإنه لو كان كذلك لكان في ملكه ما لم يقدر أن يكون[٤] ، فيكون معزولاً عن ملكه وسلطانه ، بل أمر بين أمرين ، يعني أن العبد هو الفاعل لفعله على جهة الاختيار من غير

---

(١) في نسخة : تقوله .

(٢) أصول الكافي : ١ / ١٦٠ ح ١٣ ، وتوحيد الصدوق : ٢٠٦ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ١١٤ ح ١٧ ، وروضة الواعظين : ٣٨ .

(٣) سورة فصّلت ، الآية : ٤٦ .

(٤) في نسخة : تكون .

إكراه ولا إجبار ، ولكن بتقدير الله سبحانه الساري في فعل العبد فبدون القدر لم يتم فعل العبد ولم يمض ، ومعنى هذا أن الله سبحانه حافظ للعبد ولما يصدر منه من أفعاله إذ بدون حفظ الله لا يكون العبد ولا أفعاله شيئاً ، فما دام محفوظ البقاء هو وأفعاله فهو شيء وأفعاله الصادرة عنه شيء ، فالعبد المحفوظ فاعل لفعله على الاستقلال من غير مشاركة مع الله تعالى ، فمعنى قولنا : إن العبد فاعل لأفعاله بالله لا بدون الله ولا مع الله ، هو ما أشرنا إليه فإنه طريق مظلم وبحر عميق(١) ، فتفهم ما ذكرنا لك إذ ليس غيره

---

(١) عن عبد الملك بن عنترة الشيباني عن أبيه عن جده قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ؟ قال عليه السلام : (**بحر عميق فلا تلجه**) قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ؟ قال عليه السلام : (**طريق مظلم فلا تسلكه**) قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ؟ قال عليه السلام : (**سرّ الله فلا تكلفه**) . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : (**أما إذا أبيت فإني سائلك أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله ؟**) قال : فقال له الرجل : بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد فقال أمير المؤمنين عليه السلام : (**قوموا فسلموا على أخيكم فقد أسلم وقد كان كافراً**) . قال : وانطلق الرجل غير بعيد ثم انصرف إليه فقال له : يا أمير المؤمنين : أبالمشيئة الأولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : (**وإنك لبعد في المشيئة أما إني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا ؟**) . فقال : كما شاء . قال عليه السلام : (**فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا**) فقال : لما شاء ، قال عليه السلام : (**يأتونه يوم القيامة كما شاء** =

إلّا جبر أو تفويض ، وهذا هو العدل في أفعال العباد فإن عصوا فباختيارهم وبموافقة قدر الله ، ولو شاؤوا أطاعوا ، فلمّا اختاروا المعصية أجرى عليهم لازمها من العقاب ولم يظلمهم لقدومهم على المعصية من غير اضطرار ، وإن أطاعوا فباختيارهم وبموافقة قدر الله ، ولو شاؤوا عصوا فلما اختاروا الطاعة أجرى عليهم لازمها من الثواب واستحقوا الثواب لقدومهم على الطاعة من غير اضطرار ، فيكون معصيتهم بموافقة قدر الله[1] لا تكون بدون هذه الموافقة ، ولم يلزمهم الجبر لتمكنهم حينئذ من الطاعة بموافقة قدر الله ، فاختيارهم لأحد الفعلين لا يفارقه القدر لأنه لا يتم بدون القدر ، فكان العباد مستقلين بفعل خيرهم وشرهم مع تقدير الله لأي الفعلين اختاروا ، فلم يفعلوا إلّا بتقدير الله ، وليس هذا التقدير تقدير حتماً[2] وإنما هو تقدير اختيار ، فافهم .

= **أو كما شاؤوا)** ، قال : يأتونه كما شاء .

قال عليه السلام : **(قم فليس إليك من المشيئة شيء)** توحيد الصدوق : ٣٦٥ ح ٣ ، وبحار الأنوار : ٥ / ح ٥٧ ح ١٠٣ .

(١) في نسخة : الله التي .

(٢) في نسخة : حتم .

الباب الثالث

في بيان النبوة

اعلم أن الله سبحانه لمّا كان غنياً مطلقاً لم يحتج إلى شيء ، فخلق بمقتضى كرمه وفضله خلقاً أحب أن يوصلهم إلى ما شاء من فواضل كرمه ، ولمّا كان حكيماً ، وجب أن يكون ما تفضل به جارياً على مقتضى الحكمة فكلف خلقه بما يستحقون به نيل تلك الفواضل على وجه يخرج تفضله عن العبث . ولما كان سائر الخلق لا يعلمون ما فيه صلاحهم ، لأن ذلك لا يعلمه إلّا الله سبحانه ، وكان عزّ وجلّ لا تدركه الأبصار ولا يقدر الخلق على التلقي منه عزّ وجلّ ، وجب في الحكمة أن يختار من خلقه قوياً يقدر بمعونة الله سبحانه على التلقي منه سبحانه ، ليؤدي إلى الخلق عن الله عزّ وجلّ معاني[1] ما يريد منهم مما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم ، لأن ذلك لطف بهم يتوقف داعي إرادته تعالى بهم صلاح نظامهم في النشأتين على ذلك اللطف ، فيكون واجباً في الحكمة وهو النبي صلى الله عليه وآله ، ولما اقتضت الحكمة

(١) في نسخة : يعاني .

إيجاد الخلائق في أوقات متعددة متعاقبة ، وكانوا مشتركين فيما خلقوا له وفيما يراد منهم ، وجب في الحكمة أن يبعث سبحانه في كلّ أمة رسولاً منهم(١) ليؤدي إليهم ويبلغهم ما يريد الله منهم ، لأنهم لا يعلمون إلّا ما علمهم(٢) حتى انتهت النبوة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله(٣) .

---

(١) قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

(٢) في نسخة : علمهم الله .

(٣) في نسخة : عبد الله خاتم النبيين صلى الله عليه وآله .

فصل

في نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله

لما كانت النبوة من مقتضيات العدل ، وجب أن يكون على أكمل وجه لتحصل فائدة البعثة ، وهو أنه لا بد وأن يظهر الله سبحانه على يد من بعثه الله نبياً أمراً معجزاً لا يقع من أبناء جنسه مثله خارقاً للعادة ، مطابقاً لدعواه ، يكون من الله عزّ وجلّ تصديقاً لدعواه ، وأن يكون صحيح النسب طاهر المولد مستقيم الخلقة مطهراً من جميع الأحوال التي تنفر القلوب منه في خَلقه وخُلُقه بحيث لا يطعن عليه أهل زمانه بشيء ، وأن يكون صادق القول لم يعهد منه كذب ، ولا خيانة ولا طمع في شيء من حطام الدنيا ، وأن يكون أعلم أهل زمانه وأتقاهم وأزهدهم وأعملهم بما يأمر وأنهاهم عما ينهى ، مطهراً من جميع الرذائل والنقائص الظاهرة والباطنة بحيث يعرفه أهل زمانه الذين أرسل إليهم أنه لا يكون فيهم له نظير في كلّ صفة كمال ، وأن يكون معصوماً من جميع الذنوب الصغائر والكبائر ، قبل البعثة وبعدها ، من أول عمره إلى آخره من السهو والنسيان ومن كلّ شيء يتعلل به الرعية من قبول أمره ونهيه ، أو يحصل به الشك فيه أو التوقف في

نبوته ، لأن حجة الله بالغة والنبوة حجة الله على عباده ، ولو جاز أن يكون أحد من المكلفين يجد خدشاً في النبوة ، لما قامت حجة الله عليه ، وأن يكون مسدداً من الله موفقاً للصواب في الاعتقاد والعلم والقول والعمل ، لأن الله سبحانه يتولاه بألطافه وإلهامه الحق ويوصي[(١)] إليه بذلك على حسب مقامه عند الله ويقدر له ملكاً يسدده ، وكلّ ذلك إرادة منه تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[(٢)] لأن النبي هو الإنسان المخبر عن الله بغير واسطة من البشر ، ولا يكون حجة لله حتى يثبت عند المكلف أن قوله قول الله وأمره أمر الله ونهيه نهي الله ، والله قادر على فعل ما تقوم به الحجة[(٣)] على خلقه ، وبذلك يتحقق لطفه بخلقه الذي يتوقف صلاحهم عليه في الدنيا والآخرة ، فيجب عليه فعله في الحكمة وهو تعالى لا يخل بواجب ، لأن الإخلال به قبيح وهو لا يفعل القبيح ، لأنه غني مطلق لا يحتاج إلى شيء .

---

(١) في نسخة : يوحي .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٦٥ .

(٣) في نسخة : الحجة له .

فصل

في نسب رسول الله صلى الله عليه وآله

إذا عرفت هذا ، فنبي هذه الأمة هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس[(١)] بن نزار بن معد بن عدنان صلى الله عليه وآله ، لأنه ادعى النبوة وأظهر المعجز على يديه ، وكلّ من ادعى النبوة وأظهر المعجز المطابق على يديه فهو نبي .

وقد تواتر بين المسلمين وغيرهم من جميع أهل الدنيا أنه قد ظهر رجل في مكة المشرفة اسمه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، ادعى النبوة وأظهر الله المعجز على يديه المطابق لدعواه المقرون بالتحدي فيكون نبياً حقاً ، وهذا التواتر موجب للقطع إلّا لمن سبقت له شبهة ، وهذا أمر متواتر بين جميع أهل الأرض ، لأنه صلى الله عليه وآله خاتم النبيين ، فلا يكون نبي بعده ولا معه فيجب أن يكون نبياً مرسلاً إلى الناس كافة ، لأنهم مكلفون ولا

(١) في نسخة : الياس بن مضر .

يصح تكليفهم بغير حجة ، ولا تثبت لله حجة على خلقه إلّا على النحو المذكور ، فتثبت نبوته بالتواتر عند جميع المكلفين ، وأما من سبقت له شبهة فكذلك ، وإن كانت نفسه قد تعودت على الإنكار ، لأن الله سبحانه يقول : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٥ .

فصل

في معاجز رسول الله صلى الله عليه وآله

وأما معاجزه التي صدّق الله بها دعواه فكثيرة ، وقد عدّ علماء الأمة منها ألف معجزة :

منها : انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وإشباع الخلق الكثير من الطعام اليسير ، وشكاية البعير ، وكلام الذراع المسموم[(١)] ، ونطق الجمادات ، وحنين الجذع ، وتسبيح الحصى في كفه وختمه الحصى بخاتمه وغير ذلك .

ومنها القرآن العزيز الذي : ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[(٢)] وقد تحدى صلى الله عليه وآله به العرب العرباء حتى تحداهم بالإتيان بأقصر سورة من مثله ، فعجزوا عن ذلك ، ولمّا لم يقبلوا منه للحمية الجاهلية صبروا على حدود الرماح وشفار الصفاح حتى أباد مقاتليهم وسبى ذراريهم ، وتحملوا لبس العار ووقوع البوار ولم يقدروا أن يدفعوه

---

(١) في نسخة : المسمومة .

(٢) سورة فصّلت ، الآية : ٤٢ .

بالإتيان بسورة مثله ، وهو باق إلى فناء العالم قد تحدى به ما سوى الله ، فلم يطق أحد من خلق الله معارضته ، ولم يكن لنبي من أنبياء الله عليهم السلام معجز باق بعدهم ، لأن نبوتهم منقطعة إلّا معجز نبينا صلى الله عليه وآله ، فإنه باق ما بقي التكليف ، لأن نبوته صلى الله عليه وآله باقية ، كذلك ليكون معجزه قاطعاً لحجة المعترضين والمعاندين .

فصل

في فضل رسول الله صلى الله عليه وآله

وهو صلى الله عليه وآله خاتم النبيين فلا نبي بعده ، لأن الله سبحانه أخبر في كتابه فقال : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[١] والله سبحانه لا يقع منه الكذب ، لأنه قبيح والغني المطلق لا يفعل القبيح لعدم حاجته الى شيء وأخبر في كتابه فقال : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾[٢] وقد أخبرنا صلى الله عليه وآله أنه لا نبي بعده ، فيكون ذلك حقاً .

وهو أيضاً صلى الله عليه وآله أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام ، ومن الخلق أجمعين لقوله صلى الله عليه وآله : (**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**)[٣] وقوله لابنته صلى الله عليه وآله ، فاطمة عليها السلام : (**أبوك خير الأنبياء وبعلك خير الأوصياء**)[٤] لأنه

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٣) أمالي الصدوق : ٢٥٤ ح ٢٧٩ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٧ / ١٤٥ ح ١٠٧ ، والاختصاص للمفيد : ٣٣ .

(٤) كمال الدين وتمام النعمة : ٢٦٣ ح ١٠ ، وحلية الأبرار للبحراني : ٢ / ٤٠٠ .

معصوم : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ ﴾[٢] فيكون قوله صدقاً وكونه أفضل الخلق حقاً ، وكذلك ما أجمع عليه العلماء من أنه صلى الله عليه وآله سيد الكائنات ومن الكلام القدسي من قوله تعالى خطاباً له صلى الله عليه وآله : (**لولاك لما خلقت الأفلاك**)[٣] فلأجله خلق الأفلاك وهو سيد ولد آدم فهو خير خلق الله أجمعين .

---

(١) سورة النجم ، الآيتان : ٣ ، ٤ .

(٢) سورة الحاقة ، الآيات : ٤٤ ـ ٤٦ .

(٣) الفوائد المجموعة : ٣٢٦ ، وجامع الأسرار : ٣٨١ ح ٧٥٨ ، ومناقب آل أبي طالب : ١ / ١٨٦ ، والوافي : ١ / ٥٢ .

الباب الرابع

في الإمامة

في أن علياً الخليفة القائم مقام النبي عليهما صلوات الله

لمّا ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله (لطف) لا يتم النظام ولا يبقى إلّا به إلى يوم القيامة ، ولأنه صلى الله عليه وآله هو المبلغ عن الله والمؤدي عنه تعالى إلى الخلق ما به بقاؤهم ما دام التكليف وما به سعادتهم الأبدية ، وكان ما يؤديه عن الله سبحانه يتجدد آناً فآناً بتجدد أحوال المكلفين إلى يوم الدين ، وهو عليه السلام لا يبقى إلى آخر التكليف بل يجري عليه التغيير والموت لأنه صلى الله عليه وآله عبد مخلوق ، ولا يجوز في الحكمة رفع حكم النبوة[١] لأنه لطف واجب ما دام التكليف وجب في الحكمة نصب خليفة يقوم مقامه ، ويؤدي عنه إلى الأمة أحكامه ، حافظ لشريعته قائم بسنّته لئلا تبطل حجة الله البالغة على الخلق المكلفين ، ولا بد وأن يكون في الخليفة جميع ما ذكر في حق النبي صلى الله عليه وآله من كونه أعلم أهل زمانه وأتقاهم وأعبدهم وأزهدهم وأنجبهم وغير ذلك ، وكونه معصوماً من

---

(١) في نسخة : نبوته .

الذنوب الصغائر والكبائر من أول عمره إلى آخره ، ومعصوماً من الكذب والخطأ والنسيان وغير ذلك من جميع ما يعتبر في حق النبي صلى الله عليه وآله ، إلّا النبوة لما ثبت أنه صلى الله عليه وآله خاتم النبيين ، فلا نبي بعده ، وإنما اشترط ذلك في الخليفة لأنه قائم مقام نبيه صلى الله عليه وآله في جميع ما يحتاج إليه سائر المكلفين من أحكامه ، لأنه حافظ شريعته وهو لطف من الله واجب عليه تعالى في الحكمة كما وجبت النبوة على حدّ واحد ، فلا بد أن يكون متصفاً بصفات نبيه صلى الله عليه وآله بحيث يحصل للمكلفين القطع بأنه حجة الله ، وأن قوله قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وآله وحكمه ووجوب طاعته والتسليم له والرد إليه على جهة القطع ، ولا بد أن يكون مطهراً منزهاً عن كلّ ما يلزم منه نفرة القلوب وعدم الاطمئنان في جميع الأحوال ، ومن كان في هذه[1] الصفات لا يطلع عليه إلّا من يطلع على السرائر ويعلم الضمائر وهو الله وحده ، فليس ذلك إلى أحد من الخلق ولا يعلم ذلك إلّا بنص[2] من الله عزّ وجلّ على شخص ، وذلك لطف واجب من مقتضى العدل ، والقادر الحكيم عزّ وجلّ لا يخلّ بواجب لأنه قبيح ، وهو يتعالى عن فعل القبيح لغناه

---

(١) في نسخة : بهذه .

(٢) في نسخة : بنص خاص .

المطلق ، ولم يكن في الأمة من تجتمع فيه[(١)] شروط النبوة غير كونه نبياً إلّا علي بن أبي طالب عليه السلام ، لأنه معصوم من كلّ رذيلة عصم منها النبي صلى الله عليه وآله ، وشريكه في كلّ فضيلة إلّا النبوة ، وقد نص الله سبحانه عليه في كتابه فقال : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾[(٢)] فقد تواترت الروايات وكلام المفسرين من الفريقين بأنها نزلت في علي عليه السلام حين تصدق بخاتمه وهو راكع[(٣)] ، لا ينكر ذلك إلّا مكابر مباهت ، فأثبت الله عزّ وجلّ لعلي عليه السلام بنص كتابه العزيز ما أثبت له تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله من الولاية ، ولا معنى للولي هنا إلّا أنه أولى بهم من أنفسهم في كلّ شيء من أمور دنياهم ودينهم وآخرتهم ، لأنها هي الولاية التي ثبتت لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله .

ولهذا نبّه على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خمّ على ما رواه الفريقان من طرق متعددة بلغت حد التواتر

(١) في نسخة أخرى : عليه .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

(٣) انظر كتاب الاحتجاج : ٢ / ٤٥٠ ، والطرائف لابن طاوس : ١ / ٤٧ ، وإحقاق الحق للتستري : ٢ / ٤٠٢ ، وبحار الأنوار : ٣٥ / ١٩٥ ، وتفسير الدر المنثور : ٢ / ٢٩٣ السطر ٢٤ ، وتفسير العياشي : ١ / ٣٢٧ ، وتفسير الفخر الرازي : ١٢ / ٢٦ ، وتفسير ابن كثير : ٢ / ٨١ ، وأمالي الصدوق : ١٠٧ مجلس ٢٦ ح ٤ .

باعتراف الخصم بقوله لهم : (**ألست أولى بكم من أنفسكم ؟**) .

قالوا بأجمعهم : بلى يا رسول الله .

فقال : (**من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله**)[(١)] .

أقول : هذا من قول[(٢)] الله في حقه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[(٣)] وقال فيه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٤)] وقال فيه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[(٥)] وقال فيه : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[(٦)] وقد روى الفريقان أنه صلى الله عليه وآله قال : (**علي أقضاكم**)[(٧)] .

---

(١) الاحتجاج : ١ / ٧٤ ذكر طرف مما جرى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، وتاريخ أصبهان : ٢ / ٣٣٨ ح ١٨٩٤ ، وشواهد التنزيل للحسكاني : ٢ / ٣٩١ ح ١٠٤١ ، كمال الدين وتمام النعمة : ٣٣٧ ح ٩ ، والخصال : ٤٧٩ ح ٤٦ .

(٢) في نسخة : هذا قول من قال .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٥) سورة النجم ، الآيتان : ٣ ـ ٤ .

(٦) سورة الحاقة ، الآيات : ٤٤ ـ ٤٦ .

(٧) الفصول المهمة : ٣٣ علوم أمير المؤمنين عليه السلام ، وكفاية الطالب : ٢٢٦ باب ٥٩ ، وشرح النهج لابن أبي الحديد : ١١ / ١٨ الخطبة كلام ١٩٨ ،=

وقال : (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث ما دار)[1] .

وأمثال ذلك ، فإذا ثبت أنه كما سمعت وأنه معصوم مسدد من الله سبحانه يدور مع الحق حيث دار ، ثبت أنه يهدي إلى الحق ولم يدل دليل على أن غيره من الصحابة بهذه المثابة ، ولم يدّع أحد من الأمة العصمة لأحد من الصحابة كما ادعيت له : ﴿ أَفَمَن يَهْدِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾[2] ويتخذ إماماً يقتدى به لأنه عليه السلام لا يفارق الحق ، ولا يفارقه الحق ، يدور معه حيث ما دار فهو مرضي[3] مروي من الفريقين لا ينكره أحد على أنه لا يكون مع باطل في حال من الأحوال ، ولا نعني بالعصمة إلّا هذا ، فقد ثبت عند كلّ منصف وطالب للحق على جهة القطع من مثل هذا الحديث وهذه الآية على أن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه

= ونور الأبصار للشبلنجي : ١٦ مناقبه ، والصواعق المحرقة : ١٨٩ ، والإيضاح : ١٢٤ ، وإرشاد القلوب : ٢ / ٢١٢ ، وشرح الأخبار : ١ / ١٩٦ ح ١٦٠ .

(١) كفاية الأثر للقمي : ٢٠ ـ ١٠ ، وتاريخ دمشق : ٢٠ / ٣٦٠ ، وتاريخ بغداد : ١١ / ٣٢٢ ، وأمالي الشجري : ١ / ١٥٣ ، وتذكرة الخواص لابن الجوزي : ٣٩ ، ومناقب الخوارزمي : ١٠٤ ، والفضائل الخمسة : ٢ / ١٢٢ ، وترجمة الأمير لابن عساكر : ٣ / ١٥١ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٣٥ .

(٣) في نسخة : نص .

وآله خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل ، لأنه يهدي إلى الحق ولأنه لا يفارق الحق والحق لا يفارقه ، فهو أحق أن يتبع بحكم الله سبحانه في كتابه على عباده : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[١] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٢] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٣] .

فهو الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً ، فهو المعصوم بالنص في[٤] كتاب الله وقول رسوله صلى الله عليه وآله وهو المنصوص عليه بالخصوص من الله ومن رسوله صلى الله عليه وآله ، ولم يدّع أحد من المسلمين ذلك لأحد من الصحابة والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤ .
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٤٥ .
(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٧ .
(٤) في نسخة : بنص .

فصل
في إمامة الأئمة الأحد عشر من ولد علي عليهم السلام

والعلة الموجبة لنصب علي بن أبي طالب عليه السلام هي بعينها العلة الموجبة لنصب ابنه الحسن عليه السلام ، ثم الحسين عليه السلام ، ثم علي بن الحسين عليه السلام ، ثم محمد بن علي عليه السلام ، ثم جعفر بن محمد عليه السلام ، ثم موسى ابن جعفر عليه السلام ، ثم علي بن موسى عليه السلام ، ثم محمد بن علي عليه السلام ، ثم علي بن محمد عليه السلام ، ثم الحسن بن علي عليه السلام ، ثم الخلف الصالح الحجة القائم محمد بن الحسن صلى الله عليهم أجمعين .

وجميع ما اعتبر في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام وقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وكونه حجة الله على خلقه إلى غير ذلك مما أشرنا إلى نوعه في حقه عليه السلام من الكمالات والفضائل المعتبرة في الواسطة بين الله سبحانه وبين خلقه ، كلّه معتبر في كلّ واحد منهم صلوات الله عليهم أجمعين ، وكذلك خصوص النص على كلّ واحد منهم من الله كما هو

صريح حديث اللوح الذي رواه جابر بن عبد الله الأنصاري(١) ، وغير ذلك من القرآن والأحاديث القدسية ، ومن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن نصّ كلّ سابق على من بعده وكلّ ذلك بالتواتر الموجب للقطع إلّا لمن سبقت له شبهة ، لأن ذلك واجب على الله عزّ وجلّ ، وهو تعالى لم يخل بواجب لعموم علمه وقدرته وغناه المطلق .

(١) انظر الكافي : ١ / ٥٢٧ باب ما جاء في الاثني عشر ح ٣ ، وإرشاد القلوب للديلمي : ٢ / ٢٩٠ ، وفرائد السمطين : ٢ / ١٣٦ ح ٤٣٢ ، والفضائل : ١١٣ ، والعيون : ١ / ٣٤ الباب السادس ، وكمال الدين : ١ / ٣٠٨ ، وغيبة الشيخ : ٩٣ ، وأعلام الورى : ٣٧١ ، والاختصاص : ٢١٠ في إثبات إمامة الأئمة ، ومناقب آل أبي طالب : ١ / ٢٩٦ ، وغيبة النعماني : ٤٢ ، وإثبات الوصية : ١٤٣ إمامة أبي محمد علي بن الحسن عليه السلام ، والاحتجاج : ١ / ٦٧ ذكر تعين الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله ، والهداية الكبرى للخصيبي : ٣٦٥ .

فصل
في ذكر القائم المهدي عجّل الله تعالى فرجه وأنّه حيّ

ويجب أن يعتقد بأن القائم المنتظر عليه السلام حيٌّ موجود ، أما عندنا فلإجماع الفرقة المحقة على أنه حيٌّ موجود ، إلى أن يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وهو ابن الحسن العسكري الغائب المفتقد ، وإجماعهم تبعاً لإجماع أئمتهم أهل البيت عليهم السلام ، وإجماع أهل البيت عليهم السلام حجةٌ ، لأن الله سبحانه أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فيكون قولهم حجة لأنهم لا يقولون إلّا الحق ، فإجماع[1] شيعتهم[2] حجة لكشفه عن قول إمامهم المعصوم عليهم السلام .

وأما عند العامة فكثير منهم قائلون بقولنا ، ومن قال منهم : إنه الآن لم يوجد ، ومنهم من قال : بأنه عيسى ابن مريم عليه

(١) في نسخة : وأما إجماع .
(٢) في نسخة : شيعتهم فهو .

السلام ، فما[١] روى الفريقان من قوله صلى الله عليه وآله : (**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**)[٢] ، يردّ قولي[٣] هذين الفريقين لأنه صادق على من في زماننا هذا فإن من مات في زماننا هذا ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، ولا يصح إلّا إذا كان الإمام عليه السلام موجوداً ، مع أنه لطف ما دام التكليف .

فلا يصح وجود التكليف بدون لطف موجود لأنه شرطه والمشروط عدم عند عدم شرطه ، فكلّ من قال بأنه ولد قال بأنه موجود إذ لم يقل أحد بأنه ولد ومات ، ومن استبعد وجوده وطول عمره فقد أخطأ الحكمة ، لأن الله عزّ وجلّ جعل له دليلاً لا يمكن رده وهو أنه خلق الخضر عليه السلام وجده هود عليه

---

(١) في نسخة : وما .

(٢) كمال الدين : ٢ / ٤١٢ و٦٦٨ باب ٣٩ ح ١٠ وباب ٥٨ ح ١١ ، والاختصاص : ٢٦٨ ، و٢٦٩ مع اختلاف يسير ، ومصنفات الشيخ المفيد : ٧ / ١٢ ـ ١١ ـ رسالة في الغيبة ، والطبقات الكبرى : ٥ / ١١٠ ترجمة عبد الله ابن مطيع عن ابن عمر ، والمعجم الكبير : ١٩ / ٣٨٨ ، وربيع الأبرار : ٤ / ٢٢١ باب الملك والسلطان والإمارة ، والإيضاح : ٣٥ ذكر ابن عمر ، والكافي : ١ / ٣٧٧ ح ٣ ، وروضة الكافي : ٨ / ١٢٩ ح ١٢٣ عن الصادق عليه السلام ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٥٨ باب ٧ ح ١ ، وثواب الأعمال وعقابها : ٢٠٥ ، وكنز الفوائد : ١٥٢ رسالة في وجوب الإمامة ، وغيبة النعماني من عدة طرق : ٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ـ ٨٦ الباب السابع .

(٣) في نسخة : قول .

السلام ، وأنه ولد في زمان إبراهيم عليه السلام ، على أحد القولين المشهورين وهو إلى الآن باق ، بل هو حيّ إلى النفخ في الصور ، وهو آية دالة على القائم عليه السلام ، وإبليس عدوّ الله باق إلى يوم الوقت المعلوم ، فإذا جاز بقاء عدوّ الله وبقاء الخضر عليه السلام الذي هو الدليل على مصلحة الجزئية(١) بالنسبة إلى مصلحة بقاء محل نظر الله سبحانه من العالم وقطب الوجود ، فكيف لا يجوز بقاء من متوقف(٢) جميع مصالح النظام في الدنيا(٣) والآخرة على بقائه ؟ مع أن الأمة(٤) اتفقت رواياتهم وأقوالهم على أنه لا بد من قيام القائم عليه السلام ، فبيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله : (**لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي أو من ذريتي أو من ولدي اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً**)(٥) .

ومن قال من العامة : بأنه عيسى ابن مريم عليهما السلام كَذَّبه هذا الحديث المتفق على معناه ، لأن عيسى ليس من أهل

(١) في نسخة : لمصلحة جزئية .
(٢) في نسخة : تتوقف .
(٣) في نسخة : الدنيا والدين .
(٤) في نسخة : الأمة قد .
(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٢٩٧ ح ٥ ، وكمال الدين وتمام النعمة : ٢٨٠ ح ٢٧ ، ومن لا يحضره الفقيه : ٤ / ١٧٧ .

بيته ولا من ذريته ولا من ولده وليس اسمه كاسمه ولا كنيته ككنيته .

ومن قال[١] بأنه الإمام المهدي العباسي كَذَّبه هذا الحديث ، لأنه ليس من أهل بيته ولا من ذريته ولا من ولده ، فلم يبق للمنصف الطالب للحق إلّا القول بأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام التاسع من ذرية الحسين عليهم السلام عجّل الله فرجهم وسهّل مخرجهم .

(١) في نسخة : قال منهم .

فصل
في ذكر وصاية الأنبياء عليهم السلام

ويجب أن يعتقد وصاية أوصياء الأنبياء عليهم السلام ويؤمن بهم ، وأنهم وأنبياءهم قالوا الحق عن الله ، لأنه[١] سبحانه أثنى عليهم بطاعته وإجابته وعبادته وذكره وشكره ، ومن أثنى الله عليه فقوله حق ، وعمله وفعله حق ، وأن يؤمن بكلّ ما أنزل الله عزّ وجلّ على أنبيائه وأوصيائهم من كتبه ووحيه وبما أدته ملائكته إليهم ، لأن الله عزّ وجلّ أخبر بذلك وأخبر به نبيه محمد صلى الله عليه وآله وحججه الصادقون ، وكلما كان كذلك فهو حق وصدق ، أشهد لهم بأنهم بلغوا ما أنزل إليهم ، وأدوا إلى عباده ما أمرهم[٢] بأدائه ، فهل على الرسل إلّا البلاغ المبين ؟ .

---

(١) في نسخة : لأن الله .
(٢) في نسخة : أمرهم الله .

الباب الخامس
في ذكر المعاد

يجب أن يعتقد المكلف وجود المعاد يعني عود الأرواح إلى أجسادهم يوم القيامة ، وذلك أنه إذا مات الناس كانت أرواحهم على ثلاثة أصناف :

في بيان أن أرواح الناس على ثلاثة أصناف

١ ـ من محض الإيمان محضاً

أحدها : من محض الإيمان محضاً وهذا يمضي(١) روحه بعد الموت إلى جنان الدنيا يتنعمون فيها ، فإذا كان يوم الجمعة والعيد عند طلوع الفجر الثاني أتتهم الملائكة بنجب من نور عليها قباب الياقوت والزمرد والزبرجد والدر ، فيركبون فتطير بهم بين السماء والأرض حتى يأتوا وادي السلام بظهر الكوفة فيبقون هناك إلى أول الزوال ، ثم يستأذنون الملك في زيارة أهاليهم ، وزيارة حفرهم إلى أن يصير ظل كلّ شيء مثله فيصيح بهم الملك فيركبون

(١) في نسخة : تمضي .

ويطيرون إلى غرفات الجنان يتنعمون فيها ، وهكذا إلى رجعة آل محمد صلى الله عليه وآله عليه وآله فيرجعون إلى الدنيا فمن قتل في الدنيا عاش في الدنيا(١) بالضعف من عمره في الدنيا حتى يموت ، ومن مات في الدنيا يرجع حتى يقتل ، فإذا رفع الله محمداً صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من الأرض بقي الناس أربعين يوماً في هرج ومرج وينفخ إسرافيل نفخة الصعق(٢) ، فتبطل الأرواح وسائر الحركات فلا حس ولا محسوس أربعمئة سنة ، وأما أجسادهم فيأتيها الروح والريحان من

---

(١) في نسخة : الرجعة .

(٢) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟

قال : (**ما شاء الله ، فقيل له : فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه ؟ فقال : أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل . . .**) والحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢ ، وتفسير نور الثقلين للحويزي : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦ .

جنان الدنيا إلى نفخة الصور ، نفخة الصعق ، والأجساد تتفرق أجزاؤها وتبقى مستديرة في قبورهم[١] مثل سحالة الذهب في دكان الصائغ[٢] .

٢ ـ من محض الكفر محضاً

وثانيها : من محض الكفر محضاً إذا مات حشرت أرواحهم إلى عند مطلع الشمس يعذبون بحرها ، فإذا قرب غروب الشمس حشروا إلى برهوت بوادي حضرموت يعذبون إلى الصباح ، فتسوقهم ملائكة العذاب إلى مطلع الشمس ، وهكذا إلى نفخة الصعق فتبطل الأرواح ، وأما أجسادهم فهي في قبورهم يأتها[٣] الدخان والشرر من النار التي في المشرق وهكذا إلى نفخة الصور .

---

(١) في نسخة : قبورها .

(٢) في الفقيه والكافي بسندهما عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل عن الميت يبلى جسده ؟
قال : **(نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلّا طينته التي خلق منها ، فإنها لا تبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة)** .
فروع الكافي : ٣ / ٢٥١ ح ٤٧٦٤ (ح ٧) باب النوادر ، ومن لا يحضره الفقيه : ١ / ١٩١ ح ٥٨٠ ، وبحار الأنوار : ٧ / ٤٣ ح ٢١ .

(٣) في نسخة : يأتيها .

٣ ـ من لم يمحض الإيمان ولم يمحض الكفر

وثالثها : من لم يمحض الإيمان ولم يمحض الكفر وهؤلاء تبقى أرواحهم مع أجسادهم إلى يوم القيامة ، فإذا مضت أربعمئة سنة بين النفختين ، أمطر الله تعالى من بحر تحت العرش اسمه صاد ماء رائحته كرائحة المني ، حتى تكون الأرض كلها بحراً واحداً فيتموج في[١] وجه الأرض حتى تجتمع أجزاء كلّ جسده في قبره ، فتنبت اللحوم في قدر أربعين يوماً ثم يبعث الله عزّ وجلّ إسرافيل فيأمره فينفخ في الصور نفخة النشور والبعث فتطائر الأرواح ، فتدخل كلّ روح في جسدها في قبره فيخرج من قبره فينفض[٢] التراب عن رأسه : ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[٣] .

وهذا هو المعاد ، أي عود الأرواح إلى أجسادها كما هي في الدنيا ويجب الإيمان بهذا أي بعود الأرواح إلى الأجساد لأنه أمر ممكن مقدور لله عزّ وجلّ .

وقد أخبر[٤] عزّ وجلّ وقد أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله الصادق الأمين فيكون حقاً ، ولأنه وقت ثمرة العدل والفضل

---

(١) في نسخة : على .
(٢) في نسخة : ينفض .
(٣) سورة الزمر ، الآية : ٦٨ .
(٤) في نسخة : أخبر به .

ويوم الجزاء على الأعمال وعدم وجوده ينافي الفضل في إعطاء الثواب ، وينافي العدل في وقوع العقاب ، ولأنه لطف للمكلفين يعينهم على الطاعة ويردعهم عن المعاصي ، فيكون واجباً في الحكمة ، ولأن المسلمين أجمعوا على وقوعه ، وعلى أنه أصل من أصول الإسلام ولا يتحقق الإسلام بدون اعتقاد وقوعه ، وعلى أن منكره كافر فيكون وقوعه حقاً ، ولأن الله سبحانه كلّف عباده فأمرهم بطاعته ، ووعدهم على الوفا بعهده ، وامتثال أمره حسن الثواب ، ونهاهم عن معصيته وتوعد من نَقَض عهده ، وخالف نهيه بالعقاب وقد وقع التكليف منه تعالى ، ووقع من بعض عبّاده الطاعة ومن بعض المعصية ولم يقع الجزاء فيما وعد وتوعد وأخبر سبحانه أنه قد أخر ذلك إلى يوم القيامة فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾(٢) إلى غير ذلك من الآيات فيكون وقوعه حقاً ، لأنه أخبر به الصادق القادر عليه .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٢ .
(٢) سورة الحج ، الآية : ٤٧ .

فصل
في العدل

ولما كان الحشر إنما هو ليتم مقتضى العدل الحق وجب إعادة كلّ ذي روح لأجل أن يجازى بعمله من خير وشر ، ويؤخذ له الحق ممن تعدى عليه وظلمه ، ويؤخذ منه الحق لمن ظلمه ، فهذه الأحوال الثلاثة وهي مجازاة المكلف بعمله من خير وشر وأخذ حقه ممن ظلمه وأخذ الحق منه لمن ظلمه شامل لكلّ ذي روح من جميع الحيوانات من الإنس والجن وسائر الشياطين والحيوانات بجميع أنواعها ، إلّا أن ذلك في كلّ شيء بحسبه بل النوع الواحد كذلك قال الله سبحانه : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾(١) ، والدليل على أن كلاً من الحساب والحشر عام لكلّ الحيوانات الناطقة والصامتة قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(٢) وقوله عليه السلام :

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٢ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ .

(**ليقتصن للجماء من القرناء**)[١] ، وقوله عليه السلام : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[٢] يدل بتأويله أنه يأخذ الحق لذي الحق ومن[٣] كان من الناطقين للصامتات و[٤] من الصامتات للناطقين ،

---

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي : ٤ / ٤٩ ، ومحاسن البرقي : ١ / ٧ ، والكافي : ٢١ / ٤٤٣ ح ١ ، ومستدرك الوسائل : ١٨ / ٢٦٢ ح ٢٢٦٩٩ ، وبحار الأنوار : ٧ / ٩١ ، وكنز العمال : ١٤ / ٣٧٣ ح ٣٨٩٨٦ .
في الكافي يرفعه الى أمير المؤمنين عليه السلام قال : صعد أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (**أيها الناس إن الذنوب ثلاثة ثم أمسك ، فقال له حبة العرني : يا أمير المؤمنين ، قلت : الذنوب ثلاثة ثم أمسكت ، فقال : ما ذكرتها إلا وأنا أريد أن أفسرها ولكن عرض لي بهر حال بيني وبين الكلام . نعم الذنوب ثلاثة : فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه ، قال : يا أمير المؤمنين فبينها لنا ؟ قال : نعم أما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا فالله أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين ، وأما الذنب الذي لا يغفر فمظالم العباد بعضهم لبعض ، إن الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه ، فقال : وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء إلى الجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا تبقى لأحد على أحد مظلمة ثم يبعثهم للحساب ؛ وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة منه ، فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربه ، فنحن له كما هو لنفسه ، نرجو له الرحمة ونخاف عليه العذاب**) .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

(٣) في نسخة : أن .

(٤) في نسخة : أو .

بل يحشر[١] بعض الجمادات كالحجارة[٢] المعبودة من دون الله والأشجار وغيرهما ويقتص منها لرضاها بذلك في أصل كونها لقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[٣] .

فإن قلت : كيف ترضى وليس لها عقول ولا شعور ؟ .

قلت : إن لها عقولاً وشعوراً بنسبة كونها ولذا قال سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾[٤] بضمير العقلاء ، لأنها لو لم تكن[٥] لها عقول لقال ما وردتها وإنما قال : ﴿ مَّا وَرَدُوهَا ﴾ بضمير العقلاء لدلالة أن لها عقلاً ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[٦] ولم يقل طائعات .

(١) في نسخة : تحشر .
(٢) في نسخة : كالأحجار .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٨ .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٩ .
(٥) في نسخة : لم يكن .
(٦) سورة فصّلت ، الآية : ١١ .

فصل

في قصاص الجمادات والأشجار

وأمّا القصاص من الجمادات والأشجار فإنه في الدنيا كما وردت به الأخبار الكثيرة ، مثل : **(إنّ زمزم افتخرت على الفرات فأجرى الله فيها عيناً من صبر)**(١) ، ومثل قوله عليه السلام : **(لو طغى جبل على جبل لهده(٢) الله)**(٣) .

وأمثال ذلك كثير ، وإنما كانت عقوبة الجمادات والنبات(٤) مثل ما ورد أن الأرض السبخة والماء المالح والنبات المُرّ كالبطيخ المُرّ لمَّا عرضت عليها ولاية محمد وأهل بيته صلى الله

(١) الكافي : ٦ / ٣٨٦ ح ١ ، وعلل الشرائع : ٢ / ٤١٥ ح١ باب (١٥٤) العلة التي من أجلها لم يعذب ماء زمزم وصار غوراً ، ومن لا يحضره الفقيه : ٢ / ١٩٥ ح ٢١٢١ .
ولفظه في العلل : عن عقبة عمن رواه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : **(كانت زمزم أبيض من اللبن وأحلى من الشهد وكانت سائحة فبغت على المياه فأغارها الله عزّ وجلّ وأجرى إليها عيناً من صبر)** .

(٢) في نسخة : **(لهدمه)** .

(٣) لم نجده بهذه الألفاظ فيما توفّر لدينا من مصادر .

(٤) في نسخة : النباتات .

عليه وآله ولم تقبل[١] ، جعلت مرة ومالحة ، وإنما جعلت عقوبتها في الدنيا لأنها ليس لها اختيار كلي قوي فينتظر بها إلى الآخرة عسى أن ترجع[٢] ، ولأن[٣] إدراكها كلي لتكون رتبتها[٤] تصل إلى الآخرة ، بل اختيارها جزئي لا يكاد يرجى رجوعها و[٥]إدراكها جزئي ، لا تكون رتبته من نوع الآخرة ، وإنما أخرت عقوبة الأصنام إلى الآخرة ، وإن كانت جزئية لأجل التبكيت لمن يعبدها من دون الله .

---

(١) انظر نور البراهين للجزائري : ٢ / ١٨١ باب ٤٩ ح ١ ، علل الشرائع : ٢ / ٤٩٠ باب ٢٤٠ ح ١ .
(٢) في نسخة : يرجع .
(٣) في نسخة : لا أن .
(٤) في نسخة : رتبته .
(٥) في نسخة : ولا .

فصل

في وجوب الاعتقاد بإنطاق الجوارح يوم القيامة

ومما يجب اعتقاده إنطاق الجوارح لتشهد على أصحابها من المكلفين بما عملوا لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) وقد وردت الروايات الكثيرة أن بقاع الأرض تشهد عليهم بما عملوا فيها ، وتحشر الأيام والليالي والساعات والشهور والأعوام فتشهد عليهم بما عملوا فيها ، والعقل يؤيد ذلك فإذا تطابق العقل والنقل على ثبوت شيء وجب اعتقاد ثبوته(٢) .

---

(١) سورة النور ، الآية : ٢٤ .

(٢) في أصول الكافي : عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن بكر بن صالح عن القاسم بن بريد قال : حدثنا أبو عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً يقول فيه عليه السلام بعد أن قال : (**إن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها ؛ وقال فيها شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عزّ وجلّ وفرضه عليهما** ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٦٥] **فهذا أيضاً ممّا فرض الله على اليدين وعلى الرجلين وهو عملهما وهو من الإيمان**) . أصول الكافي : ٢ / ٣٣ / ح ١ / باب جوارح البدن / كتاب الإيمان والكفر . =

فصل

في وجوب الاعتقاد بتطاير الكتب

ومما يجب اعتقاده تطائر الكتب وذلك أن الإنسان إذا مات فأول ما يوضع في قبره ويشرج عليه اللبن ، يأتيه رومان فتان القبور ، قبل منكر ونكير فيحاسبه(١) ويقول له : اكتب عملك فيقول : نسيت أعمالي ، فيقول : أنا أذكرها لك ، فيقول : ليس عندي قرطاس ، فيقول : بعض كفنك(٢) ، فيقول : ليس عندي دواة ، فيقول : فمك ، فيقول : ليس عندي قلم ، فيقول : إصبعك ، فيملل عليه رومان جميع ما عمل من كبيرة وصغيرة ،

= وفي تفسير عليّ بن إبراهيم : وقوله عزّ وجلّ : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ قال : (**إذا جمع الله عزّ وجلّ الخلق يوم القيامة دفع إلى كلّ إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنّهم عملوا من ذلك شيئاً فتشهد عليهم الملائكة فيقولون : يا ربّ ملائكتك يشهدون لك ثمّ يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئاً وهو قول الله عزّ وجلّ :** ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ [المجادلة : ١٨] **فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم وتنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون**) . تفسير القمّيّ : ٢ / ٢١٦ .

(١) في نسخة : فيجلسه .

(٢) في نسخة : فقال له : خذ قطعة من كفنك .

فيأخذ تلك القطعة فيطوقه بها في رقبته فتكون عليه أثقل من جبل أُحد ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾(١) الآية ، فإذا كان يوم القيامة تطائرت الكتب فمن كان محسناً أتاه كتابه من وجهه وأخذه بيمينه ، ومن كان مسيئاً أتاه كتابه وراء ظهره وضربه ، وخرق ظهره ، وخرج من صدره ، وأخذه بشماله فيقفون صفاً جميع الخلائق بين يدي كتاب الله الناطق ، صلوات الله عليه وسلامه ، وهو الذي تعرض عليه الأعمال فينطق على الخلائق بما كانوا يعملون وكلٌّ ينظر في كتابه فلا يخالف حرف حرفاً وهو بقول واحد ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٢) لأنه كانت أعمال الخلائق تعرض عليه في دار الدنيا .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة الجاثية ، الآيتان : ٢٨ ، ٢٩ .

فصل
في وجوب الاعتقاد بالميزان

ومن ذلك اعتقاد الميزان لأعمال الخلائق ، فروي أنه ذو كفتين ، وروي أنه ليس ذو[1] كفتين وإنما هو ولاية الأئمة عليهم السلام ، فقيل :[2] هو كناية عن عدل الله تعالى لعلمه بمقادير الاستحقاقات الراجح منها والمرجوح ، والحق أنه لا تنافي بين الأقوال الثلاثة فإنه ذو كفتين ، كفة للحسنات وكفة للسيئات وهو ولاية الأئمة عليهم السلام وهو عدل الله ووجه الجمع ليس هذه الرسالة محله والواجب اعتقاد أن يوم القيامة تنصب الموازين لتمييز أعمال المكلفين ، وأما أنه هو كذا و[3] كذا فلا يجب ، وإنما ذلك من كمال المعرفة والدليل على وجود قول الله تعالى تعالى في كتابه : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[4] ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[5] .

---

(١) في نسخة : ذا .

(٢) في نسخة : وقيل .

(٣) في نسخة : أو .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٧ .

(٥) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١٠٢ ـ ١٠٣ .

فصل

في وجوب الاعتقاد بالصراط

ومما يجب اعتقاده الصراط ، وهو جسر ممدود على جهنم أول عقبة منه بالمحشر صاعداً إلى الجنة ، يصعدون إليه في ألف سنة وألف سنة نزول وبينهما ألف سنة حذال ، وفيه على الحذال خمسون عقبة كلّ عقبة يقف فيها الخلائق ألف سنة ، وهو أحدُّ من السيف وأدقّ من الشعر يتسع للمطيع مثل ما بين السماء إلى الأرض ، ويضيق على العاصي والناس فيه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر عليه مثل البرق الخاطف(١) ، ومنهم من يمر عليه مثل عَدْو الفرس ، ومنهم من يمر عليه ماشياً ، ومنهم من يمر عليه

---

(١) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث طويل : (**ألا ومن أحب علياً جاز على الصراط كالبرق الخاطف ، ألا ومن أحب علياً كتب الله له براءة من النار وجوازاً على الصراط ، وأماناً من العذاب ، ولم ينشر له ديوان ، ولم ينصب له ميزان ، وقيل له : ادخل الجنة بلا حساب ، ألا ومن أحب آل محمد أمن من الحساب والميزان والصراط ، ألا ومن مات على حب آل محمد فأنا كفيله بالجنة مع الأنبياء ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة**) .

انظر بحار الأنوار : ٢٢٢ ح ١٣٣ .

حبواً ، ومنهم[١] يمر عليه متعلقاً فتأخذ النار منه شيئاً وتترك[٢] منه شيئاً[٣] .

والواجب اعتقاد وجوده يوم القيامة ، وأنه أحدّ من السيف ، وأدق من الشعر وأنه جسر ممدود على جهنم ، وأن الخلائق يكلفون بالمرور عليه ، وأما معرفة كيفيته و[٤] الصعود عليه والنزول منه ومعرفة ما المراد منه فلا تجب ، وأدلة ما ذكر الأخبار المتواترة معنى من الفريقين وإجماع المسلمين على ذلك .

---

(١) في نسخة : منهم من .

(٢) في نسخة : ترك .

(٣) عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : **(الناس يمرون على الصراط طبقات والصراط أدق من الشعر ومن حدّ السيف ، فمنهم من يمرّ مثل البرق ، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس ، ومنهم من يمرّ حبواً ، ومنهم من يمرّ مشياً ، ومنهم من يمرّ متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً) .**
بحار الأنوار : ٦ / ٦٥ باب ٢٢ ح ١ .

(٤) في نسخة : وما معنى .

فصل

في وجوب الاعتقاد بالحوض والشفاعة

ومما يجب اعتقاده الحوض ، ويسمى حوض الكوثر ، لأن الماء ينصب فيه من نهر الكوثر ، والحوض يكون في عرصة القيامة يسقي منه أمير المؤمنين عليه السلام عطاشى المؤمنين يوم القيامة(١) .

---

(١) عن أبي الورد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد فهم حفاة عراة فيقفون في المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً فتشتد أنفاسهم فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاماً ، وهو قول الله : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] قال : ثم ينادي مناد من تلقاء العرش : أين النبي الأمي ؟ فيقول الناس : قد أسمعت فسم باسمه ، فينادي : أين نبي الرحمة محمد بن عبد الله الأمي صلى الله عليه وآله ؟ فيتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمام الناس كلهم حتى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة إلى صنعاء فيقف عليه ، ثم ينادي بصاحبكم فيتقدم أمام الناس فيقف معه ، ثم يؤذن للناس فيمرون فبين وارد الحوض يومئذ وبين مصروف عنه ، فإذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من يصرف عنه من محبينا يبكي فيقول : يا رب شيعة علي ، قال : فيبعث الله إليه ملكاً فيقول : ما يبكيك يا محمد؟ فيقول : أبكي لأناس من شيعة علي أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار ومنعوا ورود الحوض ، قال : فيقول له الملك : إن الله يقول : قد وهبتهم =

ومما يجب اعتقاده الشفاعة ، وهي شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله لأهل الكبائر من أمته كما قال صلى الله عليه وآله : (**ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)(١) .

والأخبار متواردة متكثرة بأنه صلى الله عليه وآله شفيع(٢) لأهل بيته عليهم السلام ، وللأنبياء عليهم السلام ، فتشفع الأنبياء لمن ارتضى الله دينه من أممهم ويشفع الأئمة عليهم السلام لشيعتهم ويشفع شيعتهم لمن يشاؤون من المحبين .

والواجب اعتقاد ثبوت شفاعة محمد صلى الله عليه وآله للعصاة من أمته ، وأما التفصيل والترتيب فعلى حسب ما يصح من الدليل لأنه من متممات الإيمان ومكملات المعرفة .

= **لك يا محمد وصفحت لهم عن ذنوبهم ، وألحقتهم بك وبمن كانوا يقولون به ، وجعلناهم في زمرتك فأوردهم حوضك)** .

فقال أبو جعفر عليه السلام : (**فكم من باك يومئذ وباكية ينادون : يا محمداه إذا رأوا ذلك ، ولا يبقى أحد يومئذ يتولانا ويحبنا ويتبرأ من عدونا ويبغضهم إلا كانوا في حزبنا ومعنا ويرد حوضنا**) . انظر بحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ١٠٢ ح ٧ .

(١) أمالي الصدوق : ٥٦ ح ١١ ، وتوحيد الصدوق : ٤٠٧ ح ٦ ، ومن لا يحضره الفقيه : ٣ / ٥٧٤ ح ٤٩٦٣ ، والوافي للكاشاني : ٥ / ١١٠٤ ح ٣٦٥٥ ، والحدائق الناضرة للبحراني : ١٠ / ٥٦ .

(٢) في نسخة : يشفع .

فصل
في وجوب الاعتقاد بوجود الجنة

ومما يجب اعتقاده وجود الجنة ، وما فيها من النعيم المقيم ، وهي جنان الخلد الثمان كما دلت عليه الأخبار(١) ونطق به القرآن

---

(١) عن أبي عبد الله ، عن أبيه عن جدّه ، عن علي عليهم السلام قال : (إن للجنة ثمانية أبواب : باب يدخل منه النبيون والصديقون ، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون ، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا ، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول : رب سلّم شيعتي ومحبي وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا ، فإذا النداء من بطنان العرش : قد أجيبت دعوتك وشفعت في شيعتك ، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه ، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت . قلت : فما اسم ذلك النهر ؟ قال : جنة المأوى ، قلت : هل وسطها غير هذا ؟ قال : نعم جنة عدن وهي في وسط الجنان فأما جنة عدن فسورها ياقوت أحمر ، وحصباؤها اللؤلؤ ، قلت : فهل فيها غيرها ؟ قال : نعم جنة الفردوس ، قلت : وكيف سورها ؟ قال : ويحك كفّ عني حيرت علي قلبي ، قلت : بل أنت الفاعل بي ذلك ، ما أنا بكاف عنك حتى تتم لي الصفة وتخبرني عن سورها ، قال : سورها نور ، فقلت : والغرف التي هي فيها ، قال : هي من نور رب العالمين ، قلت : زدني رحمك الله ، قال : ويحك إلى هذا انتهى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، طوبى لك إن أنت وصلت إلى بعض هذه =

المجيد ، وجنان الدنيا أيضاً موجودة[١] ، وهي التي تأوي إليها أرواح المؤمنين إلى أن ينفخ إسرافيل في الصور نفخة الصعق[٢] ، وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ ﴾[٣] وهي جنان الدنيا ،

= الصفة ، وطوبى لمن يؤمن بهذا) الخصال : ٢ / ٣٩ ، وبحار الأنوار : ٨ / ١٢٢ باب ٢٣ ، وأمالي الصدوق : ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(١) في نسخة : موجودة عند مغرب الشمس .

(٢) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟
قال : (ما شاء الله ، فقيل له : فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه ؟ فقال : أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل . . .) والحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢ ، وتفسير نور الثقلين للحويزي : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦ .

(٣) سورة مريم ، الآيتان : ٦١ ـ ٦٢ .

لأن جنان الآخرة ليس فيها بكرة ولا عشي ثم قال : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾(١) وهذه جنان الآخرة .

وجنان الآخرة ثمان :

في بيان أقسام الجنان

الأولى : جنة الفردوس .

الثانية : الجنة العالية .

الثالثة : جنة النعيم .

الرابعة : جنة عدن .

الخامسة : جنة دار السلام .

السادسة : جنة دار الخلد .

السابعة : جنة المأوى .

الثامنة : جنة دار المقام(٢) .

وجنان الحظائر سبع كلّ حظيرة ظلّ لجنّة من جنان الأصل ، وأما جنة عدن فلا ظل لها ففي الآخرة خمس عشرة جنة : ثمان هي الأصول المعروفة كلّ سماء فوقه جنة ، والثامنة فوق الكرسي وسبع جنان الحظائر وهي تحت الثمان ، وأقل منها ، وفي

(١) سورة مريم ، الآية : ٦٣ .
(٢) في نسخة : المقامة .

الحديث : **(إن جنان الحظائر[١] يسكنها ثلاث طوائف من الخلائق[٢] مؤمن الجن وأولاد الزنى من المؤمنين ، وأولاد أولادهم إلى سبعة أبطن والمجانين الذين لم يجر عليهم التكليف الظاهر ولم يكن لهم من أقربائهم[٣] شفعاء ليلحقوا بهم)**[٤] .

وأسماء جنان الحظائر أسماء جنان الأصل مثل الشمس التي في السماء الرابعة فإن اسمها الشمس وإشراقها في الأرض اسمه الشمس والواجب اعتقاد وجود الجنة ونعيمها الآن ، وأما مثل هذا التفصيل ونحوه فلا يجب والدليل على وجودها القرآن والأخبار والإجماع .

---

(١) الحظائر جمع الحظيرة : الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل وسائر الماشية يقيها البرد والريح .

(٢) في نسخة : **(الخلق)** .

(٣) في نسخة : **(قراباتهم)** .

(٤) اللمعة البيضاء للتبريزي : ٤٢٢ ، والصراط المستقيم : ٤ / ٤٨٧ .
وروي باختصار وتفاوت في تفسير القمي : ٢ / ٣٠٠ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٢٠ ح ٣١ ، ولفظه : سئل العالم صلوات الله عليه عن مؤمن الجنّ أيدخلون الجنّة ؟ فقال : **(لا ولكن لله حظائر بين الجنّة والنار يكون فيها مؤمنو الجنّ وفساق الشيعة)** .

فصل

في وجوب الاعتقاد بوجود النار

ومما يجب اعتقاده وجود النار ، وما أعد فيها من العذاب الأليم وهي نيران الخلد السبع ، ونيران الدنيا سبع عند مطلع الشمس ، وقد نطق القرآن بذكر النار وأنها موجودة قال تعالى : ﴿ وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[١] وهي نيران الدنيا ، لأن الآخرة ليس فيها غدو وعشي وقال : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ وهذه نيران الخلد ، لأن نيران الدنيا لا توجد[٢] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ وليس المعروض عليه ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ غير المعروض عليها غدواً وعشياً ، وقد اتفق علماء التفسير والقراء على الوقف على الساعة والابتداء بـ ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾[٣] فقد أخبر الله سبحانه بوجود نيران الآخرة ونيران الدنيا ، والسنة النبوية صريحة في ذلك والإجماع من المسلمين واقع على وجود النار بقول مطلق ، والاختلاف إنما هو في

---

(١) سورة غافر ، الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) في نسخة : لا يوجد .

(٣) سورة غافر ، الآية : ٤٦ .

الكيفية والصفة ، وهل هي موجودة بالفعل أو بالقوة أو أن الموجود منها كلياتها ، وأما جزئياتها فليست موجودة بالفعل وإنما توجد بالتدريج ، والخلاف ليس بصحيح بل الصحيح أنهما موجودتان نيران الدنيا ونيران الآخرة بالفعل ، كما دل عليه القرآن والأخبار ، خصوصاً أحاديث المعراج فإنه صلى الله عليه وآله دخلهما ليلة المعراج ورأى من يعذب فيهما ، والواجب اعتقاد وجودهما ووجود عذابهما .

واعلم أن الواجب اعتقاد التألم الدائم في نيران الآخرة بلا انقطاع ولا انتهاء ، بل كلما طال الزمان اشتد التألم على أهلها كما هو صريح القرآن وأخبار أهل العصمة عليهم السلام ، ودليل العقل حاكم بذلك كما هو مقرر في محله ونيران الآخرة أربعة عشرة(١) طبقة :

سبع نيران الأصل :

في بيان أقسام النيران

الأولى : أعلاها الجحيم .

والثانية : لظى .

والثالثة : سقر .

---

(١) في نسخة : أربع عشرة .

والرابعة : الحطمة .

والخامسة : الهاوية .

والسادسة : السعير .

والسابعة : جهنم[(١)] .

ثلاث طبقات الفلق :

١ ـ وهو جب فيه التوابيت .

٢ ـ وصعود وهو جبل من سقر[(٢)] من نار وسط جهنم .

٣ ـ وآثام وهو واد من صفر مذاب يجري[(٣)] حول الجبل .

ونيران الحظائر ظل نيران الأصل وتسمى بأسماء الأصل ، كلّ نار تسمى باسم أصلها ، أو[(٤)] نيران الحظائر يعذب فيها أهل الكبائر من الشيعة ممن استحق دخول النار .

---

(١) في نسخة : جهنم وجهنم .

(٢) في نسخة : صفر .

(٣) في نسخة : تجري .

(٤) في نسخة : و .

فصل
في وجوب الاعتقاد بخلود أهل الجنة

ويجب أن يعتقد أن أهل الجنة خالدون فيها أبداً متنعمون(١) أبداً ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾(٢) ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(٣) دائمون بدوام أمر الله الذي لا غاية له ولا نهاية : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾(٤) شهد بذلك الكتاب والسنّة وإجماع المسلمين ، وأن أهل النار خالدون فيها أبداً معذبون لا يخفف عنهم العذاب : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم

---

(١) في نسخة : منعمون .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥ .
قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

(٣) سورة هود ، الآية : ١٠٨ .
قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ .

(٤) سورة الحجر ، الآية : ٤٨ .
قال تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ .

بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾[١] ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾[٢] شهد بذلك الكتاب والسنّة وإجماع المسلمين ، ومن خالف من الصوفية ، وبعض أهل الخلاف من أصحاب الآراء المنحرفة فلا عبرة بقولهم ، ولا يلتفت إليهم بعد نص الكتاب والسنّة المجمع على صحتها وقد أقمنا عليه الأدلة العقلية القطعية .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة فاطر ، الآية : ٣٦ .

فصل
في بقية الأمور الاعتقادية

ويجب أن يعتقد أن ما نطق القرآن به[١] ، وجاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله حقّ من علم الساعة ، وسؤال منكر ونكير لمن محض الإيمان محضاً و[٢]محض الكفر محضاً[٣] في القبر والحشر والنشر والمرصاد ، وهو كما قال الصادق عليه السلام : (**المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها[٤] عبد بمظلمة عبد**)[٥] . ومن الختم على الأفواه وإنطاق الجوارح ومن الجنة

---

(١) في نسخة : به القرآن .

(٢) في نسخة : واو .

(٣) عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**لا يُسأل في القبر إلّا من مَحَضَ الإيمان محضاً أو مَحَضَ الكفر محضاً ، ولا ينال الرجعة إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً**) .
قلت له : فسائر الناس ؟
فقال عليه السلام : (**يلهى عنه**) بحار الأنوار : ٦ / ٢٣٥ ح ٥٢ ، والرجعة : ٤٨ ح ٢١ ، والإيقاظ من الهجعة : ٢٧٥ ح ٨٥ .

(٤) في نسخة : (**لا يجوز**) .

(٥) أصول الكافي : ٢ / ٣٣١ ح ٢ باب الظلم ، وثواب الأعمال : ٢٧٢ ، =

وأحوال ما فيها من المآكل والمشارب والنكاح وصنوف النعيم ومن النار وأحوال ما فيها من العذاب والأغلال والسلاسل والسرابيل ومقامع الحديد والجحيم[1] والزقوم والغسلين وغير ذلك ومن : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾[2] .

= ووسائل الشيعة : ١٦ / ٤٧ ح ٢٠٩٤٤ ، وبحار الأنوار : ٨ / ٦٤ باب ٢٢ باب الصراط .

(١) في نسخة أخرى : الحميم .

(٢) سورة الحجّ ، الآية : ٧ .

خاتمة
في وجوب الاعتقاد بالرجعة وظهور المهدي عليه السلام

ومما ينبغي اعتقاده رجعة محمد وأهل بيته أجمعين صلوات الله عليهم ، على نحو ما ذكرناه في جوابنا الموضوع للرجعة ومختصره ، أنه إذا كانت السنة التي يظهر فيها قائم آل محمد صلى الله عليه وآله عجّل الله فرجه وقع قحط شديد[(١)] ، فإذا كان العشرون من جمادى الأولى وقع مطر شديد لا يوجد مثله منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض متصلاً إلى أول شهر رجب ، تنبت لحوم من يريد الله أن يرجع إلى الدنيا من الأموات[(٢)] ، وفي

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٥٢٥ ـ ٥٢٧ باب حديث الدجال ح ١ ، وبحار الأنوار : ٥٢ / ١٩٣ ـ ٩٥ ح ٢٩٦ .

(٢) مختصر البصائر : ٤٤١ ، ومناقب آل أبي طالب عليه السلام : ٢ / ١٠٨ ، ومعاني الأخبار للصدوق : ٤٠٦ ح ٨١ ، وبحار الأنوار : ٥٣ / ٤٥٩ ح ٤٦ ، والرجعة : ١٤١ ح ٨٤ ، وتفسير البرهان : ٢ / ٤٠٨ ح ٨ ، ونهج البلاغة (د . صبحي الصالح) : ٢١٢ ذ خطبة ١٥٢ ، وص ٢٨٠ ذ خطبة ١٨٩ .
ولفظه في مختصر البصائر : (**إنّ أمرنا صعب مستصعب ، لا يحتمله إلّا ملك مقرّب ، أو نبيّ مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، لا يعي حديثنا إلّا** =

العشر الأول منه أيضاً يخرج الدجال من أصفهان ، ويخرج السفياني عثمان بن عنبسة أبوه من ذرية[(١)] أبي سفيان وأمه من ذرية يزيد بن معاوية من الرملة من الوادي اليابس[(٢)] ، وفي شهر رجب

= **حصون حصينة ، أو صدور أمينة ، أو أحلام رزينة ، يا عجباً ! كلّ العجب بين جمادى ورجب)** .

فقال رجل من شرطة الخميس : ما هذا العجب يا أمير المؤمنين ؟

قال : (**وما لي لا أعجب ، وقد سبق القضاء فيكم وما تفقهون الحديث ، ألا صوتات بينهنّ موتات ، حصد نبات ، ونشر أموات ، يا عجباً ! كلّ العجب بين جمادى ورجب ! قال أيضاً رجل : يا أمير المؤمنين ، ما هذا العجب الذي لا تزال تعجب منه ؟)** .

قال : (**ثكلت الآخر أمّه ، وأيُّ عجب يكون أعجب منه أموات يضربون هام الأحياء)** . قال : أنّى يكون ذلك يا أمير المؤمنين ؟

قال : (**والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ، كأنّي أنظر إليهم قد تخلّلوا سكك الكوفة ، وقد شهروا سيوفهم على مناكبهم ، يضربون كلَّ عدوّ لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وللمؤمنين ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾** [الممتحنة : ١٣] . **ألا يا أيّها الناس ! سلوني قبل أن تفقدوني ، لأنا بطرق السماء أعلم من العالم بطرق الأرض . .)** .

(١) في نسخة : ذرية عتبة بن .

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخم الهامة بوجهه أثر الجدري ، إذا رأيته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفيان حتى يأتي أرض قرار ومعين فيستوي على منبرها)** كمال الدين وتمام النعمة : ٦٥١ ح ٩ ، والخرائج والجرائح : ٣ / ١١٥٠ ، وبحار الأنوار : ٥٢ / ٢٠٥ ح ٣٦ .

يظهر في قرص الشمس جسد أمير المؤمنين عليه السلام يعرفه الخلائق وينادي في السماء مناد باسمه ، وفي أواخر[١] شهر رمضان ينخسف القمر[٢] ، وفي الليلة الخامسة منه[٣] تنكسف الشمس ، وفي أول الفجر من اليوم الثالث والعشرين ينادي جبرئيل في السماء أن[٤] الحق مع علي وشيعته ، وفي آخر النهار ينادي إبليس من الأرض ألا إن الحق مع عثمان الشهيد و[٥]يسمع الخلائق كلا النداءين كلّ بلغته ، فعند ذلك يرتاب المبطلون ، فإذا كان يوم[٦] الخامس والعشرون من ذي الحجة يقتل النفس الزكية محمد بن الحسن بين الركن والمقام ظلماً[٧] ، وفي يوم الجمعة

---

(١) في نسخة : آخر .
(٢) في نسخة : القمر أو في الليلة الخامسة منه .
(٣) في نسخة : وفي النصف .
(٤) في نسخة : إلا أن .
(٥) في نسخة : وشيعته .
(٦) في نسخة : اليوم .
(٧) في إكمال الدين عن الثمالي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول : **(إن خروج السفياني من الأمر المحتوم)** ، قال لي : **(نعم واختلاف ولد العباس من المحتوم ، وقتل النفس الزكية من المحتوم ، وخروج القائم عليه السلام من المحتوم)** ، فقلت : فكيف يكون النداء ؟ قال : **(ينادي مناد من السماء أول النهار ألا إن الحق في عليّ وشيعته ، ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار ألا إن الحق في السفياني وشيعته فيرتاب عند =**

العاشر من المحرم يخرج الحجة عليه السلام ويدخل المسجد الحرام يسوق أمامه عنيزات ثمان عجافاً ويقتل خطيبهم[١] .

= ذلك المبطلون) كمال الدين وتمام النعمة : ٦٥٢ ح ١٤ ، وغيبة الطوسي : ٤٣٥ ح ٤٢٥ .

(١) انظر مختصر البصائر : ١٩٠ ، وبحار الأنوار : ٥٣ / ١٥ .

فصل
في خروج المهدي عليه السلام وسيرته

فإذا قتل الخطيب غاب عن الناس في الكعبة ، فإذا جنّه الليل ليلة السبت صعد سطح الكعبة وتنادى أصحابه الثلاث مئة وثلاثة عشر ، فيجتمعون عنده من مشرق الأرض ومغربها فيصبح يوم السبت فيدعو الناس إلى بيعته ، فأول من يبايعه الطائر الأبيض جبرائيل عليه السلام(١) ، ويبقى في مكة حتى يجتمع إليه عشرة آلاف ، ويبعث السفياني عسكرين عسكراً إلى الكوفة وعسكراً إلى المدينة ، ويخربونها ويهدمون القبر الشريف وتروث بغالهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويخرج العسكر إلى مكة ليهدموها فإذا وصلوا البيداء خسف لهم(٢) لم ينج منهم إلّا رجلان

---

(١) قال أبو جعفر عليه السلام : (**هو والله المضطر في كتاب الله وهو قول الله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل: ٦٢] وجبرائيل على الميزاب في صورة طائر أبيض فيكون أول خلق الله يبايعه جبرائيل ويبايعه الثلاث مئة والبضعة العشر رجلاً**) تفسير العياشي : ٢ / ٥٦ ـ ٦١ ح ٤٦ ، وغيبة النعماني : ١٨٧ ح ٣٠ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٥٢ / ٣٤١ ـ ٣٤٥ ح ٩١ .

(٢) في نسخة : خسفت بهم .

يمضي أحدهما نذيراً للسفياني والآخر بشيراً للقائم عليه السلام ، ثم يسير عليه السلام إلى المدينة ويخرج الجبت والطاغوت ويصلبهما في الشجرة ، ويسير في أرض الله ويقتل الدجال ، ويلتقي بالسفياني ويأتيه السفياني ويبايعه فيقول له أقوامه من أخواله : يا كلب ما صنعت ، فيقول : أسلمت وبايعت ، فيقولون : والله ما نوافقك على هذا فلا يزالون به حتى يخرج على القائم عليه السلام ، فيقاتله فيقتله الحجة عليه السلام(١) ، ولا يزال يبعث أصحابه في أقطار الأرض حتى يستقيم له الأمر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً(٢) .

---

(١) بحار الأنوار : ٥٢ / ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ح ٢٠٦ ، وتاريخ الكوفة للبرقي : ١١٨ .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً**) كمال الدين وتمام النعمة : ١٧٧ ح ٤ ، وغيبة الطوسي : ٤٢٥ ح ٤١٠ ، وبحار الأنوار : ٥١ / ١٣٣ ح ٥ ، وإلزام الناصب : ١ / ١٠٩ .

فصل
في ملك المهدي عليه السلام ومدته ورجوع الحسين عليه السلام

ويستقر في الكوفة ، ويكون مسكن أهله مسجد السهلة[١] ، ومحل قضائه مسجد الكوفة ، ومدة ملكه سبع سنين يطول الله الأيام والليالي حتى تكون السنة بقدر عشر سنين[٢] ، لأن الله سبحانه يأمر الفلك باللبوث فتكون مدة ملكه سبعين سنة من هذه السنين ، فإذا مضى منها تسع وخمسون سنة خرج الحسين عليه السلام في أنصاره الاثنين والسبعين الذين استشهدوا معه في

(١) في التهذيب للشيخ بسنده عن صالح بن أبي الأسود قال : قال أبو عبد الله عليه السلام وذكر مسجد السهلة فقال : (**أما أنه منزل صاحبنا إذا قام بأهله**) تهذيب الأحكام للطوسي : ٣ / ٢٥٢ ح ٦٩٢ ، ووسائل الشيعة : ٥ / ٢٦٧ ح ٦٥٠٧ ، والكافي : ٣ / ٤٩٥ ح ٢ باب مسجد السهلة .

(٢) عن عبد الكريم الخثعمي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كم يملك القائم عليه السلام ؟ فقال : (**سبع سنين تطول الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنيه مقدار عشر سنين من سنيكم فيكون سبعين سنة من سنيكم هذه**) إرشاد المفيد : ٢ / ٣٨١ ، وغيبة الطوسي : ٤٧٤ ح ٤٩٧ ، وبحار الأنوار : ٥٢ / ٢٩١ ح ٣٥ .

كربلاء[1] ، وملائكة النصر والشعث الغبر الذين عند قبره ، فإذا تمت السبعون السنة أتى الحجة عليه السلام الموت فتقتله امرأة من بني تميم اسمها سعيدة ، ولها لحية كلحية الرجل بجاون صخر من فوق سطح وهو متجاوز في الطريق ، فإذا مات عليه السلام تولى تجهيزه الحسين عليه السلام ، ثم يقوم بالأمر ، ويحشر له يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد والشمر ومن معه يوم كربلاء[2] ، ومن رضي بأفعالهم من الأولين والآخرين لعنة الله عليهم أجمعين فيقتلهم الحسين عليه السلام ويقتص منهم ، ويكثر القتل في كلّ من رضي بفعلهم أو أحبهم حتى تجتمع عليه أشرار الناس من كلّ ناحية ، ويلجئونه إلى البيت[3] الحرام فإذا اشتد به الأمر ، خرج السفاح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(١) قال المفضل : قلت : يا سيدي والاثنان والسبعون رجلاً أصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام يظهرون معهم ؟
قال : (**يظهر منهم أبو عبد الله الحسين بن عليّ عليهما السلام في اثني عشر ألف صديق من شيعته وعليه عمامة سوداء**) مختصر البصائر : ١٩٠ ، وبحار الأنوار : ٥٣ / ١٥ .

(٢) عن رفاعة بن موسى قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : (**إن أول من يكر إلى الدنيا الحسين بن عليّ عليهما السلام وأصحابه ويزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلهم حذو القذة بالقذة**) . تفسير العياشي : ٢ / ٢٨٢ ح ٢٢ ، وبحار الأنوار : ٥٣ / ٧٦ ح ٧٨ ، وتفسير الصافي : ٣ / ١٧٩ ، وتفسير نور الثقلين : ٣ / ١٣٩ ح ٨٣ .

(٣) في نسخة : بيت الله .

عليه السلام لنصرته مع الملائكة[١] فيقتلون أعداء الدين ويمكث علي عليه السلام مع ابنه الحسين عليهما السلام ثلاث مئة سنة وتسع سنين كما لبث أصحاب الكهف ، ثم يضرب على قرنه ويقتل لعن الله قاتله ، ويبقى الحسين عليه السلام قائماً بدين الله ومدة ملكه خمسون ألف سنة ، حتى أنه ليربط حاجبيه بعصابة من شدة الكبر ، ويبقى أمير المؤمنين عليه السلام في موته أربعة آلاف سنة أو ستة آلاف سنة أو عشرة آلاف سنة على اختلاف الروايات[٢] .

(١) عن جابر الجعفي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : **(والله ليملكنّ منّا أهل البيت رجل بعد موته ثلاث مئة سنة ، ويزداد تسعاً)** .
قلت : متى يكون ذلك ؟ قال : **(بعد القائم عليه السلام)** . قلت : وكم يقوم القائم في عالمه ؟
قال : **(تسع عشرة سنة ، ثُمّ يخرج المنتصر إلى الدنيا وهو الحسين عليه السلام فيطلب بدمه ودم أصحابه ، فيقتل ويسبي حتى يخرج السفّاح ، وهو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام)** . مختصر البصائر : ١٣٥ ، وبحار الأنوار : ٥٣ / ١٠٣ ـ ١٠٤ ضمن ح ١٣٠ ، ومنتخب الأنوار المضيئة : ٢٠٢ .

(٢) كما يأتي مفصلاً في كتاب الرجعة .

فصل
في رجوع أمير المؤمنين عليه السلام

ثم يكر علي عليه السلام في جميع شيعته لأنه عليه السلام يقتل مرتين، ويحيى مرتين، قال عليه السلام: (**أنا الذي أُقتل مرتين وأُحيى مرتين ولي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة**)[(١)] والأئمة عليهم السلام[(٢)] يرجعون حتى القائم عليه السلام، لأن لكلّ مؤمن موتة وقتلة[(٣)]، فهو في أول خروجه قتل، ولا بد أن

---

(١) مختصر البصائر: ٣٢ـ٣٤، وكتاب الرجعة: ٦٣ ح ٤٢، وبحار الأنوار: ٥٣ / ٤٦ـ٤٩ ح ١٨ـ٢٠، وصحيفة الأبرار: ٩٢ـ٩٣، وتفسير البرهان: ٣ / ١٤٩ ح ٩، والإيقاظ من الهجعة: ٢٨٠ ح ٩٦ وص ٣٦٤ ح ١٢٠ مختصراً.

(٢) في نسخة: السلام كلهم.

(٣) قال أبو جعفر عليه السلام: (**ما من مؤمن إلّا وله ميتة وقتلة، من مات بُعث حتّى يُقتل، ومن قُتل بُعث حتى يموت**) الرجعة: ٤٦ ح ١٩ والبرهان: ٢ / ١٦٦ ح ٦، والبحار: ٥٣ / ٧١ ح ٧٠، وتفسير العيّاشي: ٢ / ١١٢ ح ١٤٠.
وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ [النّمل: ٨٣] فقال: (**ليس أحد من المؤمنين قُتل إلّا سيرجع حتى يموت، ولا أحد من المؤمنين مات إلّا سيرجع حتى يُقتل**). تفسير البرهان: ٣ / ٢١١ ح ١٥، وتأويل الآيات: ١ / ٤٠٩ ح ١٥، وتفسير القمّي: ٤٨٠.

يرجع حتى يموت ، ويجتمع إبليس مع جميع أتباعه ويقتتلون عند الروحاء قريباً من الفرات[(١)] ، فيرجع المؤمنون القهقرى حتى تقع منهم رجال في الفرات وروي ثلاثون رجلاً ، فعند ذلك يأتي تأويل قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾[(٢)] رسول الله صلى الله عليه وآله ينزل من الغمام وبيده حربة من نار فإذا رآه إبليس هرب فيقول[(٣)] أنصاره أين تذهب وقد آن لنا النصر ، فيقول : إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله رب العالمين ، فيلحقه رسول الله صلى الله عليه وآله فيطعنه في ظهره ، فيخرج الحربة من صدره ويُقتلون أصحابه أجمعين[(٤)] ، وعند ذلك يُعبَد الله ولا يشرك به شيئاً ، ويعيش المؤمن لا يموت حتى يولد له ألف ولد ذكر ، وإذا كسى

---

(١) انظر مختصر البصائر : ٢٧ ، الرجعة : ٣٤ / ح ٣ ، والبحار : ٥٣ / ٤٢ ح ١٢ ، والإيقاظ من الهجعة : ٣٦١ ح ١١٣ ، وتفسير البرهان : ٢ / ٣٤٣ ح ٣ ، ومدينة المعاجز : ٣ / ١٠١ ح ٧٦٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٠ .

(٣) في نسخة : فيقول له .

(٤) عن عبدالكريم بن عمرو الخثعمي قال : قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (.. **فإذا كان يوم الوقت المعلوم كرّ أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال لها الروحاء قريب من كوفتكم فيقتتلون قتالاً لم يقتل مثله منذ خلق الله عزَّ وجلَّ العالمين ، فكأني أنظر إلى أصحاب علي أمير المؤمنين قد** =

ولده ثوباً يطول معه كلما طال الثوب ، ويكون لونه على حسب ما يريد ، وتظهر الأرض بركاتها وتؤكل ثمرة الصيف في الشتاء ، وبالعكس ، وإذا أخذ الثمرة من الشجرة تنبت[١] مكانها حتى لا يفقد شيئاً وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله ، فإذا أراد الله تعالى نفاذ[٢] أمره في خراب العالمين[٣] ، رفع محمداً وآله صلى الله عليه وآله إلى السماء وبقي الناس في هرج ومرج أربعين يوماً ثم ينفخ إسرافيل

= رجعوا إلى خلفهم القهقرى مئة قدم ، وكأني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات فعند ذلك يهبط الجبار عزَّ وجلَّ : ﴿ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البَقَرَة : ٢١٠] ، رسول الله صلى الله عليه وآله أمامه بيده حربة من نور ، فإذا نظر إبليس رجع القهقرى ناكصاً على عقبيه فيقولون له أصحابه : أين تريد وقد ظفرت ؟ فيقول لهم : ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦] ، فيلحقه النبي صلى الله عليه وآله فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه ، فعند ذلك يعبد الله عزَّ وجلَّ ولا يشرك به شيئاً ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربعاً وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي صلوات الله عليه ألف ولد من صلبه في كل سنة ذكر ، وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله) مختصر البصائر : ٢٧ ، الرجعة : ٣٤ / ح ٣ ، والبحار : ٥٣ / ٤٢ ح ١٢ ، والإيقاظ من الهجعة : ٣٦١ ح ١١٣ ، وتفسير البرهان : ٢ / ٣٤٣ ح ٣ ، ومدينة المعاجز : ٣ / ١٠١ ح ٧٦٤ . .

(١) في نسخة : نبت .
(٢) في نسخة : إنفاذ .
(٣) في نسخة : العالم .

في الصور نفخة الصعق ، وما ذكرناه هنا ملتقط من روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام[١] .

والذي ينبغي للمؤمن اعتقاد رجعتهم عليهم السلام إلى الدنيا وهو في أحاديثهم واجب لا يرتاب فيه المؤمنون بتلك الأخبار ، وإنما عبرت بلفظ ينبغي دون لفظ الواجب[٢] اتقاء من خلاف بعض العلماء في ذلك من أن[٣] المراد بالرجعة قيام القائم عليه السلام ، والحق أن رجعتهم حق بنص الأخبار المتكثرة ، ودعوى

---

(١) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟
قال : (**ما شاء الله ، فقيل له : فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه ؟ فقال : أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل . . .**) والحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢ ، وتفسير نور الثقلين للحويزي : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦ .

(٢) في نسخة : الوجوب .

(٣) في نسخة : وإنما .

أنها أخبار آحاد غير مسموعة بعد ظاهر القرآن ونصّ نحو خمس مئة حديث مروي عنهم عليهم السلام[١] ، ولو لم يكن إلّا لإنكار[٢] المخالفين الذين يكون الرشد في خلافهم لكفى .

---

(١) يأتي قسم كبير منها في كتاب الرجعة .

(٢) في نسخة : إنكار .

فصل
في بيان الآجال والأرزاق والأسعار

ومما يلحق بذلك الكلام في الآجال والأرزاق والأسعار .

الأجل : هو وقت حدوث الشيء ، وأجل الموت هو انتهاء مدة كونه في الدنيا ، وانتهاء ما كتب له ، وهو يحصل بالموت والقتل ، أما الموت فما كان بالموت الطبيعي وهو مئة سنة أو ثمانون سنة أو مئة وعشرون سنة على احتمالات الفصول الإنسانية في الإنسان ، هل الفصل ـ أي فصل الربيع ـ عشرون أو خمسة وعشرون أو ثلاثون ، وكذا الصيف والخريف والشتاء ، فهو عند انتهاء ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ له من مدة[1] البقاء في هذه الدنيا ، ومن الأرزاق لجميع قوابله من أكل وشرب وملبوس وعلم وفهم وغير ذلك .

ثم إن كان من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً بقي له من ذلك في اللوح المحفوظ ما قدر له مدة بقائه عند قيام القائم عليه السلام أو رجعة النبي والأئمة عليهم السلام ، وما كان

---

(١) في نسخة : هذه .

بالموت الطبيعي فعلى حسب السبب المقتضي لموته ، فقد يعمل المعصية التي تمحو ما كتب له من الرزق و[١]الأجل فيموت ، ولم يبق إلّا ما كان له إن كان ماحضاً للإيمان أو الكفر ، وما كان بالقتل فقيل : يموت بأجله ، وقيل : قبل أجله ، ثم اختلف القائلون الذين قالوا : بأن أجله مخترم وأنه قبل الأجل ، ولولا ذلك لما استحق الدية من القاتل فقال بعضهم : لو لم يقتل عاش أربعين يوماً ، وقيل : لا نعلم ولو لم يقتل هل يموت أو يعيش ؟ وقيل غير ذلك ، والذي فهمت من أخبار الأئمة عليهم السلام أنه يقتل قبل الأجل ، وأنه لو لم يقتل عاش سنتين ونصف سنة .

وأما الرزق فهو ما ينتفع به الحي وليس لغيره منعه منه ، والمراد بالغير غير الله سبحانه وغير رسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم فعلى ، هذا لا يكون الحرام رزقاً خلافاً لأهل الخلاف ، والدليل على أن الحرام ليس برزق أخبار الأئمة عليهم السلام[٢] ، ومن القرآن مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٣] فمدحهم على الإنفاق من الرزق ، ولو كان حراماً لذمهم على الإنفاق منه لأنه تصرف في مال الغير بغير إذنه .

---

(١) في نسخة : أو .
(٢) انظر كتاب الاقتصاد للشيخ الطوسي : ١٠٥ الكلام في الآجال والأرزاق .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣ .

وأما الأسعار فالرخص انحطاط السعر عما جرت به العادة في وقت مخصوص ، ومكان مخصوص .

وأما الغلاء فهو ارتفاع السعر عما جرت به العادة كذلك ، فقيل : قد يكونان من الله سبحانه بأن يقلل الأمتعة ويكثر رغبة الناس فتغلا الأسعار ، وقد يكثر الأمتعة ويقلل رغبة الطالبين فترخص الأسعار .

وقد يكونان من غير الله سبحانه بأن يمنع السلطان الناس من جلب الأمتعة فتغلو أو[1] يمنعهم من شرائها فترخص والعوض فيما يدخل على الناس من الآلام في ذلك على الظالم ، والحق في ذلك أن الغلاء والرخص يكونان بتقدير الله بأعمال الناس ، وذلك أن الله سبحانه قد يقلل الأمتعة أو أسباب وجودها ، إما عقوبة لأهل[2] المعاصي بما قدمت أيديهم فتصيب تلك العقوبة[3] وإن لم يعص لأجل كونه معهم كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾[4] أو اختباراً للعباد كما في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾[5]

---

(١) في نسخة : و .

(٢) في نسخة : لبعض أهل .

(٣) في نسخة : العقوبة مع من كان معهم .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٤٠ .

(٥) سورة النمل ، الآية : ٤٠ .

وليذيقهم حلاوة الفرج كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١) أو ليرفع درجة الشاكرين على الرخاء الصابرين على البلاء ، فإن (**الدنيا سجن المؤمن**)(٢) أو ليميز الخبيث من الطيب وغير ذلك ، ويكل المحتكرين إلى أنفسهم في الغلا وبالعكس في الرخص .

وقولي أو(٣) أسباب وجودها أي يقلل أسباب(٤) وجود الأمتعة أريد به أسباب قابلية وجودها ، مثل(٥) كثرة الطلب وإيجاد المحتكر ومنع الأمطار وخوف الطرق وكثرة قطاع الطريق وأمثال ذلك ، بأن يكل الذي يخالف محبة الله إلى نفسه حتى تقع منه أسباب المنع من المعاصي ومن ظلم العباد وغير ذلك ، فإن كلّ ما يكون سبباً للغلاء إنما هو لأنه تقصير(٦) في حق المعبود أو مسبب لتقصير ، لأن مقتضى الكرم الرخاء والرخص ، وإنما يكون خلاف ذلك المقتضى لأجل موانع من تقصيرات قوابل المكلفين .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٥ .
(٢) في نسخة : (المؤمنين) .
(٣) في نسخة : و .
(٤) في نسخة : الأسباب .
(٥) في نسخة : مع .
(٦) في نسخة : تقصيره .

فإن قلت : إن الغلاء والرخص من الله عزّ وجلّ ، بمعنى أنه قدّر أسباب ذلك بتقصيرات المكلفين في الغلاء وبفضله في الرخص فقد أصبت .

وإن قلت : إن الغلاء والرخص بسبب أعمال العباد ، بمعنى أنه تعالى عاملهم بعدله في الغلاء وتجاوز عنهم في الرخص فقد أصبت .

والواجب على العباد شكره على نعمائه وحمده على كرم عدله وآلائه والرضا في كل حال بقدره وقضائه ، فإنه ولي كلِّ خيرٍ ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

٤ ـ رسالة في تفسير كلمة
أحد من سورة التوحيد

٤ ـ رسالة في تفسير كلمة أحد من سورة التوحيد

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد عرض لي وارد وأنا في بعض الصلوات النوافل ففتح لي فهم بعض معاني ﴿ أَحَدٌ ﴾ : من ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾(١) وما يراد منه ، فأردت أن أثبت بعض ما ورد عليّ(٢) معنى ﴿ أَحَدٌ ﴾ في السورة الشريفة ليتنبه لمحض التوحيد من كان له قلب من طالبي مراتب(٣) العالية من إخواننا المؤمنين أو ألقى السمع وهو شهيد .

وينبغي أن أذكر قبل ذلك بعض كلام أهل اللغة والعلماء وما أشاروا إليه من الشبه والأجوبة من باب المقدمة ، لأنه هو الذي أنست به أفهام الأكثرين ليكون سلّماً يرتقون به إلى ما أشير إليه تسهيلاً للبيان والله سبحانه هو المستعان ، رجاء أن يعثر الطالب للعرفان على مراد سادات الزمان عليهم سلام ، الرحمن الذي خلق الإنسان وعلمه البيان من التوحيد الذي هو من نهايات الإيمان في رتبة الإمكان .

---

(١) سورة التوحيد ، الآية : ١ .

(٢) في نسخة أخرى : علي من .

(٣) في نسخة أخرى : المراتب .

الفرق بين الواحد والأحد

فأقول : إن أحد عند أهل اللغة بمعنى الواحد ، وكذا في ظاهر بعض الأخبار ، قال في النهاية : وفي حديث الدعاء أنه قال لسعد : وكان يشير في دعائه بإصبعين (**أحد أحد**) أي أشرّ بإصبع واحدة ، لأن الذي تدعو إليه واحد وهو الله تعالى . انتهى[١] .

وفي القاموس : الأحد بمعنى الواحد ، ويوم من الأيام جمعه آحاد وأحدان ، أو ليس له جمع ، أو الأحد لا يوصف به إلّا الله سبحانه وتعالى لخلوص هذا الاسم الشريف له تعالى ، ويقال للأمر المتفاقم : أحدي الأحد وفلان أحد[٢] الأحدين وواحد الأحدين وواحد الآحاد وواحدي[٣] الأحد لا مثل له وهو أبلغ المدح ، انتهى[٤] .

أقول : وظاهر ما ذكره من المبالغة والشهرة[٥] ، في أحد إنما هو مستفاد من الإضافة لا من نفسه .

وقال : في النهاية في أسماء الله تعالى[٦] وهو الفرد الذي لم

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير : ١ / ٢٧ .

(٢) في نسخة أخرى : إحدى .

(٣) في نسخة أخرى : إحدى .

(٤) القاموس المحيط : ١ / ٢٧٣ ، وتاج العروس : ٤ / ٣٢٩ .

(٥) في نسخة أخرى : الشدة .

(٦) في نسخة أخرى : تعالى الأحد .

يزل وحده ولم يكن معه آخر ، وهو اسم بني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول : ما جاءني أحد ، والهمزة فيه بدل من الواو أصله وحد لأنه من الوحدة ، انتهى[١] .

وقال الأزهري : الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بني لنفي ما يذكر[٢] معه من العدد ، تقول : ما جاءني أحد ، والواحد اسم بني لمفتتح العدد تقول : جاءني واحد من الناس ، ولا تقول : جاءني أحد ، والواحد هو المتفرد بالذات في عدم المثل والنظير ، والأحد المتفرد بالمعنى ، انتهى[٣] .

وقيل : الأحد هو الذي لا يتجزأ ، ولا يقبل الانقسام ، ولا نظير له ، ولا مثل ، ولا يقبل مع هذين[٤] الوصفين إلّا الله تعالى[٥] .

وفي توحيد الصدوق[٦] : الأحد معناه أنه واحد في ذاته[٧] .

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير : ١ / ٢٧ .
(٢) في نسخة أخرى : يذكره .
(٣) لسان العرب : ٣ / ٤٥١ .
(٤) في نسخة أخرى : لا يقبل هذين .
(٥) انظر لسان العرب : ٣ / ٤٥١ ، وتاج العروس : ٥ / ٣٠٠ .
(٦) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .
(٧) توحيد الصدوق : ١٩٦ .

قال السيد نعمة الله[١] في شرح هذا الكلام : هذا مبني على ترادف الواحد والأحد كما هو أحد القولين[٢] .

وقال : يجوز أن واحداً من الدواب أو الطير أو الوحوش أو الآنس .

قال السيد نعمة الله[٣] : محصل هذا الفرق أن الواحد يطلق على الإنسان وغيره بخلاف الأحد فإنه لا يطلق إلّا على الإنسان ، يعني أن الواحد أعم مورداً لكونه يطلق على من يعقل وغيره ، ولا يطلق الأحد إلّا على من يعقل ، وذكر المحققون وجهاً آخر للفرق بينهما إذا وقعا في سياق مثل هذا النفي ، وهو أن قولك : ليس في الدار واحد لا يقتضي استغراق النفي مطلقاً فيجوز أن يكون فيها اثنان بخلاف قولك : ليس في الدار أحد ،

---

(١) نعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الحسيني ، الجزائري ، الشوشتري ، الشيعي الإمامي . عالم ، أديب ، من أهل جزائر البصرة .
ولد في قرية الصباغية عام (١٠٥٠ هـ ـ ١٦٤٠ م) ، وقرأ بها ، ثم بشيراز ، فأصفهان ، وعاد إلى قرية جايدر وتوفي في عام (١١١٢ هـ ـ ١٧٠١ م) .
من تصانيفه : الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية ، رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار ، مقصود الأنام في شرح تهذيب الأحكام ، مقامات النجاة في شرح الأسماء والصفات ، ومفتاح اللبيب في شرح التهذيب .
انظر روضات الجنات للخوانساري : ٤ / ٢٢ ـ ٢٢٢ ، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٤٩٧ .

(٢) نور البراهين : ١ / ٤٧٦ .

(٣) نور البراهين : ١ / ٤٧٧ .

فإنه يقتضي استغراق الآحاد وغيرها ، وذكر الشهيد طاب ثراه[(١)] أن الواحد يقتضي نفي الشريك بالنسبة إلى الذات ، والأحد يقتضي نفي الشريك بالنسبة إلى الصفات ، انتهى كلام السيد نعمة الله .

وعبارة الصدوق في التوحيد هكذا : الواحد الأحد معناه أنه واحد في ذاته ليس بذي أبعاض ، ولا أجزاء ، ولا أعضاء ، ولا يجوز عليه الأعداد والاختلاف ، لأن اختلاف الأشياء من آيات وحدانيته مما دل به على نفسه ، ويقال : لم يزل الله واحداً ، ومعنى ثان أنه واحد لا نظير له فلا يشاركه في معنى الوحدانية غيره ، لأن كل من كان له نظراء وأشباه لم يكن واحداً بالحقيقة

---

(١) هو محمد بن مكي بن أحمد بن حامد العاملي ، الجزيني ، الشيعي (الشهيد السعيد ، شمس الدين ، أبو عبد الله) . فقيه ، أصولي ، مجتهد ، مشارك في العلوم العقلية والنقلية .
ولد في سنة (٧٣٤ هـ ـ ١٣٣٣ م) وسكن جزين بلبنان ، ورحل إلى العراق والحجاز ومصر ودمشق وفلسطين ، وأخذ عن علمائها ، واتهم في أيام السلطان برقوق بانحلال العقيدة ، فسجن في قلعة دمشق ، ثم ضربت عنقه في ٩ جمادى الأولى سنة (٧٨٦ هـ ـ ١٣٨٤ م) فلقب بالشهيد الأول .
من تصانيفه : جامع العين من فوائد الشرحين أي شروح تهذيب الأصول ، البيان في الفقه ، كتاب القواعد ، الدروس الشرعية في فقه الامامية ، وغاية المراد في شرح نكت الارشاد .
انظر روضات الجنات للخوانساري : ٥١٧ ـ ٥٢٢ ، وإيضاح المكنون للبغدادي : ١ / ٣٥٥ ـ ٤٣٣ .

ويقال : فلان واحد الناس أي لا نظير له فيما يوصف به ، والله واحد لا من عدد لأنه عزّ وجل لا يعد في الأجناس ، ولكنه واحد لا نظير له ، وقال بعض الحكماء في الواحد والأحد : إنما قيل واحد لأنه متوحد والأول لا ثاني معه ، ثم ابتدع الخلق كلهم محتاجاً بعضهم إلى بعض ، والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء ، بل هو قبل كل عدد ، والواحد كيف ما أدرته أو جزأته لم يزد فيه شيء ولم ينقص منه شيء ، تقول واحد في واحد واحد ، فلم يزد عليه شيء ولم يتغير اللفظ عن الواحد ، فدلّ على أنه لا شيء قبله(١) دلّ على أنه محدث الشيء ، وإذا كان هو معنى محدث الشيء دلّ على أنه لا شيء بعده ، فإذا لم يكن قبله شيء ، ولا بعده شيء فهو المتوحد بالأزل فلذلك(٢) واحد أحد .

وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد ، تقول : ليس في الدار أحد فهو مخصوص بالآدميين دون سائرهم ، والأحد ممتنع من الدخول في الضرب والعدد والتشبيه ، وفي شيء من الحساب وهو منفرد بالأحدية ، والواحد منقاد للعدد والقسمة وغيرهما داخل في الحساب تقول : واحد واثنان وثلاثة فهذا العدد

---

(١) في نسخة أخرى : قبله وإذا دلّ على أنه لا شيء قبله .

(٢) في نسخة أخرى : فكذلك قيل .

والقسمة والواحد علة العدد وهو خارج من العدد وليس بعدد ، وتقول : [١] واحد في اثنين وثلاثة فما فوقها وتقول في القسمة : واحد بين اثنين أو ثلاثة لكل واحد من الاثنين واحد ونصف ، ومن الثلاثة ثلاث فهذه القسمة والأحد ممتنع في هذه كلها لا يقال : أحد ، ولا اثنان ، ولا أحد في أحد ، ولا واحد في أحد ، ولا يقال : أحد بين اثنين ، والأحد والواحد وغيرهما من هذه الألفاظ كلها مشتقة من الواحدة ، انتهى كلامه في كتاب التوحيد[٢] .

وفيه قال الباقر عليه السلام : **(الأحد الفرد المتفرد والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له ، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد ، والواحد المتباين الذي لا ينبعث من شيء ، ولا يتحد بشيء ، ومن ثم قالوا : إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد ، لأن العدد لا يقع على الواحد ، بل يقع على الاثنين فمعنى قوله : الله[٣] المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بإلهيته متعال عن صفات خلقه)**[٤] انتهى .

---

(١) في نسخة أخرى : بعدد تقول .
(٢) توحيد الصدوق : ١٩٧ .
(٣) في نسخة أخرى : (الله أحد أي) .
(٤) توحيد الصدوق : ٩٠ ، ونور البراهين : ١ / ٢٣٥ .

وبإسناده[١] إلى المقداد[٢] بن شريح بن هانى عن أبيه قال : إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أتقول : إن الله واحد ؟ قال : فحمل الناس عليه وقالوا : يا أعرابي ما ترى ما فيه أمير المؤمنين عليه السلام من تقسم القلب ؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : **(دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم ثم قال : يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام : فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجل ووجهان يثبتان فيه ، فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل : واحد يقصد به باب الأعداد ، فهذا ما لا يجوز ، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد ، ألا ترى أنه كفر من قال : ثالث ثلاثة ، وقول القائل هو أحد[٣] من الناس يريد به النوع من الجنس ، فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه وجلّ ربنا عن ذلك وتعالى ، وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل : هو واحد ليس له في الأشياء شبيه كذلك ربنا ، وقول القائل : إن ربنا عزّ وجلّ أحدي المعنى يعني به أنه لا ينقسم في وجود ، ولا**

---

(١) في نسخة أخرى : باستناده .
(٢) في نسخة أخرى : المقدام .
(٣) في نسخة أخرى : (واحد) .

عقل ، ولا وهم كذلك ربنا عزّ وجلّ)[١] انتهى .

ومثل معناه ما في رواية الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن الرضا عليه السلام .

وقال التفتازاني[٢] في إعراب كلمة ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٣] ، ما حاصله : أن لفظة الله موضوعة للذات المتشخصة لا للمفهوم الكلي وإلّا لم تكن لا إله إلّا الله مفيدة للتوحيد ، قيل عليه : يمكن أن يستدل على أن لفظة الله موضوعة للمفهوم الكلي[٤] لو كانت موضوعة للذات المتشخصة لم تكن : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

(١) توحيد الصدوق : ٨٣ ، والخصال : ٢ ح ١ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٠٧ ، وروضة الواعظين : ٣٦ .

(٢) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (سعد الدين) عالم مشارك في النحو والتصريف والمعاني والبيان والفقه والمنطق وغير ذلك .
ولد بتفتازان إحدى قرى نواحي نسا سنة (٧١٢ هـ ـ ١٣١٢) ، وأخذ عن القطب والعضد ، وانتفع الناس بتصانيفه ، وتوفي بسمرقند سنة (٧٩١ هـ ـ ١٣٨٩ م) .
من تصانيفه الكثيرة : شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان ، حاشية على الكشاف للزمخشري في التفسير ، التهذيب في المنطق ، المقاصد في علم الكلام ، وحقائق التنقيح لصدر الشريعة في الأصول .
انظر الدرر الكامنة لابن حجر : ٤ / ٣٥٠ ، وشذرات الذهب لابن العماد : ٦ / ٣١٩ - ٣٢٢ .

(٣) سورة محمد : ١٩ .

(٤) في نسخة أخرى : الكلي فإنها .

أَحَدٌ﴾ مفيدة للتوحيد ، إذ التوحيد إنما يستفاد منه لو أفاد أن هذا[١] المفهوم الكلي أحد لا فرد سواه ، وأما إذا أفاد أن هذه الذات المتشخصة أحد فلا يستفاد منه إلّا أن هذا الفرد من هذا المفهوم الكلي أحد ، ولا يستفاد منه أنه لا فرد لهذا المفهوم سواه ، قيل فيه أولاً : إنما يتجه على تقدير كون هو ضمير الشأن ، والجملة بعده مبتدأ وخبر خبر عنه ، أما على تقدير كونه راجعاً إلى المعبود ، كما ورد في التفسير أنهم قالوا له صلى الله عليه وآله : أخبرنا عن إلهك ما هو فنزلت الآية أي : ﴿قُلْ﴾ ، في جوابهم : ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيكون ﴿أَحَدٌ﴾ خبراً بعد خبر فلا اتجاه له .

وثانياً : أنه على تقدير ذلك فالتوحيد مستفاد من آخرها وهو قوله : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٢] فتأمل ، انتهى .

أقول : لا بأس بإيراد بعض الإيراد على بعض ما ذكرنا عن بعضهم وبيان بعض ما قد يخفى من كلام أئمة الهدى عليهم السلام مما استفدته من كلامهم صلوات الله عليهم أجمعين .

فقول أهل اللغة : إن أحد بمعنى واحد مبني على ظاهر اللغة[٣] العربية أنحاء استعمالاتها سبعون نحواً .

---

(١) في نسخة أخرى : لو قارن هذا .

(٢) سورة الإخلاص : ٤ .

(٣) في نسخة أخرى : اللغة أما أن اللغة ، لأن اللغة .

روى الشيخ المفيد[١] ومحمد بن الحسن الصفار[٢] في بصائر الدرجات بإسنادهما عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (**إني لأتكلم على سبعين وجهاً في كلها المخرج**)[٣] ، انتهى .

وبإسنادهما عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله : (**إنا لنتكلم بالكلمة لها سبعون وجهاً لنا من كلها المخرج**)[٤] ، انتهى .

وروى محمد بن محمد بن الحسن[٥] في البصائر عن أحمد ابن محمد عن ابن محبوب عن الأحول عن أبي عبد الله عليه

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي .
ولد في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦ هـ بسويقة ابن البصري من عكبراء .
توفي رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربع مئة (٤١٣) ببغداد ، وصلى عليه تلميذه السيد المرتضى .

(٢) هو محمد بن الحسن الصفار ابن فروخ الصفار أبو جعفر الأعرج مولى عيسى ابن موسى بن طلحة بن عبد الله بن السايب بن مالك بن عامر الأشعري ، عالم جليل له مؤلفات كثيرة منها : كتاب فضل القرآن ، والمثالب ، والمزار ، والمناقب ، والرد على الغلاة ، والملاحم ، والجهاد ، والصلاة ، والنكاح ، وغير ذلك . توفي سنة ٢٩٠ هـ .

(٣) بصائر الدرجات : ٣٤٨ ح ٥ ـ ٣ ، والاختصاص : ٢٨٧ ، ومناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ٣ / ٣٧٣ ، وبحار الأنوار : ٢ / ١٩٨ ح ٥٢ .

(٤) بصائر الدرجات : ٣٤٩ ح ٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ١٩٨ ح ٥٣ .

(٥) في نسخة أخرى : وبإسنادهما عن محمد بن مسلم .

السلام قال : (**أنتم أفقه الناس ما عرفتم معاني كلامنا**)[١] انتهى ، رواه المفيد .

وروى صاحب البصائر عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**إني**[٢] **لأتكلم بالكلمة الواحدة لها سبعون وجهاً إن شئت أخذت كذا وإن شئت أخذت كذا**)[٣] انتهى .

وبالجملة فالأحاديث في هذا المعنى مستفيضة وأسفل الوجوه ما هو المعروف الجاري على ألسنة العرب والبوادي ، مثل جعل الأحد والواحد بمعنى واحد ومن ، ثم تنبه أهل العرفان لشيء آخر فجعلوا الأحد لتفريد الذات والواحد للأسماء والصفات .

فإذا قيل : أحد في ذاته دل على انفراد الذات عن كل ما سواها ودل على بساطتها .

وإذا قيل : واحد في صفاته وأسمائه دلّ على اختصاصها فقط ولم يدل على بساطتها ، ولا على اتحادها .

وكذا لو قلت : واحد في صفته واسمه فلا تتوهم من ذكرى الصفات والأسماء بالجمع أن المانع من إفادة واحد البساطة

---

(١) الاختصاص للمفيد : ٢٨٨ ، وبصائر الدرجات : ٣٤٩ ح ٦ ، وبحار الأنوار : ٢ / ١٩٩ ح ٥٧ .
(٢) في نسخة أخرى : (لأني) .
(٣) بصائر الدرجات : ٣٤٩ باب ٩ ح ٣ ، وبحار الأنوار : ٢ / ١٩٩ ح ٥٨ .

والانفراد ذكرى لها بالجمع ، إذ لا فرق في الإفادة بين الجمع والانفراد ، بخلاف ما لو قلت : أحد في صفاته وأسمائه ، فإنه لو فرض استعماله في الصفات والأسماء كان إما أن يكون جرياً على الظاهر من كون أحد بمعنى واحد أو أن المعنى أن صفاته وأسماءه ليس فيهما نسب أو ارتباط ، بحيث يكون يحدث من الوصف والتسمية اقتران بالذات أو ارتباط أو نسبة غير ما يراد منهما لأنفسهما ، فافهم فإنه دقيق عميق .

أنحاء الفرق بين الواحد والأحد

ومعنى آخر للفرق أن الأحدية هي جهة التوحيد في أربعة أنحاء :

الأول : أنه تعالى واحد في ذاته فليس له ضد قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾(١) .

والثاني : أنه تعالى واحد في صفاته فليس له ندّ قال : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾(٢) .

والثالث : أنه تعالى واحد في فعله فليس له شبيه قال تعالى : ﴿ هَـٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾(٣) وقال

(١) سورة النحل ، الآية : ٥١ .
(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١ .
(٣) سورة لقمان ، الآية : ١١ .

تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾[١] .

والرابع : أنه تعالى واحد في عبادته قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٢] فالطرق أربعة : هو تعالى واحد في كل واحد ويجمعها معنى أحد ، فمثال ذلك في هذا اللفظ المحسوس ولله المثل الأعلى واحد واحد واحد واحد يجمعها أربعة فإن أربعة الآية[٣] الأحدية ، وواحد واحد واحد وأحدية[٤] الواحدية[٥] ، وأيضاً واحد من نوع العدد ، فيلحظ عدد قواه وهي تسع عشرة تنقص عن التمام بواحد ، وهو من نوع العدد فيلحظ عدد قواه وهي تسع عشرة وهكذا لأنها من نوع الصفات المفتقرة في الوجود والتحقق والبقاء إلى الذوات[٦] وبها يكون[٧] التمام ، فإذا أردت تمام عدد قوي واحد فأضفه إلى أحد فيتم عدد الوجود الراجح أعني

(١) سورة الروم ، الآية : ٤٠ .
(٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .
(٣) في نسخة أخرى : آية .
(٤) في نسخة أخرى : واحد آية .
(٥) في نسخة أخرى : الوحدانية .
(٦) في نسخة أخرى : الذات .
(٧) في نسخة أخرى : كان .

العشرين المستنطقة[١] بالكاف المعبر بها عن المشيّة التي هي أكبر آيات الذات ، ولا يلحظ عدد قوى أحد لأنه ليس من نوع العدد[٢] فلا يتم[٣] عدد العشرين بواحد منه .

وأما قول أهل اللغة إن أحد أول العدد تقول : أحد واثنان وأحد عشر وإحدى عشرة ، فإن المراد من أحد هنا الواحد فلذا[٤] قيل في أحد : أصله واحد ، فأبدل الواو همزة وحذفت الألف التي في واحد لعدم صلوحها للابتداء لعدم تحركها لأنها صورة بلا حركة ، قيل أصل[٥] أحد وحد فأبدلت الهمزة من الواو المفتوحة كما أبدلت من المضمومة مثل أوجه في وجوه ، ومن المكسورة مثل أشاح في وشاح ، ولم يبدلوا من الواو المفتوحة إلّا في أحد في وحد ، وامرأة[٦] أناة من الونى بمعنى الفتور ، وهذا جار على ظاهر اللغة من أن الأحد بمعنى الواحد لما فيه من الخفة فإنه في أحد عشرة[٧] أخف من واحد عشر ولما فيه كما قيل : إنه بمعنى الأول ومنه يوم الأحد أي اليوم الأول من

(١) في نسخة أخرى : المستنبطة .
(٢) في نسخة أخرى : الأحد .
(٣) في نسخة أخرى : فلا يتمم .
(٤) في نسخة أخرى : ولذا .
(٥) في نسخة أخرى : وقيل : .
(٦) في نسخة أخرى : امرأة في .
(٧) في نسخة أخرى : أحد عشر .

الأسبوع وهذا من الفروق أيضاً ، فإن واحد لا يكون بمعنى أول .

وعلى قول صاحب القاموس جمعه آحاد أنه يحتمل أن يكون[١] ، جمع واحد أو جمع أحد بمعنى واحد على استعمال ظاهر[٢] ، وأما أحد من حيث هو باعتبار[٣] مادته وهيئته ، فلا يصح أن يكون له جمع ، لأن الجمع مناف له حينئذ ، فإذا جمع كان ما جمع بمعنى الواحد ولذا قال : أو ليس له جمع ثم ردد فقال : أو الأحد لا يوصف به إلّا الله ، لأن مقتضى مادته وهيئته محض الوحدة والانفراد والبساطة والاتحاد ، ولذا قال ابن الأثير في النهاية : وهو اسم بُني لنفي ما يذكر معه من العدد وكذلك[٤] قال غيره وما مثلوا به لمعنى ما بني له من أنك تقول : ما جاءني أحد كما قاله الأزهري وغيره غلط ، لأن النفي الذي استفادوه إنما هو من تأليف الكلام مع أحد ، فلم يكن أحد نفسه بني لنفي ما يذكر معه من العدد ، وإنما حصل لهم من (ما) النافية .

ومعنى أنه بني لنفي ما يذكر معه من العدد أن الألف والحاء والدال ألفت على هذه الهيئة لنفي السواء مطلقاً ، ولما كان الممكن لا ينفك عن السوي اختص الوصف بأحد بالله عزّ وجلّ ،

---

(١) في نسخة أخرى : يكون آحاد .

(٢) في نسخة أخرى : ظاهر اللغة .

(٣) في نسخة أخرى : باعتبار مقتضى .

(٤) في نسخة أخرى : كذا .

فالتقى المشار إليه إفادته مادة أحد وهيئته ، ولهذا لا يستعمل الواحد بمعنى الأول ويأتي إن شاء الله تعالى بيان ما أردنا بيانه .

وقول الأزهري : والواحد هو المتفرد بالذات في عدم المثل ، والنظير يدل على ما أشاروا إليه من أن الواحد ليستعمل[١] لتفريد الصفات ، فإنك إذا قلت : زيد واحد الناس دل على أنه منفرد بصفاته ، ولا يدل على أنه بسيط أو أنه أولهم أو أنه لا يشابههم في الذات[٢] أو في الخلقة أو غير ذلك مما هو ذاتي له ، بل دل على أنه منفرد عنهم بصفاته أو بأفعاله مما يدل سياق الكلام عليه بخلاف أحد ، فإن قول الأزهري فيه : والأحد المتفرد بالمعنى يدل على أنه ناف للمشاركة في نفس الذات فلا يشابهه في ذاته الغير لا في مادة الذات ، ولا في صفاتها التي هي الذات كما نشير إلى بيانه إن شاء الله تعالى .

وقيل : الأحد هو الذي لا يتجزأ ، ولا يقبل الانقسام ، ولا نظير له ، ولا يقبل هذين الوصفين إلّا الله تعالى ، وهذا القول يطابق قول الأزهري في المعنى ، إذ الانفراد الذي دل عليه أحد ليس في الصفات كما دل عليه الواحد ، بل الانفراد المستفاد من أحد هو ما اختص بمعنى الذات ، فمن صدق عليه أحد لا يتجزأ

---

(١) في نسخة أخرى : يستعمل .
(٢) في نسخة أخرى : بالذات .

وإلّا لشاركه في معناه كل متجز ولا يقبل الانقسام وإلّا لشاركه كل قابل للانقسام ، ولا نظير لذاته في الكنه والبساطة والتجرد ، وقطع جميع النسب والتعلقات والارتباطات ، وجميع أنواع المشابهة وجهاتها ، ومن وجد في معناه وذاته شيء من هذه الأمور المشار إلى نفيها عن ذات من صدق عليه أحد لا يصدق عليه أحد[١] متفرداً بالمعنى ، بل شاركه في معناه من في معناه شيء من هذه الأمور المنفية عن معنى من صدق عليه أحد ، هذا خلف .

وقول السيد نعمة الله في قول الصدوق : الأحد معناه أنه واحد في ذاته ، في شرح هذا الكلام هذا مبني على ترادف الواحد والأحد كما هو أحد القولين فيه : أنّا قد قدمنا أن الأحد هو المتفرد في جهات أربع عن المشاركة في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته ، بمعنى أنه باعتبار تعدد جهات التوحيد الذي أفاده[٢] من وصف من صدق عليه[٣] أحد لا بد أن يكون واحداً في ذاته ، بمعنى أنه واحد لا اثنان وواحداً[٤] في صفاته ، بمعنى أنه متفرد بها ، وواحداً في أفعاله بمعنى أن ما سواه لا يقع منه فعل مشابه

(١) في نسخة أخرى : أحد وإلّا لم يكن من صدق عليه أحد .
(٢) في نسخة أخرى : أفاده أحد .
(٣) في نسخة أخرى : عليه فإن من صدق عليه .
(٤) في نسخة أخرى : واحد .

لشيء من أفعاله ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ﴾[(١)] وواحداً في عبادته ، لأن عبادته التي يستحقها وتليق بجلاله[(٢)] أن يقطع العابد نظره عن الالتفات إلى ما سواه في التوجه إليه تعالى ، والدعاء والرجاء والخوف والاعتماد والتوكل والثقة والتفويض والمعول ، وفي كل شيء مما يرجع إلى الخلق والرزق والممات والحياة من المقاصد والأعمال والأفعال والأحوال والأقوال بحيث لا يجد في وجوده ولا في وجدانه شيئاً غير معبوده عزّ وجلّ ، ومن تفرد في هذه الجهات الأربع التي أفاد الواحد التفرد كل[(٣)] واحدة منها فهو الأحد ، ولا يقال في تثبيت التوحيد أحد في ذاته أحد في صفاته ، أحد في أفعاله ، أحد في عبادته ، لما بين المعنى المقصود والمعنى المستفاد من أحد من التدافع ، إلّا أن يراد من الأحد معنى الواحد بالجريان على ظاهر اللغة ، لأن الواحد يفيد الانفراد والأحد يفيد الاتحاد وما ورد على السيد نعمة الله من جهة ما استفاد[(٤)] من عبارة الصدوق من الترادف وارد على عبارة الصدوق وبالطريق[(٥)] الأولى .

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٤٠ .

(٢) في نسخة أخرى : بجلاله بمعنى أنه لا بد .

(٣) في نسخة أخرى : المتفرد بكل .

(٤) في نسخة أخرى : استفاده .

(٥) في نسخة أخرى : الصدوق بالطريق .

وقول الصدوق : يجوز أن واحداً من الدواب أو الطير[١] أو الوحوش أو الإنس ، وقال عليه السيد نعمة الله : محصل هذا الفرق أن الواحد يطلق على الإنسان وغيره بخلاف الأحد فإنه لا يطلق إلّا على الإنسان ، يعني أن الواحد يطلق على الإنسان وغيره بخلاف الأحد فإنه لا يطلق إلّا على[٢] الإنسان ، يعني أن الواحد أعم مورداً لكونه يطلق على من يعقل وغيره ، ولا يطلق الأحد إلّا على من يعقل كما تقدم .

أقول : وهذا أحد الفروق وهو كذلك ، إلّا أن قوله في الواحد : لكونه يطلق على من يعقل وغيره؛ فيه : أن صدقه على من يعقل ليس كصدق أحد على من يعقل ، لأن صدق واحد على من يعقل من حيث الانفراد لا غير ، بخلاف أحد فإن صدقه عليه من حيث الاتحاد فلا يجتمعان فيمن يعقل بجهة واحدة ليصح كون الواحد أعم مورداً فافهم .

وما ذكره المحققون وجهاً آخر للفرق بين الواحد والأحد إذا[٣] وقعا في سياق مثل هذا النفي ، وهو أن قولك ليس في الدار واحد لا يقتضي استغراق النفي مطلقاً فيجوز أن يكون فيها اثنان بخلاف قولك : ليس في الدار أحد فإنه يقتضي استغراق الآحاد وغيرها .

(١) في نسخة أخرى : والطيور .
(٢) في نسخة أخرى : إلى .
(٣) في نسخة أخرى : إذا ما .

أقول : هذا متجهٌ إلّا أنه لم يكن ذلك حاصلاً من خصوص لفظ أحد وإلّا لكان بنفسه مفيداً للعموم إذا وقع في سياق الثبوت ، فلا تفيد سورة التوحيد ما أريد منها من محض التوحيد الذي دلّت عليه ، وما قيل من أنها إنما أفادت التوحيد بآخرها غلطٌ فاحش ، فإن قوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(١) ، إنما وقع بياناً(٢) لما عليه أحد(٣) في أولها ، لأن أحد الذي يقع في سياق النفي كما مثلوا به إنما دل على استغراق الآحاد بمعونة النفي ، لأنهم يريدون منه مفهوم كلي ، فإنهم إذا أجابوا به عن سؤال : هل في الدار أحد؟ قالوا : في الدار أحد ، ولا يدل على الوحدة فيما يفهمون منه ، بل يصدق على ما إذا كان في الدار مئة ، ولو كان بني لنفي ما يذكر معه من العدد لما صحّ قولهم في الدار أحد وإن كان جواباً ، لأن العموم في السؤال إنما استفيد من النفي والاستفهام ، نعم هذا يصح في واحد لأنه يصح فيه أن يقال : إنه بني لنفي ما يذكر معه من العدد .

ولهذا قلنا : تقول : هو تعالى واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله واحد في عبادته ، ولا تقول : أحد في ذاته أحد في صفاته أحد في أفعاله أحد في عبادته .

---

(١) سورة التوحيد ، الآية : ٤ .
(٢) في نسخة أخرى : مباناً .
(٣) في نسخة أخرى : دل عليه .

رأي الشيخ الأوحد في الأحد

والحق الذي أجراه(١) المتفضل الكريم المبتدئ بالنعم قبل استحقاقها عزّ وجلّ على خاطري وله الحمد والشكر : أن أحد الواقع في الإثبات كما هو في أول سورة التوحيد هو المفيد ببنية(٢) المركبة من مادته وصورته لا غير ذلك ، لمحض التوحيد الذي استفاد الإشارة إليه بعض الأعلام فيما رواه عاصم بن حميدة(٣) قال : سئل علي بن الحسين عليهما السلام عن التوحيد ؟

فقال عليه السلام : **(إن الله عزّ وجلّ علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام منعمون متعمقون(٤) فأنزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والآيات من سورة الحديد(٥) إلى قوله : ﴿ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ**

(١) في نسخة أخرى : أجراه الله .
(٢) في نسخة أخرى : بنيته .
(٣) في نسخة أخرى : حميد .
(٤) في نسخة أخرى : (**أقوام متعمقون**) .
(٥) قال تعالى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾ [**الحديد : ١ - ٦**] .

ٱلصُّدُورِ ﴾[١] فمن رام وراء ذلك فقد هلك)[٢] انتهى .

إن المراد من هذا الكلام إعجاز الأقوام المتعمقين حيث تنحط أفهامهم ومبالغ إدراكاتهم عن الوصول إلى أدنى ما ضمنها مما يدل على توحيده ، وأما ما فهمه البعض الآخرون من أن المراد ردع الأقوام المتعمقين عن التعمق والاقتصار على ظاهرها والاكتفاء عن فهمها بأن يقرأها[٣] كما تقرأها[٤] الناس وتقول :[٥] كذلك الله هو ربي كذلك الله ربي ويكفيه هذا القول عن معرفة المراد منها ، مع أنها لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثلها لم يأتوا بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، ولا ريب أن المعنى الأول أوفق بمقام القرآن الذي تضمنت الكلمة الواحدة منه كل ما يحتاج إليه الخلق ، كما يأتي في تفسير الصمد ، فإنّ قوله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ اشتمل على جميع أنحاء مدارك التوحيد بما لا يحيط به إلّا الله تعالى ومن أطلعهم عليه من أنبيائه ورسله وحججه صلى الله عليهم أجمعين ، وأنا

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ٦ .

(٢) الكافي : ١ / ٩٢ ح ٣ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٢٣١ ح ٥ ، وبحار الأنوار : ٦٤ / ٣٧٢ .

(٣) في نسخة أخرى : يقرؤوها .

(٤) في نسخة أخرى : يقرأها .

(٥) في نسخة أخرى : يقول .

أشير إلى بيان ما قسم لي من معرفته وتوحيده من قوله (أحد) بنسبة مقامي وقدر حالي .

فأقول : إنّ ﴿ أَحَدٌ ﴾ إذا وقع في الإثبات والكلام المبتدأ به كما في أول سورة التوحيد دلّ بمادته وصورته على محض التوحيد ، والانفراد والتجريد[١] عن جميع الاعتبارات والنسب والارتباطات والتعلقات والغايات ، وعن كل ما يصدق عليه اسم غير محض الذات البحت ، فالأحد هو الذي لا يصدر منه شيء ، ولا يصدر من شيء ، ولا يصل إليه شيء ، ولا يصل إلى شيء ، ولا في شيء ، ولا فيه شيء ، ولا على شيء ، ولا عليه شيء ، ولا يرتبط بشيء ، ولا يرتبط به شيء ، ولا يضاف إلى شيء ، ولا يضاف إليه شيء ، ولا ينتهي إلى شيء ، ولا ينتهي إليه شيء ، ولا يقع على شيء ، ولا يقع عليه شيء ، ولا ينتسب إلى شيء ، ولا ينتسب إليه شيء ، ولا يجهل شيئاً ، ولا يجهله شيء ، ولا يتعلق بشيء ، ولا يتعلق به شيء[٢] ولا يقترن به شيء ، ولا يتجزأ ، ولا ينقسم في وهم أو فرض أو حكم أو وجود أو وجدان ، ولا يضاده شيء ، ولا يناده شيء ، ولا يشاركه شيء ، ولا يساويه شيء ، ولا يشابهه شيء ، ولا يدانيه شيء ، ولا

---

(١) في نسخة أخرى : التجرد .
(٢) في نسخة أخرى : شيء ولا يقترن بشيء .

يستغني عنه شيء ، ولا يعرف بعموم ، ولا بخصوص ، ولا بكلية ، ولا بجزئية ، وكلّ ما يجوز حضوره معه بتحقق ، أو تجويز في كون أو إمكان أو بفرض أو بذكر أو إشارة حسّية أو عقلية في وجود خارجي أو ذهني أو نفس أمر بكل ما يجري عليه اسم الإمكان ، فليس بأحد حقيقة إذ يلزم من كل ما ذكر أو لم يذكر من جنس ما ذكر شيء هو أحد وشيء آخر ، ولا يكون من يحضر معه شيء غيره في الخارج أو في الذهن أو في نفس الأمر بكل اعتبار وفرض أحداً على الحقيقة ، لأن من هو أحد لا يكون غير أحد ، وكلّ ما أشرنا إليه وما لم نشر إليه مما دخل في الإمكان لا يتناوله لفظ أحد الواقع في سياق الثبوت ابتداءً لا بإثبات ، ولا بنفي .

أمّا الإثبات فظاهر مما ذكرنا ، وأما النفي فلأن أحد وإن اعتبر فيه التجرد عما ذكر ونحوه ، لا يصح أن ينسب إليه(١) ما نفي عنه ، وإنما نفي ما نُفي عنه منسوب إلى نفس(٢) المنفي كما قال الرضا عليه السلام : (**كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه**)(٣) ، الحديث . يعني أنك إذا قلت : إنه تعالى ليس بجسم

(١) في نسخة أخرى : إليه نفي .
(٢) في نسخة أخرى : نفي .
(٣) توحيد الصدوق : ٣٦ باب التوحيد ونفي التشبيه ، والاحتجاج : ٢ / ١٧٦ ، والبحار : ٤ / ٢٢٨ . =

لم يكن ليس بجسم وصفاً سلبياً له كما توهمه المتكلمون ، وإنما هو تحديد للجسم ، ففي نفس الأمر هو وصف للجسم لكونه مسلوباً منفياً عن أوصاف القديم الفعلية ، فضلاً عن الصفات الذاتية له عزّ وجلّ فالنفي وصف للمنفي وتمييز له بالنفي فافهم .

وما قاله الرازي : ذكروا في الفرق بين الواحد والأحد وجوهاً :

فروقات بين الواحد والأحد

أحدها : أن الواحد يدخل في الأحد ، والأحد لا يدخل فيه .

وثانيها : أنك إذا قلت : فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقال : لكنه يقاومه اثنان بخلاف الأحد .

وثالثها : أن الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي ، انتهى .

كذا في البحار[1] ، مبني على الوجه الظاهر من اللغة ، كما

= والحديث طويل وفيه : (. . وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه ، فقد جهل الله من استوصفه وقد تعداه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنهه . .) .

(١) هو لمحمد باقر بن محمد تقي المجلسي الثاني ، الاصفهاني محدث ، فقيه ، مؤرخ ، مشارك في علوم . ولد وتوفي بأصفهان . =

أشرنا إليه سابقاً من تضمنه الشمول من جهة فهمهم منه الإطلاق أو العموم ، ومن ثم لا يعرفون منه أنه بني في نفسه للتفريد ونفي ما سواه إلّا بمعونة وقوعه بعد النفي ، ولو كان المفهوم منه لنفسه كما عندهم الوحدة المحضة لكان لا يفيد إذا وقع بعد النفي الوحدة كما تقول في واحد في قولك : ما في الدار واحد فإنه يجوز أن يكون فيها اثنان ، وذلك لدلالته في نفسه على الوحدة ، فكان بين قولهم بأنه بني لنفي ما يذكر معه من العدد وبين تمثيلهم بوقوعه بعد النفي تدافع لا يدفع واضطراب لا يرفع وتوهم لا ينفع ، فإن أحد بني لنفي مطلق الكثرة وما يؤدي مؤداها كالتعدد(١) والانقسام والتجزئة والاقتران والنسب والمدركية ، فإن من جاز أن يدركه غيره كان مثنى بذلك لما بينهما من الاقتران الحاصل من إدراك المدرك له و(٢) إدراكه لغيره ، لأن إدراكه تعالى الفعلي لمدركاته لما سواه يحصل منه اقتران بين المدرِك بكسر الراء

= ولد سنة (١٠٣٧ هـ ـ ١٦٢٨ م) وتوفي سنة (١١١٠ هـ ـ ١٦٩٨ م) .
له تصانيف كثيرة : كتاب التوحيد الاحتجاجات والمناظرات ، حديقة المتقين ، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول ، الحق اليقين في أصول الدين ، والوجيز في أسماء الرجال .
انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٤١٠ - ٤١٨ ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة : ٩ / ٩٠ .

(١) في نسخة أخرى : كالعدد .
(٢) في نسخة أخرى : أو .

والمدرَك بفتح الراء ، ولذا حكمنا على الفعل والفعلي بالحدوث لما بينهما من الاقتران اللازم من الارتباط ، وأما إدراكه بذاته لما سواه عزّ وجلّ فليس على نحو ما في الإمكان والممكنات ولذا قلنا : إنه لا يعرف[١] إلّا هو فما[٢] يوصف به تعالى من الإدراك لا يحيط به الإمكان ، كما قال سيد الساجدين عليه السلام : **(واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده ، ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين ، ضلت فيك الصفات وتفسخت دونك النعوت وحارت في كبريائك لطائف الأوهام ، كذلك أنت الله الأول في أوليتك ، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول)**[٣] انتهى .

والمراد بقوله : **(واستعلى ملكك)** ، والله أعلم أي تملكك وإحاطتك بمملوكاتك لأنه لا يدخل تحت الضوابط الإمكانية فلا يجري عليه فرض الاقتران وتجويزه لا خارجاً ، ولا ذهناً ، ولا في نفس الأمر وصح فرضه ووقوعه في الإدراك الفعلي للفرق بين الرب والعبد .

وقال السيد نعمة الله أيضاً : وذكر الشهيد طاب ثراه : أن

---

(١) في نسخة أخرى : لا يعرفه .
(٢) في نسخة أخرى : مما .
(٣) الصحيفة السجادية : ١٦٦ ، ومصباح المتهجد للطوسي : ١٨٨ ، ومصباح الكفعمي : ٥٥ .

الواحد يقتضي نفي الشريك بالنسبة إلى الذات والأحد يقتضي نفي الشريك بالنسبة إلى الصفات .

أقول : أما إن الواحد يقتضي نفي الشريك بالنسبة إلى الذات فمن قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞ﴾(١) وقد دل واحد على نفي الشريك بالنسبة إلى الذات ، إلّا أنه لما كان الواحد مصدراً للأعداد بمعنى أن الأعداد إنما تتألف من صفاته أو من تكرره على القولين كان مفيداً بمفهوم وحدته لانفراد الذات ونفي الشريك في الذات ، وهو الضد الذي يلزم من مفهومه إفادة العدد ، فلذا أفاد نفي الشركة في الذات بمعنى أن لا يكون له ثان أو يكون ثانياً لغيره ، فأفاد نفي التعدد ، وهذا معنى قولنا : إنه يقتضي نفي الضد الذي يلزم من وجوده التعدد ، وإلحاق هذا المعنى بنفي الشركة في الصفات هو المراد من معناه ، إذ لا يفيد بساطة الذات ، فإذا قيل بالنسبة إلى الذات صح لكون المراد منه نفي تعدد الذات لا بساطتها ، وهو بهذا الاعتبار متجه .

وأما أن الأحد يقتضي نفي الشريك بالنسبة إلى الصفات فممنوع ، نعم لو عكس كان لكلامه وجه ، لأن الواحد يفيد نفي التعدد الراجع إلى الصفات ، والأحد يفيد ذلك بمفهوم ما دل

(١) سورة النحل ، الآية : ٥١ .

عليه من الوحدة ، ويفيد البساطة وعدم الانقسام والتجزئة الراجع إلى الذات ، وعبارة الصدوق رحمه الله[١] في التوحيد هكذا : (الواحد الأحد معناه أنه واحد في ذاته ليس بذي أبعاض ، ولا أجزاء ، ولا أعضاء) . إلخ ، معناها المراد كما ذكرنا .

وقول بعض الحكماء : والواحد كيفما أدرته[٢] أو جزأته لم يزد فيه شيء ولم ينقص[٣] منه شيء . إلخ : و[٤]الاستدلال على التوحيد الخاص[٥] بأن من لم يكن قبله شيء ولا بعده ، يجب أن يكون متوحداً بالأزل ربما يرد على ظاهره شيئان :

أحدهما : أنه يجوز أن يكون معه أشياء وإن لم تكن قبله أو بعده كما يذهب إليه أصحاب وحدة الوجود وكما نقل عن ثاليس الملطي[٦] من قدم العالم[٧] .

---

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) في نسخة أخرى : أردته .

(٣) في نسخة أخرى : لا ينقص .

(٤) في نسخة أخرى : في .

(٥) في نسخة أخرى : الخالص .

(٦) في نسخة أخرى : عن الملطي .

(٧) هو من قدماء اليونانيين كان قبل أرسطو ، انظر الملل والنحل : ٢ / ٦٢ .

وثانيهما : أن ظاهر قول هذا البعض فهو المتوحد بالأزل أن الأزل ظرف للقديم عزّ وجلّ وقتي أو مكاني ، وكلا الاحتمالين باطل وإلّا تعددت القدماء ، وأما قولهم بأن أحد مخصوص بمن يعقل ويمتنع من الدخول في الضرب والعدد والتشبيه ، وفي شيء من الحساب ، وهو متفرد بالأحدية والواحد علة العدد وإن لم يدخل بكله يدخل ببعضه كما تقول : نصف واحد وثلاثة ويدخل في الضرب والقسمة والتجزئة ، والأحد ممتنع من هذه كلها فصحيح يحصل بها الفرق بينهما .

وأما قول الباقر عليه السلام : (**الأحد الفرد المتفرد الأحد**[١] **والواحد بمعنى واحد**)[٢] فالذي يظهر لي أن قوله عليه السلام بمعنى واحد أنهما يجتمعان في حالة واحدة وهي التفرد بالصفة والفعل أي لا يشابهه[٣] في صفة ولا فعل ، والفرد الشامل لعدم الانقسام والتام في اتحاده معنى الأحد ، لا معنى الواحد وهذا ما يفهم منهما ، ويظهر لي أن الواحد في بعض وجوه العربية أنه هو المباين الذي لا ينبعث من شيء ، ولا يتحد بشيء ، وهذا من معاني الأحد ، فباعتبار ما يدلان عليه بمادتهما وصورتهما

(١) في نسخة أخرى : (**والأحد**) .
(٢) توحيد الصدوق : ٩٠ ، ونور البراهين : ١ / ٢٣٥ .
(٣) في نسخة أخرى : لا يشابه .

يجتمعان في التفرّد بالصفة[١] وبنفي الشركة ، ويفترقان في نسبة التفرد بالذات إلى الأحد ، وفي نسبة التفرد بالصفات إلى الواحد ، ومن هذا المعنى قوله تعالى في توحيد الذات بصفاته : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ ، حيث اعتبروا التعدد الذي هو من أنحاء العدد ، ولو اعتبر الاتحاد لاقتضى المقام ، والله سبحانه أعلم أن يقال إنما هو إله واحد[٢] ، هذا ما ظهر لي والله سبحانه ورسوله وابن رسوله صلى الله عليه وآله أعلم .

وأما أنّ بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد فيحتمل أن المراد أن العدد يتألف منه أو من أمثاله ، فعلى الاحتمال الأول تكون مواد الأعداد بالتوليد منه ، أو بالتكرار في قوالب قوابل المراتب ، وعلى الثاني فمواده مظاهره في قوابل قوالب المراتب ، فالأول كالجزء للكل والثاني كالكلي في الجزئي وعلى كل تقدير فبين الواحد والعدد نسبة ما ، ولهذا نبهنا على هذا في قولنا : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ إلى آخره ، إلّا[٣] أنه لمّا كان الواحد مصدر للأعداد بمعنى أن الأعداد إنما يتألف[٤] من صفاته أو من تكرره . إلخ .

---

(١) في نسخة أخرى : في الصفة .
(٢) في نسخة أخرى : أحد .
(٣) في نسخة أخرى : إلى .
(٤) في نسخة أخرى : تتألف .

وقوله عليه السلام في الوجه الثاني من الوجهين اللذين يثبتان فيه تعالى أي يصح إطلاقهما عليه تعالى : (**وقول القائل : إن ربنا عزّ وجلّ أحدي المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجود ، ولا عقل ، ولا وهم، كذلك ربنا عزّ وجل**)[١] يراد من قوله عليه السلام : (**أحدي المعنى**) في بيان معنى واحد أنه أحدي ، المعنى يعني به أنه لا ينقسم في وجود أي وجدان ، ولا عقل ، ولا وهم ، أن واحد يستعمل في بعض معاني أحد الواقع في الكلام المثبت الابتدائي ، فإن هذا الكلام الذي فسّر عليه السلام معنى الواحد بأنه الذي لا يقبل الانقسام في المحال الثلاثة مطلقاً أنه أحدي المعنى لصحة استعماله بإرادة المستعمل له في هذا المعنى الذي هو أحد معاني أحد ، لأنهما إنما يفترقان إذا اجتمعا كما إذا قيل : هو الواحد الأحد ووجوب تقديم الواحد في الذكر على الأحد فلا تقول : الأحد[٢] لعموم الواحد وخصوص الأحد .

وأما ما نقلنا[٣] عن المحقق التفتازاني ما قاله في إعراب كلمة : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٤] فنظره فيه بيان معنى الاسم

---

(١) توحيد الصدوق : ٨٤ ، والخصال : ٢ ح ١ ، وروضة الواعظين : ٣٦ ، ونور البراهين للسيد الجزائري : ١ / ٢٢٦ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٤٧٦ ح ٥ .

(٢) في نسخة أخرى : الأحد الواحد .

(٣) في نسخة أخرى : نقلناه .

(٤) سورة محمد ، الآية : ١٩ .

الكريم ، ونحن الباعث لنا على ما نقلنا بيان معنى الأحد ، إلّا أن كلامه لما تضمن ما يفيد التوحيد الذي نطلبه نحن من لفظ أحد اقتضى ذكره ، واقتضى ذكره أن نشير إلى بعض بيان ما ظهر لنا منه :

فأقول : إن المفهوم سواء كان كلياً أم[١] شخصياً يصح[٢] أن يطلب به معرفة مدلول الاسم الكريم ، لأن المفهومات لا تجري على حريم القدم لأنها مدركات ، والقِدم لا تطلب معرفته بما تدركه الأفهام الحسيرة ، لأن المفهومات صفات الحوادث ، وكذا الكلية والجزئية فإنهما من صفات الحوادث ، والاسم الكريم مشتق على الأصح فهو اسم لذات متصفة بالألوهية ، أي الجامعة لجميع صفات القدس كالعزيز والقدوس ، ولجميع صفات الإضافة كالعليم والسميع والبصير ، ولجميع صفات الخلق كالخالق والرازق ، وإنما كان علماً على المعبود عزّ وجلّ بالغلبة وليس موضوعاً بإزاء الذات البحت ، وإلّا لزم الاقتران المستلزم للحدوث ، سواء كان للخارجي للزوم الاقتران ووقوع التمييز الممتنع ، أم للذهني للزوم المدركية الممتنعة والإحاطة المستحيلة ، ووقوعه في ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٣] مفيد للتوحيد لأنه

---

(١) في نسخة أخرى : أو .
(٢) في نسخة أخرى : لا يصح .
(٣) سورة محمد ، الآية : ١٩ .

يدل على ذات ليس معها غيرها في كنه ، ولا صفة ، ولا رتبة ، ولا وصف ، ولا فعل ، ولا عبادة فلا تشتبه بشيء[١] في تمييزها إلى تشخص ، ولا في تمام لتحتاج في تناوله إلى عموم ، إذ التشخص والعموم شيء غير الشيء يلزم من وجود كل[٢] منهما التعدد والتركيب .

فإذا أريد بالتشخص عدم الاشتباه في كل حال من أحوال الذكر لكل شيء من السوي وجوداً أو وجداناً في الخارج أو في جميع المشاعر ، وفي نفس الأمر لفظاً أو غيره لا التمييز[٣] والتحديد بما يحويه الإمكان ، انتفى مطلق المفهوم الكلي حتى ما يفيده الضمير[٤] الشأن لأنه يفيد ما يستعمل في مقامه من خصوص وعموم فيما يجريان فيه ، ومن التقدس[٥] عن صفات الإمكان فيما يتنزه[٦] في نفسه أي نفس ضمير الشأن عن مطلق الإشارة الجبروتية العقلية والنفسية والحسية ، فلا كلي ولا جزئي ، فسقط اعتراض قيل الأول وقيل الثاني ، فعلى هذا لا فرق بين أن يراد

---

(١) في نسخة أخرى : بشيء ليحتاج .
(٢) في نسخة أخرى : الكل .
(٣) في نسخة أخرى : لتمييز .
(٤) في نسخة أخرى : ضمير .
(٥) في نسخة أخرى : القدس .
(٦) في نسخة أخرى : تنزه .

من الضمير ضمير الشأن أو ضمير المعبود من جهة الكلية والجزئية ، وإنما أتى بأحد لنفي ما توهموا من الكثرة والتشبيه ، ووصف الإله بأوصاف[١] ما سواه فهم وإن فهموا من ضمير الشأن ومن لوازم إثبات الشركاء والتشبيه معنى المفهوم الكلي أو الجزئي أو التشخص أو غيرها ، إلّا أن الوحي الناطق بسورة التوحيد لا يريد إلّا تجريد هو عن مطلق الإشارات المتضمنة لما يلزم منه ما يدخل في الإمكان مطلقاً بكل اعتبار ولو في الوجدان .

ولأن أحد أوضح وأبين في دلالته على الوحدة والبساطة وعدم الاشتراك فيما يوهم منافاة التوحيد ، ولأجل ذلك حمل على الاسم الكريم وإن كان في نفس الأمر يراد منه ما يراد من أحد ، وإن كان في الأصل[٢] اسماً لذات وصفة ، إلّا أنه غلب في الاستعمال حتى كان اختص[٣] من أحد ، ألا ترى أن الاسم الكريم لا يصح إطلاقه على غير المعبود بالحق عزّ وجلّ ، ولو جاز أن يدل على المفهوم الكلي ولو بالفرض أو الجزئي كذلك لصح إطلاقه على غير المعبود بالحق عزّ وجلّ ولو في بعض الأحوال ، ولا كذلك أحد إلّا أنه حمل على الاسم الكريم أفاد

---

(١) في نسخة أخرى : وصف .
(٢) في نسخة أخرى : الأسماء .
(٣) في نسخة أخرى : أخص .

قطع الربط والنسب ونفي السوي وما توهمه بعضهم من أن أول السورة لا يفيد التوحيد ، وإنما يفيده آخرها غلط فاحش ، وأي توحيد أجلّ وأكمل مما أفاده أول السورة من التوحيد ، وأما آخرها فإنما أفاد التوحيد ، لأنه شارح لأولها فـ ﴿ ٱلصَّمَدُ﴾ تفسير : ﴿ لِأَحَدٍ ﴾ و﴿ ٱلصَّمَدُ﴾ فسّر بأنه : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾[١] .

وذلك أن الاسم الكريم لشموله لجميع الأسماء كان أخص بالمعبود عزّ وجلّ من جميع الأسماء ، إذ لا يحيط بجميع الأسماء والصفات التي لها حظ في الكمال إلّا الله المعبود سبحانه وتعالى : فصلح[٢] اختصاصه به لشموله لجميع الأسماء كذلك ، ولما كانت ذاته المقدسة عزّ وجلّ مع كونها تامة فوق التمام وكاملة فوق الكمال بسيطة متفردة بالوحدة الحقية[٣] لا يحتملها الإمكان[٤] ، ويستحيل فرضها فيه كأن ما يكون مختصاً به بحيث يكون أَوْلَى بالدلالة على صفة[٥] الدالة عليه بكمال الوحدة

---

(١) سورة التوحيد ، الآيات : ٢ ـ ٤ .

(٢) في نسخة أخرى : فيصح .

(٣) في نسخة أخرى : الحقية التي .

(٤) في نسخة أخرى : الإنسان .

(٥) في نسخة أخرى : صفته .

والبساطة والتجرد الذي يليق بحسب نهاية الإمكان بجلاله من جميع الأسماء ، وما كان كذلك يجب أن يكون أول[١] الأسماء على التوحيد ، ولأجل ذلك اختص بكلمة التوحيد أعني : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ والواضع للغة عزّ وجلّ[٢] بما صنع ، ولو علم أن في الأسماء أخص منه به وأشمل منه بالجهات[٣] التوحيد والتجريد ، لجعله في الكلمة التي ألفها للدلالة على توحيده ، وإنما حمل عليها أحد مع أنه أخص من أحد وأعم في شمول الأسماء والصفات ، لأن أحد أبين في الظاهر وأجلى في الدلالة على التوحيد من جهة حروف مادته ، وقد أشرنا قبل هذا أن الاسم الكريم وإن كان الإتيان به في السورة الشريفة مسبوقاً بدعوى المشركين الألوهية لغيره عزّ وجلّ وذلك يلزم منه إرادة المفهوم الكلي كما توهمه كثير من المتكلمين والمنطقيين .

وقد سبق ذكر بعض كلامهم ، إلّا أن المتكلم عزّ وجلّ إنما ينطق وحيه بالحق الواقع المطابق للواقع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو تعالى ينفي المفهومية والكلية عنه لأنهما من حدود خلقه وقد قال عزّ وجل : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[٤] ،

---

(١) في نسخة أخرى : أدل .

(٢) في نسخة أخرى : وجلّ أعلم .

(٣) في نسخة أخرى : لجهات .

(٤) سورة طه ، الآية : ١١٠ .

و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١) فأمر نبيه صلى الله عليه وآله بما يعلم من الحق بأنه الواحد الفرد الذي ليس بمفهوم مدرك ، ولا بكلي ، ولا جزئي ، ولا بكل ، ولا جزء ، ولا بكثير ، ولا بقليل(٢) ولا ينسب إليه شيء ، ولا ينسب إلى شيء ، ولا يرتبط به شيء ، ولا يرتبط بشيء ، ولا يجده من وجد غيره ، ولا يفقده من فقد غيره فقال : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فأراد بقوله الله المتعين بذاته من غير تعيين ، سواء أريد بهو ضمير الشأن أم ضمير المعبود الذي وقع الخطاب في ذكر معرفته كما أشرنا إليه سابقاً ، ولهذا قال عمار بن ياسر وقال أمير المؤمنين عليه السلام : **(الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه والله هو المستور عن درك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات)**(٣) ، وقال الباقر عليه السلام : **(الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته وتقول العرب : أله الرجل إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً ووله إذا فزع إلى شيء مما يحذره ويخافه فالإله هو المستور عن حواس الخلق)**(٤) ، انتهى .

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١ .

(٢) في نسخة أخرى : قليل .

(٣) توحيد الصدوق : ٨٩ ، وبحار الأنوار : ٣/ ٢٢٢ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٧٠٨ ح ٥٦ .

(٤) تفسير مجمع البيان : ١٠ / ٤٨٦ ، وتوحيد الصدوق : ٨٩ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٢٢ ح ١٢ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٧٠٨ ح ٥٧ .

فصرح هذان الخبران وغيرهما بأن الله يطلق على المعبود الذي لا يحاط بكهنه ، ولا يعرف معنى صفته ، مع أن المستفاد من ظاهرهما أن الضمير ضمير الشأن ، وظاهر قول الباقر عليه السلام في قول الله[1] تبارك وتعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

قال : (قل أي أظهر ما أوحينا إليك ونبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد ، وهو اسم مكنى مشار إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس ، كما أن قولك هذا إشارة إلى الشاهد عند الحواس ، وذلك أن الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ، ولا نأله فيه فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فالهاء تثبيت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس ، وأنه تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس)[2] انتهى .

إن الضمير عائد إلى إله[3] المعبود بالحق ، ومع هذا لا

---

(١) في نسخة أخرى : في قوله .

(٢) تفسير مجمع البيان : ١٠ / ٤٨٦ ، وتوحيد الصدوق : ٨٨ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٢٢ ح ١٢ .

(٣) في نسخة أخرى : الإله .

يختلف المعنى المقصود منه باختلاف الضمير كما ذكرنا مكرراً فـ ﴿الأحد﴾ توضيح لمعنى الله و﴿ٱلصَّمَدُ﴾ يراد منه توضيح وبيان لجميع ما يراد من معاني أحد واختلاف تفسيره في الأخبار لاختلاف معاني ما يراد به من معاني أحد .

قال الباقر عليه السلام : (**وحدثني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عليهم السلام أنه قال : الصمد الذي لا جوف له ، والصمد الذي قد انتهى سؤدده ، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب ، والصمد الذي لا ينام ، والصمد الدائم الذي لم يزل ، ولا يزال**)[١] .

بيان معنى الصَّمد

قوله عليه السلام : (**الذي لا جوف له**) ، يراد منه أنه لا مدخل[٢] فيه ، لأن كل ما سواه كرة مجوفة ، لأن كل مفعول يدور على فعله تعالى وفعله نقطة يدور المفعول عليها دورة حقيقية كما تدور أشعة السراج عليه ، إذ كل جزء من الأشعة يدور على وجهه من شعلة السراج ، فالجزء قائم بحرارة وجهه التي هي رأس من مس النار لدهن السراج قيام صدور ، وقائم باستنارة وجهه التي

(١) تفسير مجمع البيان : ١٠ / ٤٨٧ ، وتوحيد الصدوق : ٩٠ ، ومعاني الأخبار : ٧ ، ونور البراهين : ١ / ٢٣٥ .
(٢) في نسخة أخرى : لا يدخل .

هي وجهه من الشعلة المرئية من السراج قيام تحقق أي قياماً ركنياً ، وهذا القيام من الجهتين هو كون ذلك الجزء كرة مجوفة من اعتبارين :

اعتبار قيام الصدور واعتبار القيام الركني وفعل ذلك الجزء صمد بالنسبة إلى الجزء المتقوم به ، وهذا الفعل وجه من الفعل الكلي والفعل الكلي صمد بالنسبة إلى المفاعيل الصادرة عنه ، وكرة بالنسبة إلى نفسه لأنه تعالى أحدث الفعل بنفسه أي بنفس ذلك الفعل فهو كرة بنفسه بلا كيف ، والمعبود عزّ وجلّ صمد بلا كيف ، وليس كصمدية الفعل بالنسبة إلى المفعول لاشتراكهما في المصنوعية[1] الإمكان ، وإن اختلفا في الشدة والضعف والمعبود عزّ وجلّ له المثل الأعلى فلا يشبهه شيء في شيء ، ولا يقاس على شيء في شيء ، ولا يعرف بشيء ، وكلّ شيء يدل عليه : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2] وهو[3] تلويح إلى المعنى المذكور .

وقوله عليه السلام : (**والصمد الذي قد انتهى سؤدده**) ، بضم أوله وبعده همزة ساكنة : السيادة وهي العزة والجلالة يعني أن عزته وجلالته لا تحتمل الزيادة ، ولو جاز فرض شريك له تعالى

---

(١) في نسخة أخرى : المصنوعية ، وفي .
(٢) سورة الصافات ، الآية : ١٨٠ .
(٣) في نسخة أخرى : هي .

لاحتمل الزيادة ، وكذا لو جاز فرض مدان له تعالى من فحوى قوله تعالى : ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[(١)] .

وعبّر عن عدم إمكان المساوي والمداني بانتهاء إذ لا نهاية لسؤدده[(٢)] وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى ، إذ لو أمكن فرض المساوي والمداني أمكن فرض التفرد بالزيادة عن تلك النسبتين هذا بمقتضى المجادلة بالتي هي أحسن ، وأما مقتضى الحكمة بأن[(٣)] يقال : إن إمكان فرض المساوي والمداني ممتنع في غير الإمكان إلّا أنه تعالى رب العزة والجلالة ، وهذا إشارة إلى قوله : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[(٤)] .

وقوله عليه السلام : (**والصمد الذي لا يأكل ، ولا يشرب**) ، يلحن به للمتعلمين من شيعته الذين علمهم سيدهم علي بن محمد الهادي عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين السلام ، بقوله في الزيارة الجامعة الكبيرة : (**محقق لما حققتم مبطل لما أبطلتم**)[(٥)] في

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٩١ .
(٢) في نسخة أخرى : لسؤدده بل سؤدده .
(٣) في نسخة أخرى : فإن .
(٤) سورة الصافات ، الآيات : ١٨٠ ـ ١٨٢ .
(٥) مقطع من الزيارة الجامعة ، انظر مستدرك الوسائل : ١٠ / ٤٢٢ ، وبحار الأنوار : ٩٧ / ٢٢٣ .

قوله : (من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم)[١] .

وقوله عليه السلام : (**والصمد الذي لا ينام**) صرح بعدم غفلته عن خلقه من قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾[٢] والنوم في الممكن[٣] إذا تعبت النفس من معاناة تدبير الغذاء ومعاناة الأعمال والحركات ، اجتمعت في القلب لتستريح من تعب تدبيرها لأحوال البدن وغذائه وشؤونه المتعلقة به وبأحوال نفسه وشؤونها ، وهو سبحانه وتعالى لا يمسه لغوب ، ولا يلحقه تكلف ، بل هو تعالى في حال الفعل وعدم الفعل حاله واحدة و[٤] لا يتغير بشيء ، ولا يغيره شيء ، ولا تختلف عليه الأحوال ، إذ ليس فعله كفعل أحد من خلقه ، ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٥] ، ولا كاف ، ولا نون ، وإنما هو فعّال لما يشاء ومشيّته وإرادته[٦] لا غير ذلك ، وما أمره إلّا كلمح البصر أو هو أقرب ، وما كان[٧] سبحانه عن الخلق

---

(١) المصدر السابق .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١٧ .
(٣) في نسخة أخرى : الممكن يكون .
(٤) في نسخة أخرى : واحد .
(٥) سورة النحل ، الآية : ٤٠ .
(٦) في نسخة أخرى : إرادته فعله .
(٧) في نسخة أخرى : ما كان هو .

بغافل ، وآية ذلك كالسراج فإنه غير غافل عن شيء من الأشعة ، إذ لو غفل عن شيء لم يوجد شيء ، لأن من جاز عليه أن يغفل عن شيء جاز أن يغفل عن كل شيء كما هو لازم للممكن المحصور ، وأيضاً النوم حال غير اليقظة ، ومن ينام فأحواله مختلفة ، والصمد هو ذو الحال الواحدة وهو تصريح بالوحدة المطلقة .

وقوله عليه السلام : (**والصمد الدائم الذي لم يزل ، ولا يزال**) انتهى ، بفتح الزاي[1] لم يزل بقرينة لا يزال أي لم يزل دائماً ، ولا يزال ، أي هو الدائم أزلاً وأبداً ، ويجوز لم يزل بضم الزاي أي الصمد هو الدائم الذي لم يتغير دوامه ولم يحل وهو معنى عدم تغير حاله أزلاً وأبداً لأنه صمد ، وصمد لأنه أحد ، وقال الباقر عليه السلام : (**كان محمد ابن الحنفية رحمه الله ، يقول : الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره**)[2] انتهى .

وهو معنى أحد إذ ما هو قائم بغيره كرة مجوفة وهو التلويح السابق بأن (**الصمد الذي لا جوف له**) ، وهو من اللحن للمتعلمين الذين طعامهم من ماء المطر الذي جعل منه كل شيء حي حيث

---

(١) في نسخة أخرى : الزاي أي .

(٢) تفسير نور الثقلين : ٥ / ٧١١ ح ٦٨ ، وتوحيد الصدوق : ٩٠ ، ومعاني الأخبار : ٧ .

أمر(١) بالنظر إليه كما قال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾(٢) أي المتعلم (إلى طعامه) والذين شرابهم من اللبن كما قال تعالى : ﴿ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾(٣) وأطعمهم وسقاهم من تعليمه (**من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم**) .

وقال غيره : الصمد المتعالي عن الكون والفساد ، انتهى ، لأن الكون كثرة وامتزاج والفساد تفرق واحتياج(٤) .

وقال : والصمد الذي لا يوصف بالتغاير ، لأن التغاير كثرة وائتلاف وتناف واختلاف .

وقال الباقر عليه السلام : (**الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر ، ولا ناه**)(٥) انتهى .

ويشير به إلى أنه الذي قد انتهى سؤدده وجلالته فهو أحد في عزته لا يساوى ، ولا يدانى ، كما أشرنا إليه سابقاً أي لا آمر إلّا هو ، ولا ناه غيره ، والمطاع الحق صمد يدور على أمره

(١) في نسخة أخرى : أمرهم .
(٢) سورة عبس ، الآية : ٢٤ .
(٣) سورة النحل ، الآية : ٦٦ .
(٤) توحيد الصدوق : ٩٠ .
(٥) توحيد الصدوق : ٩٠ ، ومعاني الأخبار : ٧ ، ومصباح الكفعمي : ٣٣٠ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٢٣ .

المأمورون ، وعلى نهيه المنهيون ولو كان مأموراً ومنهياً تعالى شأنه لغيره كان كرة مجوفة لوح لمن شاء إلى ذلك أنه صمد ، لأنه أحد وسئل علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام عن الصمد فقال : (**الصمد الذي لا شريك له ، ولا يؤوده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء**)[1] انتهى .

من له شريك في ذاته بالضدية كان ذو جهتين : جهة ذاته بها تميز[2] وجهة ضده بها يشترك ، وما كان كذلك كان يدور على جهة الاشتراك فلا يكون أحداً ، ولا يكون صمداً ، ومن له شريك في صفاته كان متصفاً بجهة الاشتراك محتاجاً إلى صفة غيره ، فلا يكون أحداً من شورك في صفته ، لأنه قد اتصف بصفة غيره أو بما يصلح لغيره ، فتجري عليه الشركة والتركيب والاحتياج ، وإذا كانت جميع الأشياء لا قوام لها إلّا بالمدد والإمداد لأنها إنما تقوم بموادها قيام تحقق ، وموادها من شعاع أمره المفعولي وهو المدد ، وبإمداده وهو تقومها بفعله قيام صدور ، وتقومها بفعله في سبع مراتب تقومت أكوانها بمشيّته وأعيانها بإرادته وهيئاتها بقدره ، ونظامها بقضائه وظهوراتها في مراتب أكوانها بإذنه ، ووقت ظهوراتها في كل رتبة من مراتب أكوانها ابتداءً وانتهاءً

---

(١) تفسير مجمع البيان : ١٠ / ٤٨٧ ، وتوحيد الصدوق : ٩٠ ح ٣ ، ومعاني الأخبار : ٧ .

(٢) في نسخة أخرى : يتميز .

وبقاءً بتأجيله ، وإثبات صور أكوان مراتبها بكتابة كل من[١] حفظ جميع الأشياء لا يؤوده ، وآية ذلك ما ضربه تعالى من خلق السراج وأشعته ، فإن كل شيء منها قد تقوّم بمادته من شعاع أشعته تقوّم تحقق ، وبحرارة النار الكامنة في غيبه تقوّم صدور .

وأيضاً كما لا يؤوده حفظ شيء منها لا يعزب عنه شيء منها ، لما ذكرنا من احتياج كل شيء في جميع أنحاء وجوده وتحققه في ذاته ، وفي كل شيء من صفاته وأحواله وأفعاله إلى مدده وإمداده كما أشرنا إليه ، وكيف يؤوده أي يثقله حفظ شيء أو يعزب عنه والثقل والعزوب من جملة مصنوعاته التي هي أثر مقتضى ذاته ، كما ترى أن السراج لا يؤوده حفظ شيء من أشعته ، ولا يعزب عنه شيء منها ، والسراج وأشعته آية ذلك ، ولو جاز أن يؤوده حفظ شيء أو يعزب عنه شيء لما كان أحداً ، لأن ذلك المثقل و[٢] العازب له صانع آخر قديم لا يؤوده حفظه ، ولا يعزب عنه فلا يكون من له ضد أو ند أحداً ولا صمداً كما ذكرنا في الإشارة ، وفي التلويح من أن من لغيره[٣] ذكر ما في حالة[٤] ما لا يكون أحداً ولا صمداً ، لأنه كرة مجوفة[٥] بذلك

(١) في نسخة أخرى : بكتابه كان .
(٢) في نسخة أخرى : أو .
(٣) في نسخة أخرى : لغيره معه .
(٤) في نسخة أخرى : حال .
(٥) في نسخة أخرى : متجوفة .

الذكر والأحد المتفرد بذاته وصفاته وأفعاله وعبادته عن كل ما سواه وهو الصمد .

وقال زين العابدين[١] علي بن الحسين عليهما السلام : (**الصمد الذي إذا أراد شيئاً أن يقول[٢] له : كن ، فيكون ، والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً وتفرد بالوحدة بلا ضد ، ولا شكل ، ولا مثل ، ولا ندّ**)[٣] انتهى .

يعني أن الذي إذا أراد شيئاً قال[٤] له : كن ، فيكون من غير تكلّف ، ولا احتيال ، ولا لغوب ، ولا امتهان هو الصمد ، إذ لو لحقه من إرادته للشيءحال كان متحولاً عن حاله الأول فلا يكون صمداً فلا يكون أحداً ، ومن أبدع الأشياء واخترعها أضداداً وأشكالاً مختلفة وأزواجاً متشابهة إبانة لها من شبهة ليعلم أن لا ضد له ، ولا شكل ، ولا شبه ، ولا ند في ذاته ، ولا في أفعاله ، ولا في ملكه ، ولا في صفاته ، فهو الأحد الصمد ، إذ لو اتصف بشيء مما خلقها عليه لعرف به كما عرف المصنوع به فلم يكن أحداً صمداً كما لم يكن المصنوع أحداً صمداً .

---

(١) في نسخة أخرى : وقال زيد بن .
(٢) في نسخة أخرى : (قال) : .
(٣) توحيد الصدوق : ٩٠ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٣٢ ، ومعاني الأخبار : ٧ ، ونور البراهين : ١ / ٢٣٦ .
(٤) في نسخة أخرى : شيئاً أن يقول : .

وعن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقر عن أبيه عليهم السلام : (إن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليهما السلام يسألونه عن الصمد فكتب إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فلا تخوضوا في القرآن ، ولا تجادلوا فيه ، ولا تتكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ، وإن الله سبحانه قد فسر الصمد فقال : ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ ثم فسره فقال : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ، لم يلد لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج[1] من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنفس ، ولا تتشعب[2] منه البدوّات كالسِّنة والنوم والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسآمة والجوع والشبع ، تعالى عن أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف ولطيف ، ولم يولد لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الأرض والماء من الينابيع والثمار من الأشجار ، ولا كما تخرج الأشياء

---

(١) في نسخة أخرى : (لم يخرج) .
(٢) في نسخة أخرى : (لا تنشعب) ، وفي التوحيد : (لا يتشعب) .

اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الأذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب ، وكالنار من الحجر ، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ، ولا في شيء ، ولا على شيء ، مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء ، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيّته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كفواً أحد)[1] انتهى .

قوله عليه السلام : (**وإن الله سبحانه قد فسر الصمد**) أي بيّنه وأوضحه وهذا المعنى إنما يصح في الثاني أي في قوله : (**ثم فسره فقال لم يلد ولم يولد**) إلخ ، وأما الأول أي قوله : (**إن الله سبحانه قد فسر الصمد ، فقال : الله أحد الله الصمد**) فإن الصمد هو التفسير لأحد ، وهو أي أحد تفسير للمعنى المراد من الله ، كما أشرنا إليه في التلويح والإشارة من أن المراد من الاسم الكريم على فرض كون هو ضمير الشأن أو ضمير المعبود بالحق سبحانه ، هو المعنى الذي يدل عليه أحد بظاهره وباطنه ، إلّا أن أحداً لما كان من جهة لفظه أدل على التوحيد والتجريد والتفريد من الاسم الكريم وإن كان[2] في نفس الأمر هو أخص من

---

(١) توحيد الصدوق : ٩١ ح ٥ ، وبحار الأنوار : ٣/ ٢٢٤ ح ١٤ ، ونور البراهين للجزائري : ١ / ٢٣٦ .

(٢) في نسخة أخرى : كان هو .

الأحد ، والأخص أدل على التوحيد والتفريد من حيث المعنى ، وما بالمعنى أخص وأدل مما باللفظ ، إلّا أن[١] اللفظ إذا دلّ كان أظهر دلالة ، فلذا حمل على الاسم الكريم ، والاسم الكريم لمّا تفرد عن سائر الأسماء بسعة شموله لمعاني الكمالات ، حتى اعتنى باستعماله المشركون لآلهتهم ، حمل عليه الصمد الدال بلفظه على الوحدة وعدم قبوله للقسمة وألا مدخل فيه ، وعدم احتياجه إلى شيء وعدم استغناء شيء عنه في شيء في حال من الأحوال ، وقيامه بنفسه وعدم قيام غيره بدونه في حال ، وأمثال هذه المعاني لظهور دلالة مادته عليها وإن كان اسم[٢] الكريم أدل عليها من جهة المعنى .

ففي القول الأول لا يكون الصمد مفسراً بشيء ، بل هو تفسير وتبيين لما خفي في الاسم الكريم ، وفي أحد وأبهم من المعاني التي لوحنا بها وأشرنا إليها ، نعم في القول الثاني هو مفسر بقوله : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ، وإنما جعله عليه السلام مفسراً في القول الأول ، مع أن[٣] ظاهر حقه باطنه أن يكون تفسيراً لما قبله ، لأنه في نفس الأمر مفسراً بما قبله كما هو مفسر بما بعده ، إذ لولا أنه يراد منه

---

(١) في نسخة أخرى : لأن .
(٢) في نسخة أخرى : الاسم .
(٣) في نسخة أخرى : أنه .

ما يراد مما قبله لفسر بما لا يصلح أن يوصف به القديم عزّ وجلّ كالمصمت والمقصود في جهة ، وبذاته وأمثال هذه مما لا يجوز على المعبود عزّ وجلّ ، فصحّ بمثل هذا اللحاظ أن يكون مفسراً بما قبله كما فسر بما بعده ، و[١]أن المراد من قوله : (**قد فسر الصمد**) ، أي قد ذكره ليفسره ثم فسر[٢] بقوله ثم فسره . إلخ .

وقوله عليه السلام : (**ولا تنشعب[٣] منه البدوّات**) أي ما يبدو منه يعني ما يظهر ويبرز منه كالسِّنة بكسر السين وهي النعاس وهو[٤] الفتور الذي يتقدم النوم .

وقوله : (**والبهجة**) فيه تصريح بالرد على من قال : إنه عزّ وجلّ أشد الأشياء بهجة وسروراً بكمال ذاته لعدم تناهي رضاه بما يحب لذاته من ذاته ، كما أشار إليه ملّا صدرا[٥] الشيرازي[٦] في

---

(١) في نسخة أخرى : أو .
(٢) في نسخة أخرى : فسره .
(٣) في نسخة أخرى : (**لا تتشعب**) .
(٤) في نسخة أخرى : هي .
(٥) في نسخة أخرى : الملّا صدر الدين .
(٦) هو محمد بن ابراهيم الشيرازي (صدر الدين) حكيم ، من أهل شيراز . توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .
رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية .
=

كتابه الأسفار وغيره ومن شاركه في هذا الرأي الباطل ممن تقدم عليه ومن تأخر عنه[١] ، إذ لو جاز عليه شيء من هذه الستة عشر من هذه البدوات وأمثالها لما جاز أن يقول : إنه تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ لصدق الولادة على من يخرج منه شيء من هذه الستة عشر وأمثالها ، كما تصدق الولادة على من يخرج منه شيء كثيف كالولد وكسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين .

وقوله : ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ يريد به عليه السلام معنى ما أراده من ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ يعني كما لا يكون منه شيء كذلك هو تعالى لم يكن من شيء أي لم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها ، لأن الشيء الكثيف إذا خرج من كثيف إنما يخرج منه لأنه خلق منه ، ولهذا أخبر عليه السلام أنها عناصر وأصول للخارجة منه ومثّل بأشياء يفهم منها كل الفروع من أصولها كالشيء من الشيء ، كالنبات من الأرض ، والخاتم من الفضة ، وكالدابة من الدابة ، إن الولد يتكون من نطفة تخرج من بين صلب أبيه من أربعة أشياء : العظم والمخ والعصب والعروق ، ومن ترائب أمه من أربعة أشياء : اللحم والدم والجلد والشعر ، ومن

= انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ - ٣٨١ ، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩ .

(١) في نسخة أخرى : منه .

ستة من الله : النفس والحواس الخمس[١] ، فالأمور الثمانية خرجت من عناصرها الأربعة التي في[٢] الأب والأم ، وكالنبات من الأرض ، فإنه إذا وقع المطر انحل جزآن منه بجزء من النار

(١) لم نجده فيما توفر لدينا من مصادر .
وفي العلل بإسناده رفعه قال : أتى علي بن أبي طالب عليه السلام يهودي فقال : يا أمير المؤمنين إني أسألك عن أشياء إن أنت أخبرتني بها أسلمت . قال علي عليه السلام : (**سلني يا يهودي عما بدا لك فإنك لا تصيب أحداً أعلم منا أهل البيت**) ، فقال له اليهودي : أخبرني عن قرار هذه الأرض على ما هو وعن شبه الولد أعمامه وأخواله وعن أي النطفتين يكون الشعر والدم واللحم والعظم والعصب ولم سميت السماء سماء ولم سمّيت الدنيا دنيا ولم سمّيت الآخرة آخرة ولم سمّي آدم آدم ولم سمّيت حواء حواء ولم سمّي الدرهم درهماً ولم سمّي الدينار ديناراً ولم قيل للفرس أجد ولم قيل للبغل عد ولم قيل للحمار حر ؟
فقال عليه السلام : (**أما قرار هذه الأرض لا يكون إلا على عاتق ملك وقدما ذلك الملك على صخرة والصخرة على قرن ثور والثور قوائمه على ظهر الحوت في اليم الأسفل واليم على الظلمة والظلمة على العقيم والعقيم على الثرى وما يعلم تحت الثرى إلا الله عزّ وجلّ ، وأما شبه الولد أعمامه وأخواله فإذا سبق نطفة الرجل نطفة المرأة إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أعمامه ، ومن نطفة الرجل يكون العظم والعصب وإذا سبق نطفة المرأة نطفة الرجل إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أخواله ومن نطفتها يكون الشعر والجلد واللحم لأنها صفراء رقيقه**) .
علل الشرائع : ١ / ٣ باب العلة التي من أجلها سميت السماء سماء والدنيا دنيا والآخرة آخرة ح ١ ، وبحار الأنوار : ١٠ / ١٢ ح ٧ .

(٢) في نسخة أخرى : من .

وجزء من الهواء وجزء من التراب والكل في الأرض ، ولهذا كانت كثيفة لتركيبها[١] من الثلاثة العناصر ، فكانت الأجزاء الخمسة نباتاً عناصره التي تولد منها في الأرض كما ذكرنا ، وكالماء النابع من الينابيع ، فإن الينابيع هي أصل هذا النابع إذ المراد من الينابيع الماء المسلوك في الأرض لأنه أصله ، والعنصر هو الأصل[٢] كما قال تعالى : ﴿ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٣] وكالثمار من الأشجار ، فإن أصل الثمرة الشجرة لا الغذاء الذي تجذبه العروق ، لأن الذي تجذبه العروق شيء واحد وهو ماء مشاكل انحل به تراب[٤] ، والمراد بالمشاكلة مساواة أجزائهما في الوزن بالقدر الذي يحصل به الاعتدال في الطبائع ، وهو واحد في النخل[٥] والرمان والعنب وشجرة العنب إذا وصل إليها الغذاء كانت أصل العنب ، وشجرة الرمان إذا وصل إليها ذلك الغذاء كانت أصل الرمان ، والنخلة إذا وصل إليها الغذاء كانت أصل الرطب ، فالعنصر القريب للثمرة هو الشجرة .

---

(١) في نسخة أخرى : لتركبها .
(٢) في نسخة أخرى : الأصل وذلك .
(٣) سورة الزمر ، الآية : ٢١ .
(٤) في نسخة أخرى : تراب مشاكل .
(٥) في نسخة أخرى : للنخل .

وقوله : (ولا كما يخرج[١] الأشياء اللطيفة من مراكزها)

يعني أنه تعالى لا يخرج من شيء كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين ، فإن البصر سواء قلنا إنه بخروج الشعاع أم بالانطباع أم[٢] بالحكاية بأن تكون رطوبة العين تحكي صورة المرئي ، أم بأن تدرك النفس صورة ملكوتية تشابه الصورة المحسوسة خارج من العين فهي[٣] مركز ، والسمع من الأذن ، فإن السمع الذي هو إدراك المسموعات من الأصوات إنما هو قوة من الروح البخاري الذي هو النفس[٤] ، تدرك الصوت الذي يقرع الجلد الرقيق المنشور على خرق الأذن ، فيختلف القرع باختلاف الحرف ، فإن من الحروف ما يخرج عند القرع وهو الذي ينقطع النفس عند خروجه إذا نطقت به ساكناً مثل الميم واللام ، تقول : ام وال ، ومنها ما يخرج عند القلع إذا أجريت النفس بعد قطعه كحروف القلقلة مثل القاف والطاء ، تقول : اق واط ، فيخرج الحروف[٥] من مخرجه عند إجراء النفس بعد قطعه ، ومنها ما يخرج عند ضغط النفس كالشين والسين فإنه يخرج عند تضييق

---

(١) في نسخة أخرى : (**تخرج**) .
(٢) في نسخة أخرى : أو .
(٣) في نسخة أخرى : فهو .
(٤) في نسخة أخرى : النفس النباتية .
(٥) في نسخة أخرى : الحرف .

النفس تقول : اش واس ، فتميز الروح الحاسة الحروف باختلاف القرع والقلع والضغط في مادة الصوت وهيئته ، فالإدراك يخرج من الدماغ إلى خرق الأذن ليميز الصوت إذا ضربت الحروف طبل الأذن ، يتميز بينها بأصواتها الواقعة على ذلك الجلد الرقيق الشبيه بالطبل ، فيخرج من الدماغ إلى الجلد المضروب على ذلك الخرق فكانت تلك الأذن مركزاً لذلك الحاس .

فقوله عليه السلام : (**ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها**) يدل على أن الحاس هو القوة البخارية لا أن المدرَك للأمور المحسوسة هو النفس ، والمدرك بفتح الراء صورة ملكوتيَة تشابه هذه الصور[١] المحسوسة ، فتدرَك النفس المحسوسة بإدراك نظائرها الملكوتية كما توهمه الملا صدرا الشيرازي ، إذ لو كان المدرِك بكسر الراء هو النفس لم يحسن أن يقال : إن الأذن مركز للنفس ، ولا أن إدراكها يخرج من الأذن ، لأن المادي لا يكون مركزاً للمجرد ، وكذلك الشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب كلها مثل السمع من الأذن من كونها لها مصادر وقوى تنشأ منها وتخرج من مراكزها الظاهرة .

وقوله عليه السلام : (**وكالنار من الحجر**) ، يعني أن مخرج

---

(١) في نسخة أخرى : الصورة .

النار من الحجر كمخرج الشم من الأنف ، وكون الحجر مركزاً للنار من جهة الخروج كما أن الأنف مركزاً للشم من جهة الخروج وإلّا[١] لم يكن للنار مصدر غير الحجر ، وغيره من المذكورات كالشم والكلام لها مصادر غير مراكزها ، لكنها متساوية من حيث المخرج والمركز[٢] كرر كاف التشبيه للفرق بينها وبين النار في المصدر والمركز ، وإنما جعلت مواضع مخارجها مراكزها[٣] لدوران إدراكاتها على خروجها من هذه المواضع ، فلذا كانت تدور على هذه المواضع في تحققها .

وقوله : (**لا**) أي لا يتولد من شيء بل هو الله الصمد يعني الذي لا من شيء ، ولا منه شيء[٤] بدئ ، ولا في شيء حل ، ولا على شيء حمل ، مبدع الأشياء من كل من سواه بقدرته ، يتلاشى ما خلق للفناء ، والتلاشي بمشيّته لذلك ، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه أي بما شاء من إبقائه وأراد .

روى الصدوق[٥] في توحيده قال : قال وهب بن وهب

(١) في نسخة أخرى : ولما .
(٢) في نسخة أخرى : المخرج .
(٣) في نسخة أخرى : مراكز .
(٤) في نسخة أخرى : شيء لا من شيء .
(٥) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
=

القرشي : سمعت الصادق عليه السلام يقول : (قدم وفد من فلسطين على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل فأجابهم ، ثم سألوه عن الصمد فقال : تفسيره فيه الصمد خمسة أحرف فالألف دليل على إنيّته وهو قوله عزّ وجلّ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[١] وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس ، واللام دليل على إلهيته بأنه هو الله ، والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ، ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلان[٢] على أن إلهيته بلطفه[٣] خافية لا تدرك بالحواس ، ولا تقع[٤] في لسان واصف ، ولا أذن سامع ، لأن تفسير الإله هو الذي أله الخلق عن درك ماهيته[٥] وكيفيته بحس أو بوهم ، بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس ، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة ، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه

= ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨ .

(٢) في نسخة أخرى : (دليلاً) .

(٣) في نسخة أخرى : (بلفظه) .

(٤) في نسخة أخرى : (لا يقع) .

(٥) في نسخة أخرى : (مائيته) .

كما أن لام الصمد لا يتبين ، ولا يدخل في حاسة من الحواس الخمس ، فإذا نظر إلى الكتابة[١] ظهر له ما خفي ولطف ، فمتى تفكَّر العبد في ماهية[٢] الباري وكيفيته أله منه وتحير ، ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لأنه عزّ وجلّ خالق الصور ، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عزّ وجلّ خالقهم ومركب أرواحهم في أجسادهم ، وأما الصاد فدليل على أنه عزّ وجلّ صادق وقوله صدق وكلامه صدق ودعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق ووعد بالصدق دار الصدق ، وأما الميم فدليل على دوام ملكه وأنه الملك الحق لم يزل ، ولا يزال ، ولا يزول ملكه ، وأما الدال فدليل على دوام ملكه وأنه عزّ وجلّ دائم تعالى عن الكون والزوال ، بل هو عزّ وجلّ يكوّن الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن) .

ثم قال عليه السلام : (لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزّ وجلّ حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد ، وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتى كان تنفس[٣] الصعداء ، ويقول على

---

(١) في نسخة أخرى : (الكتاب) .
(٢) في نسخة أخرى : (مائية) .
(٣) في نسخة أخرى : (يتنفس) .

المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً[١] جمّاً هاه هاه ألا لا أجد[٢] من يحمله وإني عليكم من الله الحجة البالغة ، فلا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) .

ثم قال الباقر عليه السلام : **(الحمد لله الذي مَنَّ علينا ووفقنا لعبادة الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وجنّبنا عبادة الأوثان حمداً سرمداً وشكراً واصباً . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ يقول : لم يلد عزّ وجلّ فيكون[٣] له ولد يرثه ملكه ، ولم يولد فيكون له والد فيشركه في ربوبيته وملكه ، ولم يكن له كفواً أحد فيعاونه في سلطانه)[٤]** انتهى .

أقول : قوله عليه السلام تفسيره[٥] الصمد فيه ليس خاصاً بالصمد ، بل كل كلمات الله عزّ وجلّ على هذا النحو ، وكما أن الصمد للولي[٦] المطلق إذا شاء أن يخرج كلما يحتاج إليه الخلق

---

(١) في نسخة أخرى : **(لعلما)** .
(٢) في نسخة أخرى : **(هاه ألا أجد)** .
(٣) في نسخة أخرى : **(فتكون)** .
(٤) توحيد الصدوق : ٩٢ ح ٦ ، ومعاني الأخبار : ٧ ، وبحار الأنوار : ٣/ ٢٢٤ ح ١٥ ، وتفسير مجمع البيان : ١٠ / ٤٨٨ .
(٥) في نسخة أخرى : تفسيره أي .
(٦) في نسخة أخرى : إن المولى .

من لفظه على نحو(١) أشار إليه ، كذلك سائر كلمات الله للولي المطلق أن يخرج من كل كلمة كلما يحتاج إليه الخلق ، كما سمعت من تفسير أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس رحمه الله في باء (**بسم الله**) من أول الليل إلى آخره .

ثم قال له : (**لو طال الليل لأطلنا**)(٢) ، وقال عليه السلام ما معناه : (**لو شئت لأوقرت سبعين بغلاً**) ، أو (**جملاً من تفسير باء**(٣) **بسم الله الرحمن الرحيم**)(٤) .

وقوله عليه السلام : (**تفسيره فيه**) ، يعني في لفظه ونقشه يعني أن ما يراد من الصمد بعد ما وصف الاسم الكريم بأحد لبيان معناه المراد منه في الرد على من قالوا(٥) لرسول الله صلى الله عليه وآله : هذا(٦) آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار ، فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه فقال تعالى رداً عليهم : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد إن الذي يشار إليه لا يصح أن يكون إلهاً والذي

---

(١) في نسخة أخرى : نحو ما .

(٢) لم نجده بهذه الألفاظ فيما توفر لدينا من مصادر .

(٣) في نسخة أخرى : (**تفسير بسم الله**) .

(٤) عوالي اللآلي : ٤ / ١٠٢ ح ١٥٠ ، ومناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ١ / ٣٢٢ ، وبحار الأنوار : ٤٠ / ١٥٧ وفيهما : (. . من تفسير فاتحة الكتاب) .

(٥) في نسخة أخرى : قال .

(٦) في نسخة أخرى : هذه .

أدعو إليه : ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ منزه عن الإشارة والإحساس والإدراك ، ولا يرتبط بشيء ، ولا يرتبط به شيء وليس فيه[١] جهة وجهة ، ولا حيث[٢] ولا لم ، ولا شيء يصح في شيء من خلقه ، ولمّا كانت المعاني التي يريدها من لفظ : ﴿ أَحَدٌ ﴾ تخفى عليهم قال : ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ يعني أن معنى أحد هو الصمد الذي ليس شيء ما يوهم شيئاً من صفات الخلائق مطلقاً ، فلما كانت تلك المرادات قد تخفى[٣] على كثير من الناس بمعنى أنهم لا يفهمونها من لفظ الصمد ، لأن الصمد ما يفهمون منه إلّا ما دلت عليه لغتهم بيّنها لهم بعبارة أجلى من لفظة الصمد فقال : مرادي من الصمد : ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ أي لم يخرج منه شيء بكل اعتبار وبكل معنى على ما بيّنه الحسين بن علي عليهما السلام كما تقدم ، ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أي لم يخرج من شيء على نحو ما تقدم .

ثم عمم وأطلق في البيان فقال : معنى الصمد الذي تريده[٤] هنا أنه : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ، يعني لم يكن له كفواً شيء في شيء من كل شيء ، والباقر صلوات الله عليه بيّن

---

(١) في نسخة أخرى : به .
(٢) في نسخة أخرى : حيث وحيث .
(٣) في نسخة أخرى : لا تخفى .
(٤) في نسخة أخرى : يريده .

ذلك وأشار إليه ببيان قوله : (**تفسيره فيه**) ، إلخ[١] ، فأشار بأن الألف دليل على إنيّته ، وليس في الحروف إلّا ألف واحد ، فنفى عليه السلام بكون الألف دليلاً على إنيّته إنيّة كل من سواه ، بمعنى أنه ليس[٢] من الأشياء إنيّة إلّا ما اخترع له واشتق من فعله تعالى له من الإنيّة ، ولأجل هذا قلنا : إنه لا إله إلّا هو في ذاته ، وأشار بأن اللام دليل على إلهيته فنفى بإثبات إلهيته إلهية ما سواه ، إذ لو كان لغيره إلهية لما حَسُنَ أن يقال : إن اللام دليل على إلهيته إلّا على جهة المشاركة ، فكما تدل على إلهيته تدل على إلهية غيره ، والدلالة غير المحضة لا يكون مميزة[٣] ، فلا تكون مع المشاركة[٤] دالة[٥] على النوع وأفراد النوع ، متساوية في[٦] الاتصاف[٧] النوعي ولا نوع للقديم ، فلا مشاركة فيما ينسب إليه ، فبدلالة اللام على الإلهية الحقيقية[٨] تنتفي إلهية كل من سواه ، وكذلك دلالة الألف وباقي حروف الصمد ، فلأجل هذا

---

(١) في نسخة أخرى : إلخ ما ذكر .
(٢) في نسخة أخرى : ليس لشيء .
(٣) في نسخة أخرى : المختصة لا تكون مخيرة .
(٤) في نسخة أخرى : المشاركة إلّا .
(٥) في نسخة أخرى : دالة إلّا .
(٦) في نسخة أخرى : عن .
(٧) في نسخة أخرى : الاتصاف من .
(٨) في نسخة أخرى : الحقيقية دلالة حقيقية .

صار الصمد صالحاً لبيان أحد فيما يدل عليه من الوحدة الحقيقة ، لأن المراد من الصمد كما تقدم من يراد معنى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ المبين في كلام الحسين بن علي عليهما السلام إلّا ما أراد أولئك الطغاة الذين قال الله فيهم : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ﴾[1] [2].

---

(١) سورة الفرقان : ٤٤ .

(٢) إلى هنا وجد في النسخ الشريفة .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث
- الفهرس الموضوعي
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة		
- ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	٣	٤٢٢
- ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾	٢٥	٤٠٣
- ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٣٠	١٧٧
- ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	١٥٥	٤٢٤
- ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾	٢١٠	٤١٧
- ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾	٢٥٥	٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
- ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾	٢٥٥	٢٠٦
- ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾	٢٥٥	٩١

سورة آل عمران

- ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ١٨ ٤٨٨

سورة النساء

- ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ ﴾ ٢٨ ١٠٥
- ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَۗ ﴾ ٥٦ ٤٠٣
- ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ ﴾ ١٤٠ ٤٢٣
- ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ ١٥٥ ١١١
- ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ١٦٤ ٣٣٨
- ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ ١٦٥ ٣٥٨

سورة المائدة

- ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ ﴾ ٤١ ١٠٥ ، ٣٣٦
- ﴿ لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ٤٤ ٣٧٠
- ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ٤٥ ٣٧٠

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	٤٧	٣٧٠
- ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾	٥٥	٣٦٧
- ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾	٦٤	١٨٢

سورة الأنعام

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾	٣٥	٥٣
- ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾	٣٨	٣٨٣
- ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾	١٠٣	٣٤٥
- ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	١٠٣	٣٣٥
- ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾	١٣٢	٣٨٣

سورة الأعراف

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ﴾	٤٦	١٢١

- ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ١٧٢ / ١١٢

سورة التوبة

- ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾ ٤٦ / ٣٣٧
- ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ ١١٥ / ٣٦٠

سورة يونس

- ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ١٨ / ١٨٧
- ﴿ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ١٨ / ٣٣ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٢٦٠
- ﴿ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ٣٥ / ٩ ، ٣٦٩

سورة هود

- ﴿ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ٦ / ٢١٢
- ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ١٠٨ / ٤٠٣

سورة يوسف

- ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾	٧٦	١٩٦ ، ١٩٧
- ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾	١٠٥	١٥٩

سورة الرعد

- ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	١٦	٤٢
- ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾	٣٣	٣٣ ، ٣٨
- ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٣٩	١٨١ ، ١٨٢

سورة إبراهيم

- ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	٤٢	٣٨٢

سورة الحجر

- ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾	٢١	٧٨ ، ٩٢ ، ١٩٠

- ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾	٤٨	٩٢
- ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾	٤٨	٤٠٣

سورة النحل

- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾	٢٠	٣٤
- ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٤٠	٤٧٣
- ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾	٥١	٣٣٤ ، ٤٤١ ، ٤٥٧
- ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	٦٠	١٢٦ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ١٩٧
- ﴿ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾	٦٦	٤٧٤
- ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾	٧٤	١٩٧
- ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾	٩٦	١٤٩

سورة الإسراء

- ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾	١٣	٣٩٠

- ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	٣٦	٣٠٦

سورة الكهف

- ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾	٥	١١٩
- ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	٤٩	٣٨٤
- ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾	١١٠	٣٣٤ ، ٤٤٢

سورة مريم

- ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ﴾	٦١ - ٦٢	٣٩٧
- ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾	٦٣	٣٩٨
- ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾	٦٧	١٣٩ ، ١٩١

سورة طه

- ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾	١٥	٢٥٤

- ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ ٥٢ ٣٢٨
- ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمٗا ﴾ ١١٠ ٣٤٨ ، ٤٦٦
- ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمٗا ﴾ ١١٤ ٩٣

سورة الانبياء

- ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ ٢ ٣٣٨
- ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ٤٧ ٣٩١
- ﴿ كُونِي بَرْدٗا وَسَلَٰمًا ﴾ ٦٩ ٢٠٩
- ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ ٩٨ ٣٨٥
- ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ ﴾ ٩٩ ٣٨٥

سورة الحج

- ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ ٧ ٤٠٦
- ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ ٣١ ٢٩

- ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ٤٧ ٣٨٢

سورة المؤمنون

- ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ ١٧ ٤٧٢
- ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ٩١ ٣٣٤
- ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ٩١ ٤٧١
- ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (١٠٣) ﴾ ١٠٢ - ١٠٣ ٣٩١
- ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ١١٥ ٣٢٠

سورة النور

- ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ٢٤ ٣٨٨
- ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ ٣٥ ١٥٣
- ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٦٣ ٣٦٨

سورة الفرقان

- ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ﴾ ٤٤ ٤٩٤
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ ٤٥ ، ٤٦ ١٨٦ ، ٢٠٧

سورة النمل

- ﴿ لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ ٤٠ ٤٢٣

سورة القصص

- ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ٨٨ ١٠٧ - ١٣٢

سورة العنكبوت

- ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ ٤٣ ١٥٤ - ١٥٩

سورة الروم

- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ ٢٥ ١٠٢ ، ١٧٠

- ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ٢٧ ٣٢٤
- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ ٤٠ ٤٤٢

سورة لقمان

- ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ ١١ ٣٣٤ ، ٤٤١
- ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ ٢٨ ٣١٢

سورة السجدة

- ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ ١٣ ٥٢

سورة الأحزاب

- ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ٤٠ ٣٦٣

سورة سبأ

- ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ٣ ١٥ ، ٩٥ ، ١٣٥

سورة فاطر

- ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾	٣٦	٤٠٤

سورة الصافات

- ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) ﴾	١٨٠ ـ ١٨٢	١٧٠ ، ٢٩٥ ، ٤٧٠، ٤٧١

سورة الزمر

- ﴿ فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾	٢١	٤٨٤
- ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾	٦٧	١٧٧
- ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾	٦٨	٣٨١

سورة غافر

- ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾	٤٥ ـ ٤٦	٤٠٠
- ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾	٤٦	٤٠٠

سورة فصلت

- ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ١١ ٣٨٥
- ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ٤٢ ٣٦١
- ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ٤٦ ٣٥٢
- ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ ٥٣ ٣٦، ١٠٥، ١٥١، ١٥٧، ٢٣٢، ٢٤٧

سورة الشورى

- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ١١ ٣٣٤، ٣٣٩، ٤٤١

سورة الجاثية

- ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)﴾ ٢٨، ٢٩ ٣٩٠

سورة محمد

- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ١٩ ٤٣٧، ٤٦١، ٤٦٢

سورة ق

- ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ (٤) ﴾ ٣ ، ٤ ١٠٧ ، ١٣٣

سورة الذاريات

- ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٢١ ١٥٩
- ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ٤٩ ٢٧٢

سورة النجم

- ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ ٣ ، ٤ ٣٦٤ ، ٣٦٨

سورة القمر

- ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ ٥٠ ٣١٢

سورة الرحمن

- ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ ٢٧ ١١١
- ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ ٢٩ ١٩٠

سورة الواقعة

- ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥)

وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ ٧٥ ، ٧٦ ٦٤

سورة الحديد

- ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ٣ ١٦٨
- ﴿ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ ٦ ٤٥١

سورة الحشر

- ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ ٧ ٣٦٣ ، ٣٦٨

سورة الملك

- ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ ٢ ٢٧٠ ، ٣١٠
- ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ ١٣ ، ١٤ ٦٦ ، ٦٧
١١١ ، ٢٠٥ ، ٣٣١

سورة القلم

- ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ١ ١٨١

سورة الحاقة

- ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ٤٤ ـ ٤٦ ٣٦٤ ، ٣٦٨

سورة المعارج

- ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ ٦ ، ٧ ٢١٤

سورة الإنسان

- ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ ١ ١٣٨

سورة عبس

- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ ٢٤ ٤٧٤

سورة المطففين

- ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ ٧ ١١٣
- ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ ١٨ ١١٣

سورة الإخلاص

- ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ ١ ـ ٤ ٤٢٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦٥ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠

فهرس الأحاديث

حرف الألف

- (اتّقوا الله وعظِّموا الله ولا تقولوا ما لا نقول فإنكم إن قلتم وقلنا متّم ومتنا ثم بعثكم الله وبعثَنا فكنتم حيثُ شاء الله وكنّا) ... ٢٢٥
- (ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ٣٩٥
- (الأحد الفرد المتفرد الأحد والواحد بمعنى واحد) ٤٥٩
- (الأحد الفرد المتفرد والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له ، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد ، والواحد المتباين الذي لا ينبعث من شيء ، ولا يتحد بشيء ، ومن ثم قالوا : إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد ، لأن العدد لا يقع على الواحد ، بل يقع على الاثنين فمعنى قوله : الله المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بإلهيته متعال عن صفات خلقه) ٤٣٥
- (الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله فإرادته إحداثه لا غير ذلك ، لأنه لا

يروّى ولا يهم ولا يفكر ، وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق فإرادة الله الفعل لا غير ذلك ، يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له) .... ٩٨ ، ٢٨٧

- (الحمد لله الذي مَنَّ علينا ووفقنا لعبادة الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وجنّبنا عبادة الأوثان حمداً سرمداً وشكراً واصباً. وقوله عزّ وجلّ : يقول : لم يلد عزّ وجلّ فيكون له ولد يرثه ملكه ، ولم يولد فيكون له والد فيشركه في ربوبيته وملكه ، ولم يكن له كفواً أحد فيعاونه في سلطانه) . ٤٩٠

- (الدنيا سجن المؤمن) ٤٢٤

- (الصمد الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون ، والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً وتفرد بالوحدة بلا ضد ، ولا شكل ، ولا مثل ، ولا ندّ) ٤٧٧

- (الصمد الذي لا شريك له ، ولا يؤوده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء) ٤٧٥

- (الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر ، ولا ناه) ٤٧٤

- (العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فُقِد في العبودية وجد في الربوبيّة وما خفي في الربوبيّة أُصيبَ في العبودية) ٣٧

- (العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة فما فُقِد في العبوديّة وجد في الربوبيّة وما خفي في الربوبيّة أُصيبَ في العبوديّة قال الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ يعني موجود في غيبتِك وفي حضرتك) .... ١٥٩ ، ٢٣١

- (اللهم إن كنت كتبتَني عندك محروماً مقتّراً عليَّ في رزقي فامحُ مِنْ أمّ الكتاب حرماني وتقتيرَ رزقي واكتبني عندك سعيداً مُوَفَّقاً للخير ، فإنّك قلتَ تباركتَ وتعالَيْتَ : ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾) ١٨١

- (الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته وتقول العرب : أله الرجل إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً ووله إذا فزع إلى شيء مما يحذره ويخافه فالإله هو المستور عن حواس الخلق) ٤٦

- (قل أي أظهر ما أوحينا إليك ونبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد ، وهو اسم مكنى مشار إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس ، كما أن قولك هذا إشارة إلى الشاهد عند الحواس ، وذلك أن الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ، ولا نأله فيه فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، فالهاء تثبيت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس ، وأنه تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس) ٤٦٨

- (الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه والله هو

المستور عن درك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات) ٤٦٧
- (المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة عبد) ٤٠٥
- (المشيئة والإرادة من صفات الأفعالِ فمَنْ زَعَم أنَّ الله لم يَزَل مريداً شائياً فليس بموحِّد) .... ١٠٠ ، ٢٨٦
- (إلهي وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراءُ بجَنابِك) ١٥٥
- (إنَّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم) ٤٩
- (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة) ٢٩٢
- (إن الله عزّ وجلّ علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام منعمون متعمقون فأنزل الله ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله : ﴿ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ فمن رام وراء ذلك فقد هلك) ٤٥٠
- (إن الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته دون غيره للذي أراد من الدلالة عليه وإثبات وجوده) ٢٧٢
- (إنَّ المريد لا يكون إلّا المراد معه لم يزَلْ عالِماً قادراً ثمّ أرادَ)........................ ١٠٠ ، ١٠٤ ، ٢٢١
- (إنا لنتكلم بالكلمة لها سبعون وجهاً لنا من كلها المخرج) ٤٣٩
- (إن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليهما السلام يسألونه عن الصمد فكتب إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فلا تخوضوا في القرآن ، ولا تجادلوا فيه ، ولا تتكلموا

فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ، وإن الله سبحانه قد فسر الصمد فقال : ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ ثم فسره فقال : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ ثم فسره فقال : (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) ، لم يلد لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنفس ، ولا تتشعب منه البدوّات كالسِّنة والنوم والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسآمة والجوع والشبع ، تعالى عن أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف ولطيف ، ولم يولد لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الأرض والماء من الينابيع والثمار من الأشجار ، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الأذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتميز من القلب ، وكالنار من الحجر ، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ، ولا في شيء ، ولا على شيء ، مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء ، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيّته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، ولم يكن له كفواً أحد) ٤٧٨

- (انتهى المخلوق إلى مثله وألْجأه الطلب إلى شكلِه السبيل مسدود والطلب مردودٌ) . . . . ١١٧ ، ١٥٣ ، ١٩٣
- (إن جنان الحظائر يسكنها ثلاث طوائف من الخلائق مؤمن الجن وأولاد الزنى من المؤمنين ، وأولاد أولادهم إلى سبعة أبطن والمجانين الذين لم يجر عليهم التكليف الظاهر ولم يكن لهم من أقربائهم شفعاء ليلحقوا بهم) ٣٩٩
- (إنّ زمزم افتخرت على الفرات فأجرى الله فيها عيناً من صبر) ٣٨٦
- (انظر لو صب حب خردل حتى سدّ الفضاء وملأ ما بين الأرض والسماء ثم عمّر لك مع ضعفك أن تنقله حبة حبة من المشرق إلى المغرب حتى ينفد لكان ذلك أقل من جزء من مئة ألف جزء من مثقال الذر مما بقي العرش على الماء قبل خلق السماوات والأرض واستغفر الله عن التحديد بالقليل) ٢٧٤
- (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشف حجاب منها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ١٧٩
- (إنما تحدّ الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها) . . . . ٢٥٧ ، ٢٩٦ ، ٢٤٧
- (إني لأتكلم بالكلمة الواحدة لها سبعون وجهاً إن شئت أخذت كذا وإن شئت أخذت كذا) ٤٤٠
- (إني لأتكلم على سبعين وجهاً في كلها المخرج) ٤٣٩
- (أبوك خير الأنبياء وبعلك خير الأوصياء) ٣٦٣

- (أتحسن أن تحسب ؟ فقال : نعم . فقال : (أخشى ألا تحسن) ٢٦٩
- (أحاط بالأشياء علماً قبل كونِها فلم يزد بكونها علماً علمُه بها قبل أن يكوِّنَها كعلمه بها بعد تكونها) ٢٠٣
- (أحد أحد) ٣٢٧
- (أسألك باسمك العظيم وملكك القديم) ٢٠١
- (أسماؤها ثلاثة ومعناها واحدٌ) ١٦٦
- (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربِّه) ٢٨٠
- (ألا إن القدر سرّ من سر الله وستر من ستر الله وحرز من حرز الله ، مرفوع من حجاب الله موضوع عن خلق الله مختوم بخاتم الله ، سابق في علم الله وضع الله العباد عن علمه ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم ، لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانيّة ولا بقدرة الصّمدانيّة ولا بعظمة النورانية ولا بعزة الوحدانية ، لأنه بحر زاخر موّاج خالصٌ لله عزّ وجلّ عمقه ما بين السماء والأرض ، عرضه ما بين المشرق والمغرب ، أسود كالليل الدامس ، كثير الحيّات والحيتان ، يعلو مرّة ويسفل أخرى ، في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطّلع عليها إلّا الله الواحد الفرد ، فمن تطّلع عليها فقد ضادّ الله في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سرّه وستره وباء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير) ٩١
- (ألست أولى بكم من أنفسكم ؟) ٣٦٨

- (أنا الذي أُقتل مرتين وأُحيى مرتين ولي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة) ٤١٦
- (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) ٣٦٣
- (أنا من محمد كالضوء من الضوء) ٢٧٥
- (أنتم أفقه الناس ما عرفتم معاني كلامنا) ٤٤٠
- (أنّى يكون ذلك ولا مبصَر ؟) .... ٧٤ ، ٢١٧
- (أنّى يكون ذلك ولا مسموع ؟) .... ٧٤ ، ٢١٧
- (أنّى يكون يعلم ولا معلوم ؟) .... ٧٤ ، ، ٢١٩

حرف الباء

- (بدَتْ قدرتُكَ يا إلهي ولم تبدُ هيئةٌ يا سيّدي فشبّهوك واتّخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثمَّ لم يعرفوك) . . . ٦٠ ، ٨٨ ، ٢٩٤

حرف التاء

- (تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها) ١٩٩
- (تعالى الجبّار أنّ مَن تعاطَى ما ثَمّ هلك) ٢٢٥
- (تعالى الله إنما يُعقَل ما كان بصفة المخلوقين وليس الله كذلك) ٦٩
- (تعلم ما المشيئة ؟) .... ٦٢ ، ٩٠ ، ٩٩
- (تكلّموا في خلق الله ولا تكلّموا في الله فإن الكلام في الله لا يزيد إلّا تحيّراً) ٢٢٤
- (تكلموا فيما دون العرش ولا تكلّموا فيما فوق العرش فإنّ قوماً

تكلّموا في الله عزّ وجلّ فتاهوا حتّى كان الرجل يُنادى من بين يديه فيجيبُ من خلفه ويُنادى من خلفِه فيجيبُ من بين يديه) ٢٢٤

حرف الثاء

- (ثم العرش منفرد عن الكرسي لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب وهما جميعاً غيبانِ ، وهما في الغيب مقرونان ، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ، ومنه الأشياء كلها) ١٣٤

حرف الجيم

- (جملاً من تفسير باء بسم الله الرحمن الرحيم) ٤٩١

حرف الحاء

- (حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يا عباد الله إن آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح. فقال : يا ربّ ما هذه الأنوار ؟ ، فقال عزّ وجلّ : أنوار أشباح نقلتُهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك فلذلك أمرتُ الملائكة بالسجود لك إذ كنتَ وعاء لتلك الأشباح ، فقال آدم : يا رب لو بيّنتَها لي ، فقال الله عزّ وجلّ : انظر يا آدم إلى ذروة العرش فنظر آدم ووقع نورُ أشباحِنا من ظهر آدم على ذروة العرش ، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المِرآة الصافية فرأى أشباحنا) ١١٠

حرف الخاء

- (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئةِ) ١٠٢
- (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة) ٢٤٩

حرف الدال

- (دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم ثم قال : يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام : فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجل ووجهان يثبتان فيه ، فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل : واحد يقصد به باب الأعداد ، فهذا ما لا يجوز ، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد ، ألا ترى أنه كفر من قال : ثالث ثلاثة ، وقول القائل هو أحد من الناس يريد به النوع من الجنس ، فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه وجلّ ربنا عن ذلك وتعالى ، وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل : هو واحد ليس له في الأشياء شبيه كذلك ربنا ، وقول القائل : إن ربنا عزّ وجلّ أحدي المعنى يعني به أنه لا ينقسم في وجود ، ولا عقل ، ولا وهم كذلك ربنا عزّ وجلّ) ٤٣٦

حرف الذال

- (ذهب مَن ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضُها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا غايةَ لها ولا نهاية) ٢٢٦

- (ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها) ٢٨٣

حرف الصاد

- (صور عالية عن الموادّ عاريةٌ عن القوّة والاستعداد تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هُويّتها مِثاله فأظهر عنها أفعاله) ٢٢

حرف الظاء

- (ظلّ النور أبدان نورانية بلا أرواح) ٢٤
- (ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم) ١٣٣

حرف العين

- (علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين وعلمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السفلى) ٢٠٩
- (علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بها بعد تكونها) ٢٠٥
- (علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها) .... ١٥ ، ٢٠٦
- (علي أقضاكم) ٣٦٨
- (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث ما دار) ... ٣٦٩

حرف الفاء

- (فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء وإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداءُ) ١٩١
- (فلله تبارك وتعالى البداء فيما لا عينَ له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرَك فلا بداء والله يفعَلُ ما يشاء) ١٩١
- (فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم)........ ٧٢ ، ٧٩ ، ١١٦ ، ١٥٩ ، ١٨٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩
- (فهما في العلم بابانِ مقرونان ، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلم أغيب من علم الكرسي) ١٣٤

حرف القاف

- (قالوا قد فرغ من الأمر لا يُحدث الله غير ما قدّره في التقدير الأول فردّ الله عليهم ، قال : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) أي يقدّم ويؤخّر ويزيد وينقص وله البداء والمشيئة) . ١٨٢
- (قد علم أولو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلّا بما هاهنا) ٢٣٢
- (قدم وفد من فلسطين على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل فأجابهم ، ثم سألوه عن الصمد فقال : تفسيره فيه الصمد خمسة أحرف فالألف دليل على إنيّته وهو قوله عزّ وجلّ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس ، واللام دليل على إلهيته بأنه هو الله ، والألف واللام

مدغمان لا يظهران على اللسان ، ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلهيته بلطفه خافية لا تدرك بالحواس ، ولا تقع في لسان واصف ، ولا أذن سامع ، لأن تفسير الإله هو الذي إله الخلق عن درك ماهيته وكيفيته بحس أو بوهم ، بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس ، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة ، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه كما أن لام الصمد لا يتبين ، ولا يدخل في حاسة من الحواس الخمس ، فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف ، فمتى تفكّر العبد في ماهية الباري وكيفيته أله منه وتحير ، ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لأنه عزّ وجلّ خالق الصور ، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عزّ وجلّ خالقهم ومركب أرواحهم في أجسادهم ، وأما الصاد فدليل على أنه عزّ وجلّ صادق وقوله صدق وكلامه صدق ودعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق ووعد بالصدق دار الصدق ، وأما الميم فدليل على دوام ملكه وأنه الملك الحق لم يزل ، ولا يزال ، ولا يزول ملكه ، وأما الدال فدليل على دوام ملكه وأنه عزّ وجلّ دائم تعالى عن الكون والزوال ، بل هو عزّ وجلّ يكوّن الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن) ٤٨٨

حرف الكاف

- (كان الله عزّ وجلّ ربنا عالماً والعلم ذاته ولا معلوم)
٣٩ ، ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٩٤ ، ٢١٨

- (كان الله ولا شيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه) ٢١٢
- (كان ربّنا عزّ وجلّ عالماً والعلم ذاته ولا معلوم ، فلمّا وُجد المعلوم وقع العلم منه على المعلوم) ١٣
- (كان شيئاً مقدّراً ولم يكن مكوّناً) ١٣٨
- (كان شيئاً ولم يكن مكوّناً) ١٣٨
- (كان عالماً بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها) ١٦
- (كان محمد ابن الحنيفة رحمه الله ، يقول : الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره) ٤٧٣
- (كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق) ١٣٨
- (كذبوا وألحدُوا وشبَّهُوا تعالى الله عن ذلك إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع) ٦٩
- (كعلمهِ بها بعد تكوّنها) ٢٠٦
- (كلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مثلكم مخلوق مردود إليكم) .... ٢٣٢ ، ٣١٠
- (كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديدٌ لما سواه) ١٦١ ، ٤٥٣
- (كيف ولا تعيّنه مذ) ٢٢١

حرف اللام

- (لئلا يقع في الأوهام على أنه عاجز ولا تقع صورة في وَهْمَ أحد إلّا وقد خلق الله عزَّ وجلَّ عليها خلقاً لئلا يقول قائل : هل يقدر

الله عزَّ وجلَّ على أن يخلق صورة كذا وكذا لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلّا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كلّ شيء قدير ؟) ٣١١

- (لا تحيط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمَها) .... ٦٦ ، ١١٤ ، ١٢٥

- (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين) ٢٥٢

- (لا كان خلواً من الملكِ قبل إنشائه ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه) ٢١٢

- (لا مقدراً ولا مكوناً) ١٣٩

- (لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف وشهادة الصفة والموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث) ٢٢٣

- (لم يزل الله تعالى عالِماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء) ٢١٨

- (لم يزل الله عزّ وجلّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم) ... ٧٢ ، ١٨٥

- (لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور) .... ٣٥ ، ٢١٤

- (لم يزل الله عليماً سميعاً بصيراً ذات علامة بصيرة) ٢١٨

- (لم يزل الله عليماً سميعاً بصيراً ذاتٌ علامةٌ سميعةٌ بصيرةٌ) ٧٤
- (لم يسبق له حالٌ حالاً فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً) ٢٠٢
- (لم يعنوا أنه هكذا ولكنهم قالوا قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص ، قال الله جلّ جلاله تكذيباً لقولهم : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ألم تسمع الله يقول : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾) ١٨٢
- (لم يكن خلواً من ملكه) ٢٠١
- (لو خلص الحق لم يخف على ذي حجىً ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك هلك من هلك ، ونجى من سبقت له من الله الحسنى) ٢٥٤
- (لو شئت لأوقرت سبعين بغلاً) ٤٩١
- (لو طال الليل لأطلنا) ٤٩١
- (لو طغى جبل على جبل لهده الله) ٣٨٦
- (لو كان خلقها من شيء لكان معه ذلك الشيء لم يزل) ... ١٩٢
- (لولاك لما خلقت الأفلاك) ٣٦٤
- (لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي أو من ذريتي أو من ولدي اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً) ٣٧٥

- (لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزّ وجلّ حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد، وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتى كان تنفس الصعداء، ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً جمّاً هاه هاه ألا لا أجد من يحمله وإني عليكم من الله الحجة البالغة، فلا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) ٤٩٠
- (له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب)، ٢١٩
- (له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب وحقيقة الإلهيّة ولا مألُوه ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق وتأويل السمع ولا مسموع ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائيّة كيف ولا تُعيّنه مذ ولا تدنيه قد ولا تحجبه لعلّ ولا توقّته متى ولا يشمله حين ولا يقارنه مع) ٢١٩
- (ليس منذ خلق استحق معنى الخالق) ٢٢٠
- (ليس هكذا أقول ولكني أقول علم أنهم سيكفرون فأراد الكفر لعلمه فيهم وليست إرادة حتم وإنّما هي إرادة اختيار) ١٠٨
- (ليقتصن للجماء من القرناء) ٣٨٤

حرف الميم

- (ما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحِبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به

ويده الذي يبطش بها إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وإن سكت ابتدأته) ١٧٥

- (محقق لما حققتم مبطل لما أبطلتم) ٤٧١

- (مقدّراً غير مذكور) ١٣٩

- (من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم) .... ٤٧٢ ، ٤٧٤

- (من صفة القديم أنه واحد أحد صمد أحديّ المعنى ليس بمعان كثيرة مختلفة) ٦٩

- (مَن عرف نفسَهُ فقد عرف ربّه) .... ٣٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٩

- (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله) ٣٦٨

- (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) ٣٧٤

حرف النون

- (نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتِنا ، ونحن الأعراف يعرّفنا الله تعالى يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنّة إلّا مَن عرَفنا وعرَفْناه ، ولا يدخل النار إلّا مَن أنكَرَنا وأنكرناهُ ، إنَّ الله تعالى لو شاء لعرّف العبادَ نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصمَ النّاس به ولا سواء حيثُ ذهب الناس إلى عيون كَدِرة يُفرغ بعضُها في

بعض ، وذهب مَن ذهَب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربّها لا نفادَ لها ولا انقطاع) ١٢١

حرف الهاء

- (هو الهَنْدَسَة ووضع الحدود من البقاء والفناء) ٩٠
- (هو سميع بصير سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة ، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه ، وليس قولي إنه يسمع بنفسه إنه شيء والنفس شيء آخر ، ولكني أردتُ عبارة عن نفسي إذ كنتُ مسؤولاً وإفهاماً لك إذ كنتَ سائلاً ، فأقول يسمع بكلّه لا أنّ كلّه له بعض ولكني أردتُ إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلّا إلى أنّه السميع البصير العالِم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى) ٧٠
- (هي الذّكر الأوّل) ٩٩
- (هي الذكر الأول ، تعلم ما الإرادة ؟) .... ٦٢ ، ٩٠
- (هي العزيمة على ما يشاء ، تَعْلَم ما القدر ؟) ...... ٦٢ ، ٩٠

حرف الواو

- (واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده ، ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين ، ضلت فيك الصفات وتفسخت دونك النعوت وحارت في كبريائك لطائف الأوهام ، كذلك أنت الله الأول في أوليتك ، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول) ٤٥٦

- (والمشيئة والإرادة والإبداع أسماؤها ثلاثة ومعناها واحد) ٦٢
- (واليد القوّة وليس بحيث يذهب إليه المشبّهة ثم قال لها : كوني قَلماً ، ثم قال له : اكتب ، فقال له : يا ربّ وما أكتب ؟ قال : ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ففعل ذلك ثم ختم عليه وقال : لا تنطقن إلى يوم الوقت المعلوم) ١٨٣
- (وانزجر لها العمق الأكبر) ٧٧
- (وإنما سميت النخلة نخلة لأنها خلقت من نخالة طين آدم عليه السلام) ٢٧٦
- (وأمّا قول عليّ عليه السلام في الخنثى أنه يورّث من المبال ، فهو كما قال وتنظر إليه ويُنظر إليه قوم عدول فيأخذ كلّ واحد منهم المِرآة فيقوم الخنثى خلفهم عرياناً وينظرون في المرآة فيرون الشبح ويحكمون عليه) ٢٣
- (وأمّا من الله فإحداثه لا غير ذلك) ٩٩
- (وأما من الله فإرادته إحداثه لا غير ذلك) ٢٨٧
- (وأمّا ن فكان نهراً في الجنّة أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل قال الله تعالى له : كن مداداً ثم أخذَ شجرة فغرسَها بيده) ١٨٣
- (وحدثني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عليهم السلام أنه قال : الصمد الذي لا جوف له ، والصمد الذي قد انتهى سؤدده ، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب ، والصمد الذي لا ينام ، والصمد الدائم الذي لم يزل ، ولا يزال) .. ٤٦٩
- (وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائِقنا الباكورة) ١٦٧

- (وقول القائل : إن ربنا عزّ وجلّ أحدي المعنى ، يعني به أنه لا ينقسم في وجود ، ولا عقل ، ولا وهم ، كذلك ربنا عزّ وجل) ٤٦١
- (وكلّ شيء سِوَاك قام بأمرك) ١٧٠
- (وكمال توحيده نفي الصفات عنه) ٣٠٤
- (ولا تحجبه لعلّ) ٢٢٢
- (ولا تدنيه قد) ٢٢٢
- (ولا تقارنه مع) ٢٢٢
- (ولا توقّته متَى) ٢٢٢
- (ولا يشمله حين) ٢٢٢
- (ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر وهُمْ في إرادة الله وفي علمه ألا يصيروا إلى شيء من الخير) ١٠٨

حرف الياء

- (يا جابر إنَّ الله أوّل ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين فكانوا أشباحَ نور بَينَ يدي الله) ٢٣
- (يا سببَ من لا سببَ له) ٢٠٧

الفهرس الموضوعي

الموضوع الصفحة

التوحيد

الفرق بين الواحد والأحد ٤٣٠
أنحاء الفرق بين الواحد والأحد ٤٤١
فروقات بين الواحد والأحد ٤٥٤
رأي الشيخ الأوحد في الأحد ٤٥٠

وجود الله تعالى وصفاته

بيان أنّ صفات الله عين ذاته ٦٨
صفات الربوبيّة والإلهيّة والعالميّة والخالقيّة والسميعيّة عين الذات ... ٢١٨
في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى موجود ٣٢٣
في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى قديم ٣٢٤
في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى دائم أبدي ٣٢٥
في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى حيّ ٣٢٦

في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى عالم ٣٢٧
بيان العلم القديم والعلم الحادث ٣٢٧
في وجوب الاعتقاد بقدرة الله واختياره ٣٢٩
في وجوب الاعتقاد بعلم الله تعالى لكل شيء ٣٣٠
في وجوب الاعتقاد بأن الله سميع بغير آلة بصير بلا جارحة ٣٣١
في وجوب الاعتقاد بتوحيد الله تعالى ٣٣٣
مراتب التوحيد الأربع ٣٣٤
في الاعتقاد بأن الله تعالى مدرك ٣٣٥
في بيان أن الله سبحانه مريد ٣٣٦
في الاعتقاد بأن الله تعالى متكلم ٣٣٨
في الاعتقاد بأن الله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ٣٣٩
في أن الله لا في شيء ولا منه شيء ٣٤١
في أن الله لا يحل في شيء ولا يتحد بغيره ٣٤٣
في استحالة رؤية الله تعالى ٣٤٥
في الاعتقاد أن الله لا يدرك بشيء من الحواس الظاهرة ٣٤٧
هل صفات الله الحقيقية كلها ذات واحدة ؟ ٢٧٧
معنى كون صفات الله تعالى عين ذاته ٢٧٨
ردّ الشيخ الأوحد على كلام الشيرازي حول كون الصفات عين الذات ٢٨٤

الصمد

بيان معنى الصَّمد ٤٦٩

العلم والقدرة

كلام الشيرازي في أن العلم أعمّ من القدرة ٢٧٦

علم الله تعالى

بيان العلم الذاتي ١٠
بيان العلم الحادث الفعلي ١٥
هل العلم هو المعلوم أو أثره أو غيره؟ ١٩
بيان أنّ العلم نفس المعلوم مطلقاً ٢٠

أقسام العلم المنسوب الى الله تعالى

١ ـ العلم الذاتي ٢٨
٢ ـ العلمُ الحادث ٢٩
مراتب العلم الحادث ٣٠
بيان العالمية والمعلوميّة والفاعلية والمفعوليّة ٥٤
كيفيّة علم الله سبحانه بالأشياء ٣٩
علم الله لذاته بذاته ٦٦
بيان أنّ عِلمُ الله بفعله عين ذاته ٦٨
في أن علم الله للأشياء وبذاته صفة نفسيّة أزليّة ٧٨
تعيّن المعلوم في علم الله تعالى ١٠٦

كيفية تحقق الأشياء عند الله سبحانه ١٢٣
بيان أنه لا يعزب عن علم الله تعالى مثقال ذرة ١٣٤
بيان مناط علم الله سبحانه بالأشياء ١٣٧
في أن الله لا يحتاج في علمه إلى صور أخرى غيرها ١٤٠
في أن فعل الله علمه وعلمه فعله ١٤٢
في أن العلم بالفاعل يستلزم العلم بمفعوله ١٤٣
في أنّ الله عالم بالموجودات كلها في الأزل على ما هي عليه ١٤٤
إحاطة الله بجميع الأزمنة والأمكنة وما فيها من الزمانيّات والمكانيّات ١٤٩
معنى علم وإحاطة الله تعالى للأشياء في الأزل ٢٠٤
كيفية إدراك وإحاطة الله تعالى للأشياء ١٩٧
علم الله تعالى ولا معلوم متّحد ٢١٤

ذات الله سبحانه

وجوه بطلان كون الذات لا تنفك عن الصورة ٥٩
فساد ما يُنسب إلى ذات الله بوجه دون وجه ١٢٨
في بيان نسبة ذات الله سبحانه إلى مخلوقاته ١٦٩
في أن نسبة ذات الله من جميع الوجوه إلى الجميع نسبة واحدة ١٧٣
الله سبحانه ليس بزماني ولا مكاني ٢٠٠
في ذكر أحوال الذات لذاتها ٢٠٢
في نهي الأئمة عليهم السلام عن الكلام في ذاتِ الله ٢٢٤

قِدَم الله تعالى

في بيان قِدَم الله تعالى ٦١
القول الفَصل فِي القِدَم ٨٥
في أن ليس واجبٌ غير الله تعالى ٨٧
أدلة المتكلمين على القِدَم وردّ الشيخ الأوحد ١٠١
أدلة غير المتكلمين على القِدَم وردّ الشيخ الأوحد ١٠٣

الأزل

بطلان أزلية الوجود الذي له وجهان ١٣٢
تعريف الأزل وحقيقته وسعته ١٥٧
بيان كون الحادِث في الأزل ١٩٢
معنى علم وإحاطة الله تعالى للأشياء في الأزل ٢٠٤

القلم

بيان معنى القلم ١٨٠

الموجودات الذهنيّة

في أن الموجودات الذهنيّة موجودة في الخارج ١٥٥
في أن الموجودات من حيث الفعل كنفس واحدة ١٨٤

بيان تقدم وتأخّر الموجودات ١٨٩
طور الوجود غير المعروف وكيفية اشتقاق الموجودات ٢١٠

العدل الإلهي

في بيان معنى العدل ٣٤٩
حكم أفعال العباد ٣٥٠
في العدل ٣٨٣

النبوة

في بيان النبوة ٣٥٥
في نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٥٧
في نسب رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٥٩
في معاجز رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٦١
في فضل رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٦٣

النبوّة والولاية

في ذكر وصاية الأنبياء عليهم السلام ٣٧٧

في الإمامة

في أن علياً الخليفة القائم مقام النبي عليهما صلوات الله ٣٦٥

في إمامة الأئمة الأحد عشر من ولد علي عليهم السلام ٣٧١
في ذكر القائم المهدي عجّل الله تعالى فرجه وأنّه حيّ ٣٧٣

الرجعة وظهور المهدي عليه السلام

في وجوب الاعتقاد بالرجعة وظهور المهدي عليه السلام ٤٠٧
في خروج المهدي عليه السلام وسيرته ٤١١
في ملك المهدي عليه السلام ومدته ورجوع الحسين عليه السلام ٤١٣
في رجوع أمير المؤمنين عليه السلام ٤١٦

في ذكر المعاد

في بيان أن أرواح الناس على ثلاثة أصناف ٣٧٨
١ ـ من محض الإيمان محضاً : ٣٧٨
٢ ـ من محض الكفر محضاً : ٣٨٠
٣ ـ من لم يمحض الإيمان ولم يمحض الكفر : ٣٨١

عالم الآخرة

في قصاص الجمادات والأشجار ٣٨٦
في وجوب الاعتقاد بإنطاق الجوارح يوم القيامة ٣٨٨
في وجوب الاعتقاد بتطاير الكتب ٣٨٩
في وجوب الاعتقاد بالميزان ٣٩١

في وجوب الاعتقاد بالصراط ٣٩٢
في وجوب الاعتقاد بالحوض والشفاعة ٣٩٤

الجنة وأقسامها

في وجوب الاعتقاد بوجود الجنة ٣٩٦
في وجوب الاعتقاد بخلود أهل الجنة ٤٠٣
في بيان أقسام الجنان ٣٩٨

النار وأقسامها

في وجوب الاعتقاد بوجود النار ٤٠٠
في بيان أقسام النيران ٤٠١

الآجال والأرزاق والأسعار

في بيان الآجال والأرزاق والأسعار ٤٢١

حكمة الخلق

الاعتقاد بأن الله تعالى لم يخلق العباد عبثاً لحكمته ٣٢٠

القدم والحدوث

قول المحقق الطوسي والعلامة الحلي في القدم والحدوث ٢٣٣

بيان رأي الشيخ الأوحد في القدم والحدوث ٢٣٥

الإمكان

هل الإمكان عدمي أم وجودي ؟ ٢٤٣
أسباب ابتعاد الناس عن الحق ٢٥٣
قول معمر بن عباد المعتزلي في الإمكان ٢٥٤
اعتراض فخر الدين الرازي على الحكماء في الإمكان ٢٦١

الحكمة

اختلاف الحكمة بين الحكماء والناقلين عنهم ٤٤
١ ـ خطأ الاستنباط ٤٤
٢ ـ خطأ المترجمين ووجوهه ٤٤

آراء الشيخ الأوحد

بيان رأي الشيخ الأوحد في القدم والحدوث ٢٣٥
رأي الشيخ الأوحد في الأحد ٤٥٠
ردّ الشيخ الأوحد على كلام الشيرازي حول كون الصفات عين الذات ٢٨٤
أدلة المتكلمين على القِدَم وردّ الشيخ الأوحد ١٠١
أدلة غير المتكلمين على القِدَم وردّ الشيخ الأوحد ١٠٣

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

١ ـ رسالة في شرح الرسالة العلمية للملاّ محسن الفيض

بيان العلم الذاتي ١٠
بيان العلم الحادث الفعلي ١٥
هل العلم هو المعلوم أو أثره أو غيره؟ ١٩
بيان أنّ العلم نفس المعلوم مطلقاً ٢٠
أقسام العلم المنسوب الى الله تعالى ٢٨
١ ـ العلم الذاتي ٢٨
٢ ـ العلمُ الحادث ٢٩
مراتب العلم الحادث ٣٠
كيفيّة علم الله سبحانه بالأشياء ٣٩
اختلاف الحكمة بين الحكماء والناقلين عنهم ٤٤
١ ـ خطأ الاستنباط ٤٤

٢ ـ خطأ المترجمين ووجوهه ٤٦
بيان العالمية والمعلوميّة والفاعلية والمفعوليّة ٥٤
وجوه بطلان كون الذات لا تنفك عن الصورة ٥٩
في بيان قِدَم الله تعالى ٦١
علم الله لذاته بذاته ٦٦
بيان أنّ صفات الله عين ذاته ٦٨
بيان أنّ عِلمُ الله بفعله عين ذاته ٧١
في أن علم الله للأشياء وبذاته صفة نفسيّة أزليّة ٧٨
القول الفَصل فِي القِدَم ٨٥
في أن ليس واجبٌ غير الله تعالى ٨٧
أدلة المتكلمين على القِدَم وردّ الشيخ الأوحد ١٠١
أدلة غير المتكلمين على القِدَم وردّ الشيخ الأوحد ١٠٣
تعيّن المعلوم في علم الله تعالى ١٠٦
كيفية تحقق الأشياء عند الله سبحانه ١٢٣
فساد ما يُنسب إلى ذات الله بوجه دون وجه ١٢٨
بطلان أزلية الوجود الذي له وجهان ١٣٢
بيان أنه لا يعزب عن علم الله تعالى مثقال ذرة ١٣٤
بيان مناط علم الله سبحانه بالأشياء ١٣٧
في أن الله لا يحتاج في علمه إلى صور أخرى غيرها ١٤٠
في أن فعل الله علمه وعلمه فعله ١٤٢
في أن العلم بالفاعل يستلزم العلم بمفعوله ١٤٣

في أنّ الله عالم بالموجودات كلها في الأزل على ما هي عليه ١٤٤
إحاطة الله بجميع الأزمنة والأمكنة وما فيها من الزمانيّات والمكانيّات ١٤٩
في أن الموجودات الذهنيّة موجودة في الخارج ١٥٥
تعريف الأزل وحقيقته وسعته ١٥٧
في بيان نسبة ذات الله سبحانه إلى مخلوقاته ١٦٩
في أن نسبة ذات الله من جميع الوجوه إلى الجميع نسبة واحدة ١٧٣
بيان معنى القلم ١٨٠
في أن الموجودات من حيث الفعل كنفس واحدة ١٨٤
بيان تقدم وتأخّر الموجودات ١٨٩
بيان كون الحادِث في الأزل ١٩٢
كيفية إدراك وإحاطة الله تعالى للأشياء ١٩٧
الله سبحانه ليس بزماني ولا مكاني ٢٠٠
في ذكر أحوال الذات لذاتها ٢٠٢
معنى علم وإحاطة الله تعالى للأشياء في الأزل ٢٠٤
طور الوجود غير المعروف وكيفية اشتقاق الموجودات ٢١٠
علم الله تعالى ولا معلوم متّحد ٢١٤
صفات الربوبيّة والإلهيّة والعالميّة والخالقيّة والسميعيّة عين الذات ... ٢١٨
خاتمة ٢٢٤
في نهي الأئمة عليهم السلام عن الكلام في ذاتِ الله ٢٢٤

٢ ـ الرسالة الاعتبارية في بطلان ما اعتمدوا عليه من الأمور الاعتبارية على جهة القطع واليقين

قول المحقق الطوسي والعلامة الحلي في القدم والحدوث ٢٣٣

بيان رأي الشيخ الأوحد في القدم والحدوث ٢٣٥

هل الإمكان عدمي أم وجودي ؟ ٢٤٣

أسباب ابتعاد الناس عن الحق ٢٥٣

قول معمر بن عباد المعتزلي في الإمكان ٢٥٤

اعتراض فخر الدين الرازي على الحكماء في الإمكان ٢٦١

كلام الشيرازي في أن العلم أعمّ من القدرة ٢٧٦

هل صفات الله الحقيقية كلها ذات واحدة ؟ ٢٧٧

معنى كون صفات الله تعالى عين ذاته ٢٧٨

ردّ الشيخ الأوحد على كلام الشيرازي حول كون الصفات عين الذات ٢٨٤

٣ ـ رسالة حياة النفس في حضرة القدس في بعض ما يجب على المكلفين من معرفة أصول الدين

الاعتقاد بأن الله تعالى لم يخلق العباد عبثاً لحكمته ٣٢٠

الباب الأول : في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى موجود ٣٢٣

فصل : في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى قديم ٣٢٤

فصل : في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى دائم أبدي ٣٢٥

فصل : في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى حيّ ٣٢٦
فصل : في وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى عالم ٣٢٧
بيان العلم القديم والعلم الحادث ٣٢٧
فصل : في وجوب الاعتقاد بقدرة الله واختياره ٣٢٩
فصل : في وجوب الاعتقاد بعلم الله تعالى لكل شيء ٣٣٠
فصل : في وجوب الاعتقاد بأن الله سميع بغير آلة بصير بلا جارحة ... ٣٣١
فصل : في وجوب الاعتقاد بتوحيد الله تعالى ٣٣٣
مراتب التوحيد الأربع ٣٣٤
فصل : في الاعتقاد بأن الله تعالى مدرك ٣٣٥
فصل : في بيان أن الله سبحانه مريد ٣٣٦
فصل : في الاعتقاد بأن الله تعالى متكلم ٣٣٨
فصل : في الاعتقاد بأن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ٣٣٩
فصل : في أن الله لا في شيء ولا منه شيء ٣٤١
فصل : في أن الله لا يحل في شيء ولا يتحد بغيره ٣٤٣
فصل : في استحالة رؤية الله تعالى ٣٤٥
فصل : في الاعتقاد أن الله لا يدرك بشيء من الحواس الظاهرة ٣٤٧
الباب الثاني : في بيان معنى العدل ٣٤٩
حكم أفعال العباد ٣٥٠
الباب الثالث : في بيان النبوة ٣٥٥
فصل : في نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٥٧
فصل : في نسب رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٥٩

فصل : في معاجز رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٦١
فصل : في فضل رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٦٣
الباب الرابع : في الإمامة في أن علياً الخليفة القائم مقام النبي عليهما صلوات الله ٣٦٥
فصل : في إمامة الأئمة الأحد عشر من ولد علي عليهم السلام ٣٧١
فصل : في ذكر القائم المهدي عجّل الله تعالى فرجه وأنّه حيّ ٣٧٣
فصل : في ذكر وصاية الأنبياء عليهم السلام ٣٧٧
الباب الخامس : في ذكر المعاد ٣٧٨
في بيان أن أرواح الناس على ثلاثة أصناف ٣٧٨
١ ـ من محض الإيمان محضاً ٣٧٨
٢ ـ من محض الكفر محضاً ٣٨٠
٣ ـ من لم يمحض الإيمان ولم يمحض الكفر ٣٨١
فصل : في العدل ٣٨٣
فصل : في قصاص الجمادات والأشجار ٣٨٦
فصل : في وجوب الاعتقاد بإنطاق الجوارح يوم القيامة ٣٨٨
فصل : في وجوب الاعتقاد بتطاير الكتب ٣٨٩
فصل : في وجوب الاعتقاد بالميزان ٣٩١
فصل : في وجوب الاعتقاد بالصراط ٣٩٢
فصل : في وجوب الاعتقاد بالحوض والشفاعة ٣٩٤
فصل : في وجوب الاعتقاد بوجود الجنة ٣٩٦
في بيان أقسام الجنان ٣٩٨

فصل : في وجوب الاعتقاد بوجود النار ٤٠٠
في بيان أقسام النيران ٤٠١
فصل : في وجوب الاعتقاد بخلود أهل الجنة ٤٠٣
فصل : في بقية الأمور الاعتقادية ٤٠٥
خاتمة : في وجوب الاعتقاد بالرجعة وظهور المهدي عليه السلام ... ٤٠٧
فصل : في خروج المهدي عليه السلام وسيرته ٤١١
فصل : في ملك المهدي عليه السلام ومدته ورجوع الحسين عليه السلام ٤١٣
فصل : في رجوع أمير المؤمنين عليه السلام ٤١٦
فصل : في بيان الآجال والأرزاق والأسعار ٤٢١

٤ ـ رسالة في تفسير كلمة أحد من سورة التوحيد

الفرق بين الواحد والأحد ٤٣٠
أنحاء الفرق بين الواحد والأحد ٤٤١
رأي الشيخ الأوحد في الأحد ٤٥٠
فروقات بين الواحد والأحد ٤٥٤
بيان معنى الصَّمد ٤٦٩

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية ٤٩٧
فهرس الأحاديث ٥١٣
الفهرس الموضوعي ٥٣٥
فهرس المحتويات ٥٤٥